ألـــوان

من الأدب والفكر والحياة

الدكتور

السيد محمد الديب

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذه بعض المواقف والتيارات من أمواج حياتى فى ربع قرن مع الثقافة والأدب، إذ يرجع أقدم تعقيب لى فى هـذه الأوراق إلـى عـام ١٩٨١م عندما كتب الأستاذ محمد فهمى عبداللطيف رحمـه الله عـن ياقوت الحموى وكتابه(معجم الأدباء) ومحمد بن عبدالرحمن السخاوى.

وذكر أن ياقوت قد التقى هذا الرجل ، وكتب فى يومياته بجريدة الأخبار على هذا الأساس ، فأرسلت إليه تصويبا لما وقع فيه من خطأ، إذ أن ياقوت لم يتقابل مع السخاوى الذى تـوفى فـى مطلـع القـرن العاشر، وهو مؤلف كتاب (الضوء اللامع فى أعيان القـرن التاسـع)، وأن الذى ترجم له ياقوت والتقى به هو (على بن محمـد السـخاوى)، ونشر الرجل التصويب بأمانة.

ثم كتبت عشرات المقالات الإسـلامية دون أن أنصـرف عـن التخصص الدقيق فى الأدب والنقد، وسارت سفينة حياتى فرست فـى مدينة الطائف، وقد وجد لدى من الوقت ما ساعدنى على كتابة العديـد من القضايا، وحاضرت فى كثير من الأمور التى أعتز بها، ولسـوف أقدم فى الكتاب بعضا منها ، وتعليقا ونقدا لما تحدثت بـه محاضـرا ومناقشا؛ حتى إننى تعرضت ـ فى أكثر من مـرة ـ لـبعض الأذى الذى لحق بى، ولم يكن إلا نتيجة لآرائى التى آمنت بها، وتحمست لها، ودافعت عنها، لكن البيئة كانت جديدة بالنسبة لى، وكنت مدفوعا فـى بعض الأمور بحسن النية التى تخليت فيهـا عـن حـذرى المعهـود،

ولسوف أنشر فى هذه الصحائف ما يتوافق مع طبيعة الكتاب ويخلو (من السباب والتطاول)، فضلا عن بعض الموضوعات الأخرى .

وعندما عشت فى مدينة الزقازيق صرت أقرأ وأفكر بصورة مختلفة تتواكب مع المرحلة السنية التى كنت أحياها، فكتبت فى كثير من الصحف والمجلات، وافتتحت فى منزلى منتدى ثقافيا (صالونا أدبيا)، تجمع فيه عدد من العلماء والمبدعين ، وأسفر عن كثير من الإيجابيات التى أذكرها بكل إعزاز وتقدير، ونشر لى العديد من المقالات منها ما كتبته عن الدكتور/ محمد مندور فى ذكرى وفاته الثلاثين، كما تمخض هذا الحراك الثقافى عن بعض السلبيات،إذ تجرأ على بأسلوب مقزز بعض من يدعون الإبداع ، وبعدها اختفى من ذاكرة القراء، وكان قد أغضب بعض الفضلاء بالحديث عن نفسه، والإشادة بأدبه، ولسوف يجد القارئ بعضا من فعاليات (الصالون) الذى أحزننى أن يتوقف توخيا لحذر مطلوب فى أمثال هذه الأمور، وأبرز ما سيجده القارئ فى الكتاب مجموعة من الدراسات الموجزة التى كانت تذاع فى البرنامج الثقافى بالإذاعة المصرية، تحت عنوان (كلمات على جدار الزمن)، ثم جاءت بقية المحاور على النحو التالى ــ فى الأدب والنقد ــ قضايا إسلامية ــ بحوث إنسانية ــ متفرقات ــ من الصالون الأدبى ــ بين الثقافة والصحافة.

ولعل هذه الأمور التى أشرت إليها بإيجاز، تمثل جزءا من حياتى مع الثقافة والفكر والإبداع .

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أ.د/ السيد محمد أحمد الديب
وكيل كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر
بالزقازيق

٢٢ من جمادى الأولى ١٤٢٧هـ
١٨ من يونيو ٢٠٠٦م

كلمات على جدار الزمن

١ ـ الزوجة الأولى .

٢ ـ موقف أبى بكر الصديق من حادثة الإسراء.

٣ ـ حديث النية.

٤ ـ العفو العام.

٥ ـ موقف أبى بكر من مانعى الزكاة .

٦ ـ فى العدل والمساواة والحرية والتسامح.

٧ ـ نهج البلاغة .

٨ ـ الشعر العربى بين الجاهلية والإسلام .

٩ ـ من حديث الجهاد بالأندلس.

١٠ ـ الحضارة المصرية .

١١ ـ بلاغة سعد زغلول .

١٢ ـ طريق النجاح .

١٣ ـ فى الوطنية والشجاعة والحرية والاستقلال.

١٤ ـ فى الأخلاق الفاضلة.

١٥ ـ فى الغذاء والدواء.

١٦ ـ فن الكتابة بين الأفراح والأتراح.

١٧ ـ الالتزام الأدبى.

١٨ ـ من الفلسفة الإغريقية.

الزوجة الأولى

عاش الرسول مع زوجته الأولى خديجة بنت خويلد مخلصا وفيا وأنجب منها سائر أولاده ، ما عدا إبراهيم فكان من مارية القبطية، ولم يتزوج عليها إبان الرحلة الحياتية التى جمعت بينهما بما يزيد عن خمس وعشرين سنة.

تزوج الرسول عائشة بنت أبىبكر، وكانت تصغره بفرق شاسع لكنها الحياة العربية القديمة التى لا ترى عيبا فى هذا الفرق حتى لو زاد عن خمسة وثلاثين عاما خاصة إذا كان صادرا لأمر تشريعى مختلف من امرأة لأخرى .

ولم يغفل الرسول ﷺ عن زوجته الأولى، خاصة بعد وفاتها، ولم ينكر فضلها، وبات يتحدث عنها فى غدواته وروحاته، فغضبت بعض زوجاته كشأن النساء فى أمثال هذه المواقف، وبخاصة عائشة التى اشتد ألمها وزاد ضيقها وتحركت غيرتها على رسول الله عليه الصلاة والسلام .

قالت عائشة للرسول :

هل كانت إلا عجوزا أبدلك الله خيرا منها ؟

فقال: "والله ما أبدلنى الله خيرا من خديجة .. آمنت بى حين كفر الناس، وصدقتنى إذ كذبنى الناس، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس .. ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء".[1]

---

(١) رواه أحمد والطبرانى.

قدم الرسول ﷺ أعظم شهادة تقدير ووفاء لمن عاشت معــه قبـل الإسلام وبعده، وقد كانت تكبره بسنوات عديدة، لكنه لم يجعـل لهـذا الفرق أى تأثير فى نفسه ووجدانه ٠

كانت خديجة رضوان الله عليها أول من استقبل الرسول وآمن به عندما نزل عليه الوحى ، فاصطحبته إلى قريب لها كان معنيـا بنشـر بذور الطمأنينة والراحة والهدوء فى عقل محمد بن عبدالله ﷺ ٠

لم تجعل خديجة فواصل بين ما تملكه وما يحتاجـه رسـول الله، ورأت أنها جزء من واقع الرسول الذى لا ينكر، واهتـدت بحواسـها الأنثوية إلى ضرورة المقاومة والتصدى لكل هم يلقى بظلالـه علـى مهامه الصعبة٠

إن كلمة الرسول وثيقة فريدة ، ورؤية صادقة، وكلمـة جامعـة وصورة معبرة ، ودعوة صادقة ؛ للعدل والإنصاف عند الحكم والنظر فى موقف الإسلام من المرأة٠

موقف أبىبكر الصديق
من حادثة الإسراء

كان الإسراء والمعراج فاصلا بين مرحلتين فى حياة الرسول ﷺ، كانت الأولى مليئة بالعنت والإرهاق والمشقة فى حدود قومه، وامتلأت بألوان من التعذيب والاضطهاد والمقاطعة فى سبيل ألوان من العلاقات الإنسانية .

وأسفرت المرحلة الثانية عن دروس وتجارب كثيرة، وبدا للمقربين من ساحة الدعوة الإسلامية — فى الوقت الذى شغل الرسول فيه بالإسراء — أن الدين الجديد ليس قصيدة لشاعر، أو كلمة لكاهن، أو رغبة ملحة فى سبيل المال، بل إنه يختلف عن كل ذلك .

بعد عودة الرسول من إسرائه ومعراجه أخذ يحدث الناس عما شاهده فى تلك الليلة المباركة، وهم يسألون عن أشياء يعلمون أنه لم يرها فيجيبهم ويرد على أسئلتهم، وهم منكرون له ساخرون منه إلا أبابكر فقد صدقه، وجاهر بتصديقه .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : "لما أسرى برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى أصبح يحدث الناس بذلك فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به، وصدقوه، وسعوا بذلك إلى أبىبكر ، فقالوا: هل لك فى صاحبك، يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس؟ فقال: **أو قال ذلك؟**، قالوا: نعم قال: **لئن قال ذلك لقد صدق**؛ قالوا: فتصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس، وجاء قبل أن يصبح؟ قال: **نعم، إنى لأصدقه فيما هو**

أبعد من ذلك، أصدقه فى خبر السماء فى غدوة أو روحة، فلذلك سمى أبابكر الصديق"٠

لقد أكد الحديث بعض الخصال التى تميز بها أبوبكر من غيره من الرجال، فقد كان أول من أسلم، ورفيقا له فى الهجرة، وأول خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول ، وهو واحد ممن استثمروا أموالهم فى خدمة الرسالة الجديدة ٠

أكد أبوبكر فى تصديقه للرسول معنى الأخوة الإسلامية، وحقوق الصداقة الإنسانية، ومقدار الحب الذى جمع بينهما ووحد بين قلبيهما، وتجنب الجدل والمراء والنقاش العقيم الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع٠

كان أبوبكر من أكثر العرب حفظا للأنساب، ومعرفة بأقدار الرجال، وحرصا على الأمانة فى القول والفعل، وجرأة فى الحق ، وصدقا فى العبادة، وقد استحق عن جدارة اللقب الذى حمله عند تصديقه للرسول صبيحة يوم الإسراء قبل الهجرة بعام٠

حديث النية

معنى الحديث النبوى: هو كل قول أو فعل أو تقرير أو صفة للرسول ﷺ ، وهو يختلف عن الحديث القدسى، وعن القرآن الكريم، وقد اتجهت همة الصحابة رضوان الله عليهم فى المراحل الأولى من عمر الدعوة الإسلامية إلى العناية بالقرآن بأمر من الرسول ومن تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه وصيانته، قال تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ (١).

وجاءت العناية فى المرتبة الثانية بالحديث الذى قاله الرسول وحفظته الكتب والمؤلفات التى بقيت خالدة راسخة كصحيح البخارى وصحيح مسلم، وهما أصح الكتب المصنفة فى هذا المجال.

عن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**(٢) .

قيل فى سبب هذا الحديث: إن رجلا قد هاجر إلى المدينة المنورة بعد أن هاجر الرسول ﷺ إليها ، وكانت هجرة الرجل بقصد الزواج من امرأة تسمى (أم قيس)، فلما هاجر تزوجها فكان يقال له (مهاجر أم

---

(١) الحجر ٩ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

قيس) ، وتوجه إليه الرسول باللوم تعريضا لا تصريحا حسب منهجه مع أصحابه فى النقد والمؤاخذة.

لقد أجمع العلماء على أن هذا الحديث أصل من أصول الدين؛ لأن العبادة إما أن تكون نطقا باللسان وإما حركة بسائر الجسم وإما قصدا بالقلب والنية أساس العمل، ويكفى أن تكون بالقلب، ولا يشترط لها النطق باللسان، لكن الصدق فيها دليل على الإخلاص فى العبادة.

يؤصل الحديث لمجموعة من المبادئ التى لابد للإنسان أن يتعرف عليها، ولا نظن أن حديثا آخر يمكن أن يجمع كل المعانى التى عرض لها، فهو من الأحاديث القليلة التى رواها عمر بن الخطاب ﷺ، ولم يكن معنيا بالرواية قدر عنايته باتساع رقعة العالم الإسلامى فى عصر الرسول أو فى زمن خلافة أبىبكر الصديق قبل أن يتولى زمام الدولة الجديدة بنفسه.

إن درجة كل عمل من درجة النية الباعثة عليه، فإن كانت خيرا فخير، وإن كانت شرا فشر، فالعمل تابع للنية مقدر بها، موزون بميزانها، وبذلك لا يجوز لإنسان أن يمارس النية ويقوم بها قبل أى فعل من الأفعال أو عبادة من العبادات.

يحذر الحديث من الرياء فى العبادة؛ لأن جميع الأعمال لابد أن تبنى على أساس متين ونية سليمة صادقة، وإذا نوى الإنسان فعلا حسنا ، ثم منعه عذر صحيح فله ثواب الفعل بقدر نيته وإخلاصه.

العفو العام

تحركت الرمال على الصحراء، وارتوت الأرض ببعض الـدماء التى أريقت على الرمال فى الصراع الذى دار بين المتحاربين من أهل الجزيرة العربية، وخاصة فى مكة والمدينة أيام الغزوات المشهورة من بدء الهجرة إلى يوم الفتح المبين فى السنة الثامنة من الهجرة.

اتجه الرسول ﷺ يوم جاء نصر الله والفتح، ودخل الناس فى دين الله أفواجا، اتجه عليه الصلاة والسلام إلى البيت الحرام ، وطاف بـه سبعا، ثم أشار إلى الأصنام وانقض الناس عليها فحطموها، وطهـروا الكعبة المشرفة منها .

كان بعض القرشيين فى حيرة واضـطراب لمـا ستسـفر عنـه الأحداث، ثم شخصت أبصارهم عندما كانوا يشاهدون الرسول متجهـا إلى مكان عال فى المسجد الحرام ، ثم أخذهم العجب وهم يسـتمعون إليه فى كلمته المشهورة التى ما زال صداها يرن فـى أذن الماضـى والحاضر.

قال : **"يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم؟**

قالوا: خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم.

قال: **فإنى أقول لكم ما قال يوسف لإخوته :**

لا تثريـب علـيكم اليـوم

اذهبـوا فـأنتم الطلقـاء

إن قريشا أهله وعشيرته، ويأمل فيهم أن يكونـــوا درعـــا واقيـــا للإسلام والمسلمين، وكان ذلك فصاروا أبطال الإسلام، وقادة للجيوش التى فتحت البلاد شرقا وغربا، وصدق فيهم ظنه حين قـــال : "النـــاس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا ما فقهوا" ويتـــوارد إلى الذهن ذلك الافتراض الموجه إلى الموقف والمناســبة التـــى قـــال الرسول فيها ما قال: ماذا لو لم يصدر منه هذا العفو واتجه إلى ما كان يظنه أهل مكة قبل العفو من توقع للانتقام كما يفعل الملوك إذا دخلـــوا البلاد التى حاربتهم، ولكن الرسول قال ما قال وتحول ببيانه من نطاق بيانه فى الحرم إلى دائرة واسعة مـــن المســـامحة وإرســـاء المبـــادئ الإسلامية الخالدة.

جمع بيان العفو المسلمين على السمع والطاعة، وحفـــظ الحـــرم المكى من سفك الدماء وقطع الشجر ، وأبقى له حرمته ومهابته، وأخذ رسول الله فى الدعاء له بقوله: "اللهم زده تعظيمـــا وتشـــريفا ومهابـــة ونورا".

لما أتم الرسول البيعة مع الرجال بايع النســـاء، وأســـلمن لله رب العالمين، وعفا عنهن، وحل الحب والوفاق والسلام فى قلـــوب النـــاس جميعا.

موقف أبىبكر
من مانعى الزكاة

بعد أن تمت البيعة ، وانتقلت السلطة القيادية إلى أبىبكر الصديق ليكون خليفة للمسلمين صعد المنبر، وألقى خطبة جامعة فى جموع الحاضرين، وقبلها كانت ذاكرة المسلمين يقظة وحاضرة إلى قول الرسول ﷺ لهم: "مروا أبابكر فليصل بالناس" وكانت هذه الإنابة إشارة غير مباشرة للتوصية بخلافة الصديق.

أعلن الصديق فى بداية الخلافة برنامج ولايته التى شهدت قيامه بعملين جليلين متميزين، فقد تصدى للمرتدين عن الدعوة، وجند لهم خالد بن الوليد الذى أعاد إلى الإسلام من أطاع هوى نفسه، كما وقف فى صف الذين ينادون بمحاربة مانعى الزكاة.

وصل الخلاف بين أبىبكر وعمر إلى درجة غير متوقعة، فكان عمر وطائفة من المسلمين معه ينادون بعدم مقاتلة قوم يؤمنون بالله واليوم الآخر لأهمية الاستعانة بهم على الأعداء، واستجاب أبوبكر لتأييد رأى الأقلية الذين يطالبون بإعادة مانعى الزكاة إلى الرأى الصواب.

قال عمر : كيف تقاتلهم وهم يقولون : لا إله إلا الله، وقد قال النبى ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله .

فرد عليه أبوبكر قائلا:

ثكلتك أمك يا ابن الخطاب، أجبار فى الجاهلية خوار فى الإسلام، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه، فهم يفرقون بين الصلاة والزكاة ، والله لم يفرق بينهما ، والزكاة حق المال، وقد قال رسول الله إلا بحقها ..".

ويتم الرواة هذا الحديث بأن عمر قال من بعد "فوالله ما هو إلا أن رأيت الله شرح صدر أبىبكر للقتال فعرفت أنه الحق".

والافتراض الذى يتوارد فى أعقاب هذا الموقف ماذا لو لم يتخذ أبوبكر قراره بقتال هؤلاء الذين تغيروا بعد وفاة الرسول؟.

والرأى أو النتيجة علمها عند ربى فإن الذين منعوا الزكاة يومها يمكن أن تزداد أخطارهم ولا تتوقف عند منع هذا الركن بل ربما تمادوا فى غيهم، وتواصل ضلالهم، واتجهوا إلى أركان الإسلام الأخرى بالمنع؛ حتى تتفتت وحدة المسلمين، وتتوارى عناصر القوة فى المجتمع الإسلامى الجديد.

كان موقف أبىبكر حازما صارما ـ مع ما عرف عنه من لين ـ لأن الدين الجديد لم يكن قد استقر مدة طويلة فى القلوب ، لكن الله هداه إلى الحق ، وشرح صدره لليقين، الذى نبع من إيمانه القوى بوحدة العبادة.

فى العدل والمساواة
والحرية والتسامح

"متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟".

هذه الكلمة الخالدة على جدار الزمن ، والباقية فى أعماق التاريخ .. أطلقها عمر بن الخطاب الخليفة القوى العادل شاهدة على منهج الإسلام فى العدل والحرية والتسامح والمساواة فى مناسبة لا تخفى عن ذاكرة المحبين المنصفين للعروبة والإسلام.

لقد قال عمر بن الخطاب هذه العبارة فى أعقاب مناسبة شهيرة جرت بعض أحداثها هنا فى مصر، وذلك عندما سابق ابن عمرو بن العاص رجلا من أقباط مصر على فرس له، وحدث بين الاثنين نزاع ينشأ بين الممارسين لكثير من الألعاب الرياضية كالفروسية وغيرها فى أعقاب فوز المصرى على ابن عمرو بن العاص، ولكن ابن عمرو عز عليه وهو ابن الحاكم أن يسبقه رجل من الرعية متناسيا أن الرياضة فوز وهزيمة، وأن العدل أساس الملك ، وليس فى مصلحته ولا مصلحة أبيه، ولا من شعار الدين الجديد الذى بدأ يستقر فى أرض الكنانة أن يشاع عنه تجاوز الحد ، وعدم القناعة بالعدل والمساواة.

لقد ضرب ابن عمرو الرجل المصرى وهو يقول له: خذها وأنا ابن الأكرمين ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد ، فقد وصل الموضوع بكل تفصيلاته إلى خليفة المؤمنين عمر بن الخطاب، فعرض له فى المؤتمر العام للحج.

وكانت رؤية الخليفة نافذة وسريعة وعادلة، فقد أعطى الـدرة[١] للمصرى وقال له: اضرب ابن الأكرمين، وقال عبارته الخالدة: "متـى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا" ولم يتوقف الأمر عند هـذا الحد، وإنما رغب عمرو بن العاص فى أن يعلو القبطى بدرته عليـه؛ لأن ابنه لم يفعل ما قام به إلا اعتمادا على جاه أبيه، ولكـن القبطـى رفض ذلك للحاكم مكتفيا بالقصاص لنفسه ممن ضربه واعتدى عليه.

لقد أعطى عمر بن الخطاب كثيرا من النماذج التى تؤكد حتميـة اعتدال ميزان العدالة بين أفراد الأمة، وعدم التفريق بين شخص وآخر مهما كانت منزلته عند الخليفة، فهم جميعا سواسية لا فضل لشـخص على آخر إلا بمقدار ما يحرص عليه من إيمان وتقـوى، حتـى لـو اختلفت ديانة الاثنين ، وليس قربه أو بعده من الحاكم مؤثرا فى تنفيـذ الحكم العادل بين أفراد الأمة جميعا.

لم يكن هذا الموقف الذى سجله ابن الخطاب إلا درسا واحدا مـن دروسه الخالدة على مر الزمان فى العدل والمساواة، ونموذجا تطبيقيـا لأحكام الإسلام ، التى آمن بها، وحرص عليها عمرو بن العاص ومن جاء بعده من الولاة فى مصر وفى غيرها من الأوطان.

---

(١) الدرة: السوط أو قطعة من الجلد تستعمل فى الضرب.

نهج البلاغة

"كلمة حق يراد بها باطل"٠

نهج البلاغة كتاب جمع أبلغ ما أثر عن الإمام على بن أبىطالب من خطب ورسائل ومواعظ وحكم، وقد جمعها الشريف الرضى ورتبها على ثلاثة أبواب حسب قوله فى مقدمة هذا الأثر النفيس٠

قال: "ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة؛ أولها: الخطب والأوامر، وثانيها: الكتب والرسائل، وثالثها: الحكم والمواعظ، فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب، ثم محاسن الكتب، ثم محاسن الحكم والأدب، مفردا لكل صنف من ذلك بابا ، ومفصلا فيه أوراقا"٠

وليست هذه العبارة المذكورة إلا واحدة من الكلمات الخالدة الرائعة الذائعة التى يحفل بها نهج البلاغة الكتاب الفريد فى أساليبه وشروحه علما بأن الكتاب مع شهرته لم يسلم من الطعن فى نسبته للإمام على غير أن مقدرة الإمام فى اللغة وآدابها تجعل اختيار الشريف الرضى هذا السجل من كلام الإمام صحيحا ومقبولا، للدرجة التى جعلت شراحه أكثر من أربعين شارحا ومفسرا٠

ولقد جاءت كلمة الإمام على فى حق الخوارج الذين كانوا معه، ثم خرجوا عليه بعد أن احتكم هو ومعاوية بن أبىسفيان إلى أبىموسى الأشعرى وعمرو بن العاص بعد موقعة صفين، ثم قالوا: "لا حكم إلا لله"، فهم يقولون بإنفاذ حكم الله أى الاحتكام إلى القرآن الكريم، ولكنهم

فى الحقيقة ــ كما قال ــ يريدون شيئا آخر ثم قال هذه الكلمة الشهيرة، فهى كلمة حق، ولكن يراد بها باطل.

لقد تميز الإمام على بن أبىطالب بالفصاحة والبلاغة والبيان والحكمة، وصدق الإيمان، وقوة العزيمة ، وسلامة القصد ، وهذا السجل الخالد من درر القول يكشف عن مقدرته فى فنون الكلام، كما تميز بالعدل فى القضاء، والحكم على الأمور، والتميز فى الفقه والفهم وسرعة البديهة، فكان يقال عنه: "قضية ولا أبا حسن لها".

كان على بن أبىطالب أول من دخل فى الإسلام من الشباب ، وهو الذى نام فى سرير الرسول ﷺ ليلة الهجرة، وكان مكلفا برد الودائع إلى أصحابها، وعاش حياته مجاهدا صابرا صواما قواما، متفوقا فى فنون القتال والدفاع عن النفس، ومات شهيدا فى واحدة من ليالى الأسى والحسرة على الدم المهراق، وفى ليلة رمضانية حزينة عام أربعين من الهجرة، وكرم الله وجهه، وأنزله منازل الشهداء الأبرار.

أما الخوارج فقد عاشوا فى حروب مستمرة مع الإمام على وجيوشه التى انتصرت عليهم وكسرت شوكتهم، وكانوا يخرجون للقتال فيستعدون لقتال جديد، وقد اختلف الناس فيهم وفى دعوتهم، وإن كانت شرورهم وأضرارهم ومآسيهم لا تخفى على القارئين للتاريخ الإسلامى.

الشعر العربى

بين الجاهلية والإسلام

الحمد لله إذ لم يــأتنى أجلــى ∴ حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

لبيد بن ربيعة

يفتح هذا البيت الشعرى آفاقا من الحوار والرؤية حول تحول هذا الشاعر المخضرم عن قول الشعر مكتفيا بما نزل من القرآن الكــريم، مع أن الإسلام لم يحرم هذا الفن ما دام بعيدا عن تحريــك الضــغائن والانصراف إلى مجال رحب فسيح تتواصل فيه القلوب على المحبــة والمودة والوئام والوفاق.

تحدث القدماء والمحدثون عن الشاعر لبيــد بــن ربيعــة وبيتــه المذكور والذى بقى خالدا مذكورا فى صحائف التاريخ وعلــى جــدار الزمن.

كان هذا البيت علامة فارقة فى حياة الفن الشعرى خاصــة أنــه لشاعر مخضرم جمع فى حياته بين تصرف أهل الجاهليــة وأخــلاق الذين أسلموا وآمنوا بالدين الجديد، ولم يتخل عن قومه فــى ســنوات عمره كلها، فكان يدافع عنهم، ويمدح كرامهم ويهجو عدوهم، ويعبــر عن شأنه وشأن القبيلة كلها .

يروى أن هذا البيت لشــاعر (عــامرى) أعــرض فــى حياتــه الإسلامية عن الشعر إعراضا تاما، فلم يقل سوى هــذا البيــت الــذى

يتناوله الناس تناولا غير صحيح، ويفهمونه علـى غيـر وجـه مـن الصحة، ويلحقون بتفسيره دعوى أن الإسلام قد حظر الشعر، مضيفين إلى ذلك مقولة صحيحة أن هذا الشاعر قد اكتفى بسورتى البقـرة وآل عمران٠

ليس فى البيت دلالة على توقف لبيد عن قول الشعر فى ظـلال الدعوة الإسلامية ، ولكنه يحمد الله على نعمة الإسلام التى شملته قبـل أن تغرب شمس حياته، وتطوى صفحات عمره٠

إذا توقف لبيد عن قول الشعر فى ظل الدين الجديد ، فإن الأمـر يرجع إليه وحده، وهو الذى يقرره بنفسه، ويستند فيه إلى دوافعه دون أمر مباشر صريح من دستور الإسلام ومعاييره الثابتة ، لكن الإيقـاف يمكن أن يصدر لهذا الشاعر أو لغيره إذا تحول بفنه من التعبير عـن الذات أو البيئة أو القضية التى تشغله إلى التطـاول علـى الآخـرين وهجائهم وفرض إتاوات عليهم ، أو الانحراف عن المسيرة الصحيحة للحياة إلى نوع من الكر والفر والصعلكة المعيبة والفتوة الكاذبة٠

لم يكن الإسلام فى بدء الدعوة معنيا بالشعر قدر عنايته بالجهـاد فى سبيل الله، ولم تخفت الكلمة ولم تتوار فـى النـوادى والتجمعـات القبلية العتيقة، وقد مورس شىء من المراقبة لخصوم الإسلام، وتنبـه لهم وتجهزت للرد عليهم مجموعة من شعراء الدعوة للرد عليهم٠

لم يقف الإسلام ضد الشعر ، ولم يحارب شاعرا محافظا التـزم حدوده، ولم يتوجه لإحياء عصبية قديمة ولا قبليـة ممقوتـة، وهتـف

حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة، وكعب بن زهير بأشعارهم بما فيها من صدق وحب وجمال ٠

وقد تجمع فى الساحة الأدبية الجديدة فى عصر المبعث شعراء الغزل مع شعراء المديح والهجاء والرثاء وغيرها تحت مظلة الأخلاق والمبادئ التى جاء بها الدين الجديد، ولذلك كانت دعوة لبيد دعوة إيمانية تتوافق مع عقيدته وحبه وإيمانه بالإسلام ٠

من حديث الجهاد بالأندلس

"أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم، والعدو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر" (من خطبة لطارق بن زياد) (١)

لقد عاش المسلمون بالأندلس ثمانية قرون، كانت حافلة بالمجد والنصر، كما كانت مجللة فى بعض المواقف بالهزيمة والخزى ، أما السنوات الأولى من الفتح فتشهد بالبطولة والعزة والفخار، خاصة انتصارات طارق بن زياد الذى فتح كثيرا من مدن البربر حتى بلغ طنجة فدخلها، وأسلم أهلها.

وواصل طارق فتوحاته، فدخل الأندلس من (جبل) نسب إليه فعرف بجبل طارق ودخل الجزيرة الأندلسية فى حوالى اثنى عشر ألفا معظمهم من البربر، وذلك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة، وازدادت قوته بالجيش الذى تجمع على أرض هذه الجزيرة الخضراء إلى أن علم بهم الملك الأندلسى (لذريق) فجمع جيشه الذى بلغ زهاء أربعين ألفا ، وقيل سبعين، ومعه آلات الحرب ومتاع الجيش، وهو على سريره بين دابتين، وعليه مظلة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد بالصورة التى كان يتحلى بها وليتحصن بها قادة الجيوش وملوك الدول فى هذه الفترة من عمر الزمن إلى أن صار على مقربة من جيش المسلمين بقيادة طارق بن زياد .

عندما بلغ اقتراب جيش لذريق إلى طارق لم يتطرق الخوف إليه، ولم يظهر أمام جنوده بالقائد الذى يضعف أو ينهار، وإنما بدا متماسكا

---

(١) نفح الطيب للمقرى جـ١ صـ٢٤٠ .

قويا صلدا راغبا فى نقل مشاعره وإحساسه ومنابع القوة فى أعماقه إلى جنوده الذين تمرسوا على القتال، وأقبلوا على الجهاد بنفوس راضية مطمئنة، فقام (ابن زياد) مستحثا جنوده على الاستبسال والدفاع عن المواقع التى نزلوا فيها ، وداعيا فيهم إلى صوت الجهاد.

قال : أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر، واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته، وأقواته موفورة، وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم ...".

والواضح من الخطبة التى حفظتها كتب التاريخ أنها ليست إلا ترغيبا فى الجهاد، ودعوة للاستبسال ، ولم تكن ترهيبا من العدو الذى يقف أمامهم أو من البحر الواسع الذى يمتد ويتسع خلفهم، ذلك لأن الجندى المجاهد لا يقاتل عدوه وهو خائف مذعور من بحر أو عدو، ولو كان الأمر بهذه الصورة الظاهرة المكشوفة لامتلأت قلوب المقاتلين بالذعر والهلع واليأس من النصر.

لقد اختار طارق بن زياد الطريق الواضح والحنكة العسكرية والصدق المطمئن ويتمثل فى مصارحة الجنود ، وكشف الحقائق أمامهم من حيث الموقع الذى احتلوه وهو الأرض المحصورة بين جيش العدو ومياه البحر، وأن طريقهم إلى النصر لا يكون إلا بالصدق مع النفس والصبر على القتال.

وتحقق النصر للجيش الفاتح بقيادة طارق بن زياد، ثم لحق به فى مرحلة تالية موسى بن نصير بجيش آخر دخل به الأندلس، وتوالت فتوحات المدن واحدة بعد أخرى إلى أن تحقق ما كان هذان القائدان يسعيان إليه تحت راية خليفة المسلمين فى دمشق.

ونظن أن مسألة حرق السفن أو إغراقها لا أساس لها من الصحة، وقد قرأت فى بعض المصادر التى غابت عنى أن هذا القائد لم يكن بهذا السفه والطيش، وأنه ربما أخفاها عن الجنود فأشيع ذلك بينهم.

الحضارة المصرية

"أيها الجنود إن أربعين قرنا تنظر إليكم من قمة هذه الأهرام"[(١)] .

من كلام نابليون بونابرت

إن هذه الكلمة التى لازالت مستقرة وثابتة على جدار الزمن، والتى استحث بها (نابليون) جيشه قبل دخوله واشتباكه مع جيش المماليك بقيادة (مراد بك) فى موقعة إمبابة الشهيرة فى الحادى والعشرين من يوليو عام ١٧٩٨ .

لقد استطاع الفرنسيون وهم مقبلون على القتال أن ينظموا أنفسهم، وأن يستثمروا تخلف المماليك عنهم فى الأسلحة والتنظيم وحسن القيادة.

ولم يكن (بونابرت) قبل أن يأمر بالهجوم يملك الوقت ولا الصوت اللذين يستطيع بهما أن يخطب فى جنوده الذين انتشروا على عدة أميال، ولابد أنهم كانوا فى حيرة من أمر هذه الأهرام حيث لاحت لهم بكتلها الضخمة الغامضة، وأن يشهدوا فى الجانب الأيسر قباب القاهرة ومنائرها المزدهرة اللامعة .

لم يكن (نابليون) مشغولا بالقول، ولكنه كان مهموما بالقيادة والرغبة فى سحق المماليك، وإن كلمته الموجزة أو ملاحظته الخالدة المؤثرة ربما لم تصل إلا للقليل من ضباطه الذين تصادف وجودهم

---

(١) انظر كتاب (بونابرت فى مصر) لمؤلفه ج. كريستوفر هيرولد صـ١٠٧ — مكتبة الأسرة بمصر .

على مقربة منه فى تلك اللحظة، ولكن المؤكد أن كيانه كله دبت فيه الحيوية الشديدة فى تلك اللحظة وهو يشعر أنه يصنع التاريخ على مشهد من أقدم الآثار المعروفة للإنسان.

لقد هزم المماليك، وخيم الذعر على القاهرة، وحاول الناس الهروب منها، وكانوا يرجعون من بولاق فى بكاء ونحيب ويلطمون وجوههم فى حسرة وأسى، وذكر الجبرتى أنها كانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر، ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين فما راءٍ كمن سمعا.

وجاء فى كتاب (بونابرت فى مصر) [1] "ليس من المؤكد أن الجنود الفرنسيين المعسكرين بإمبابة عشية ٢١ يوليو كانوا على علم بأنهم خاضوا معركة من أشهر معارك التاريخ، وأن أربعين قرنا كانت تطل عليهم خلالها، ولكنهم كانوا على علم تام بأنهم غنموا غنائم خيالية.

إذا كان الفرنسيون قد انتصروا فى موقعة إمبابة وغيرها فإن معظم أسباب النصر ترجع إلى ضعف الاستعداد المصرى تحت حكم المماليك أكثر من رجوعها إلى قوة الفرنسيين وحسن تنظيمهم، وهم الذين لقوا مقاومة شديدة فى الإسكندرية وشبراخيت ورشيد ، وفى القاهرة وقرى الصعيد ومدنها وأن خروجهم النهائى من مصر لم يكن بسبب هزيمتهم من الإنجليز فى موقعة أبىقير فحسب، وإنما كان

---

(١) السابق صـ١١١ .

مرجعه إلى المقاومة العنيفة من الشعب المصرى إلى جانب بعض الأسباب الأخرى.

لقد انبهر نابليون وجنوده بالحضارة المصرية القديمة، وقد كانوا بعيدين عن الأهرام بمسافة عشرة أميال تقريبا فى معركة إمبابة لكنهم استشعروا عظمة هذه الآثار الخالدة ورأوا أنهم يقاتلون لاحتلال بلد يشهد تاريخه وحاضره ، وآثاره وواقعه بمقدار ما يتميز به من عراقة ومجد وحضارة.

إن تاريخ مصر وحضارتها قبل الإسلام وبعده كان محركا قويا للدماء المصرية لكى تغلى كراهية وضيقا من هذا المحتل القادم من الغرب، إذ أن تاريخ الوطن والله يشهد بالرفض العارم لكل من جار عليهم، وتجرأ على ترابهم، فقاوموه، وتصدوا له حتى سلم لهم هرما ونيلا وأزهرا وتاريخا عريقا حافلا بالحضارة والمجد من الإسكندرية حتى أعماق الوادى فى الجنوب .

إن كلمة نابليون الموجزة المطابقة لمقتضى حاله، وحال جنوده تشهد بعمق الحضارة المصرية واستمرارها وتمردها على المحتل الذى تحدث عنها، فهذه الأهرامات التى كانت منتشرة فى الفضاء الرحب على مقربة من النيل، تحول دون هزائم الفرنسيين ولم تفدهم قواتهم شيئا وهم يتراجعون القهقرى حتى عادوا إلى بلادهم خزيا وعارا وانكسارا.

بلاغة سعد زغلول

"الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة" سعد زغلول •

إن هاتين الجملتين كانتا شعارا قويا نادى به زعيم الأمة سعد زغلول، وجعله مبدأ لحزب الوفد، إذ تحدث به فى خطاب عام ، ولم يختف بوفاته عام ١٩٢٧م ، ولكنه بقى فى ذاكرة الأمة مرتبطا بهذا الزعيم الخالد الذكر •

وكان سعد زغلول من الخطباء المفوهين، ومن أرباب البلاغة والأدب والبيان، إذ تعلم فى الأزهر، ودرس الحقوق، وعرك الحياة السياسية ، ونادى باستقلال مصر فى العديد من المحافل الدولية ودخل السجن بعد أن فصل من وظيفته، ثم خرج من محبسه ليعمل بالمحاماة، وتولى وزارة المعارف ثم الحقانية، ثم أقيل فانتخب فى الجمعية التشريعية، وقاد الشعب فى المطالبة بالاستقلال بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها•

لم يكن سعد زغلول هادئا فى نقاشه لاستقلال مصر، ومطالبته بالحرية مما أوقعه فى خلاف شديد مع عدلى يكن باشا، وكان محبوبا من الشعب، وفاز الوفد بالكثير من الانتصارات، وتولى سعد رئاسة مجلس النواب، ونفى إلى مالطة وسيشيل، واستولى على ألباب الناس ببراعته فى الخطابة وقوة حجته، ونصاعة بيانه ومتانة أسلوبه•

وقد تميز سعد بالمقدرة الفائقة فى الخطابة والكتابة، وقد بعث مرة رسالة إلى الشيخ محمد عبده جاء فيها : "معذرة على الإطناب فليس لدى وقت للإيجاز" لأن الإيجاز أصعب من الإطناب وكثرة الكلام،

حيث يحتاج إلى تركيز وتدقيق وعمق، وكان يخطب أربع ساعات متواليات دون أن يكرر جملة أو يتلكأ، ويتكثر باللغو مع حرصه على براعة التفكير وبلاغة الأداء ليشتمل الشعار المذكور أولا على فقرتين مهمتين تمثل كل واحدة منها مطلبا فى ظل الحياة التى كانت تعيشها مصر مع نهاية الحرب العالمية الأولى.

أما الأول فهو أن الحق فوق القوة، فإذا كان الإنجليز يمثلون القوة، وقد كانوا جاثمين فوق صدور أهل الوطن فإن حق الشعب فى الحرية ومطلبه فى الاستقلال، ورغبته فى الخلاص ممن أكلوا خيراته، وسلبوه موارده، كل تلك الحقوق تتقدم وتعلو على قوة هؤلاء المحتلين ومن يسايرهم وأية قوة أخرى تنمو فى داخل الوطن وترى فى وجود المحتل مكاسب لها.

أما الجزء الثانى فيمثل الأمة أو الشعب جماعة أو فرادى ممثلين لأنفسهم أو مختارين بالانتخاب النزيه النظيف للتعبير عن غيرهم، فهم يمثلون القوة التى تنتقد الحكومة ، وتوقفها عند حدود السياسة المحددة لها أو وفق الميزانية التى تديرها وتشرف عليها.

لقد عاش سعد زغلول حياة قلقة لم ينعم فيها بالهدوء والاستقرار؛ إذ كان صاحب رؤية سياسية فى المطالبة بالاستقلال وإدارة شؤون البلاد، وكانت الحياة الحزبية تختلف أكثر مما تتفق ، وبقى شعاره "الحق فوق القوة، والأمة فوق الحكومة" بيانا ناصعا تتحلى به جريدة المصرى من عام ١٩٣٦م إلى عام ١٩٥٤م، وجريدة الوفد الجديد فى السنوات الأخيرة.

طريق النجاح

"النجاح يفتح الأبواب لمن يحب أن يراه"[١] عباس محمود العقاد

يستسلم كثير من الناس إلى اليأس والتراخى والخمول بدعوى أن الأبواب موصدة فى وجوههم ، وأن فرص العمل قليلة نادرة، وأن النجاح صعب عسير، وهذه أوهام خطيرة لا ينبغى للشخص أن يركن إليها، بل لابد لمن يريد النجاح أن يطرق الأبواب، وأن يحاول فتح المنافذ الصحيحة، والوصول إلى الهدف المنشود.

تتهاوى العزائم، وتضعف الطاقات المخزونة فى أعماق بعض الناس، فيسلكون طرقا غير مشروعة، وأساليب يحرمها القانون، فينحرفون عن الجادة، ويستسهلون مكسبا سهلا يتيسر لهم الوصول إليه، ثم يحلو لهم هذا الانحراف والتردى فيمارسونه مرة وأخرى، ويمهلهم الله وقتا لمراجعة الضمير، وحساب النفس فإذا تنبهوا للمحظور ، وأيقنوا خطورة سلوكهم، وأقلعوا عن الغواية، وعادوا إلى صوابهم فإن الأمر لا يعدو أن يكون سقطة أو زلة أفاقوا منها برجوعهم إلى الصواب والطريق القويم، فإذا لم يتنبهوا لهذا الاختيار، واستسلموا لغواية الضمير ورغائب النفس الأمارة بالسوء فإن نهايتهم لن تطول، وإن حسابهم لن يتأخر، وإن عقابهم سيكون قاصما، وساعتها سوف يندمون، ولكن بعد فوات الأوان.

---

(١) أهرام يوم الجمعة ٢٢/ ٧/ ١٩٨٣م.

إن العمل الجاد ، والإخلاص والتفانى فيه سوف يثمر تحقيقا قريبا للطموحات فإن من يواصل طـرق أبـواب النجـاح بقـوة وعزيمـة واستمرار سوف يلج ويدخل إلى قصب السبق وتحقيق الغاية.

ربما لا يكون السعى حرا شريفا، ويأتى الوقوع مبكـرا ومـدويا فتتهاوى الرغائب والآمال فى مرحلة مبكرة من العمر، ويكون الأمـر صعبا وخطيرا .

أما الذين يركنون إلى ميراثٍ آلَ إليهم، أو مال تجمع لـديهم، أو مكافأة حصلوا عليها، واكتفوا بذلك، وتوقفـوا عـن العمـل، وماتـت الطموحات لديهم فإن رحلتهم مع الحياة سوف تفقد كثيرا مـن لـذاتها، وتختل مسيرة أعمارهم بما يخضعون له من كسل رهيب، وتراخ غير شريف.

إن الراغب فى النجاح سوف يصل إليه يومـا مـا دام حريصـا عليه، محبا له، راغبا فيه، ذلك أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وأن ألف قـول لا تعـدل فـى الميزان عملا واحدا[1] كما قال جمال الدين الأفغانى.

أما الذين يشغلون بضياع الفرص، والجدل العقيم الذى لا يثمـر، ولا يطرقون الأبواب، ويكتفون فى سعيهم إلى النجاح بكـلام عقـيم لا يقدم ولا يؤخر ، فإنهم لن يصلوا، وستكون الأبواب موصدة أمـامهم، ماداموا خانعين كسالى يكتفون بالكلام الأجوف، ولا يسعون إلى العمل الطموح.

---

(١) أهرام الجمعة ١٩/ ٧/ ٢٠٠٢ .

لقد كان العقاد صورة متميزة للشخص الذى لا يستسلم للواقع، ويسعى ويحاول بعزيمة جبارة تحول معها من شخص بسيط فى تعليمه وحياته إلى الإنسان المثقف الذى يرفض المستحيل ، فظل حريصا على العلم لم يتوقف عند مرحلة معينة بل استمر عصاميا يأخذ من كل فن بطرف حتى وصل إلى درجة رفيعة فى شتى الفنون والآداب.

فى الوطنية والشجاعة والحرية والاستقلال

"لقد خلقنا الله أحرارا ، ولم يخلقنا تراثا وعقارا ، فوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ولا نستعبد بعد اليوم"•

يرجع تاريخ هذه الكلمة إلى يوم الوقفة الشهيرة فى ميدان عابدين بالقاهرة، عندما اعتلى أحمد عرابى ابن هرية رزنة صهوة جواده ، وسيفه فى يده ، وخلفه قرابة ثلاثين ضابطا من خيرة رجاله؛ لعرض طلبات الجيش والأمة فى يوم الجمعة التاسع من سبتمبر عام ١٨٨١م على الخديو توفيق والذى خرج من القصر وإلى جواره وزراؤه وحراسه، وقناصل الدول وبعض الأجانب فى هذا الموقف الشهير•

وقد تحدث أحمد عرابى فى مذكراته عن هذا اللقاء، قال : ولما وقفت بين يديه مشيرا بالسلام خاطبنى بقوله: "ما هى أسباب حضورك بالجيش إلى هنا؟"

فأجبته بقوله:"جئنا يا مولاى لنعرض عليك طلبات الجيش والأمة، وكلها طلبات عادلة•

فقال: "ما هى هذه الطلبات؟"•

فقلت: "هى إسقاط الوزارة المستبدة، وتأليف مجلس النواب على النسق الأوربى، وإبلاغ الجيش إلى العدد المعين فى الفرمانات السلطانية ، والتصديق على القوانين العسكرية التى أمرتم بوضعها"•

فقال (الخديو) : "كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها، وأنا ورثت ملك هذه البلاد عن آبائى وأجدادى وما أنتم إلا عبيد إحساننا"•

فقلت : "لقد خلقنا الله أحرارا ، ولم يخلقنا تراثا وعقـارا، فـوالله الذى لا إله إلا هو إننا سوف لا نورث ، ولا نستعبد بعد اليوم"٠

تعبر هذه الكلمة عن قوة عرابى وشـجاعته ووطنيتـه وإيمانـه العميق بحق الأمة فى الحرية والاستقلال ، ومواجهتـه للخـديو أمـام القصر الذى لا زال قائما شاهدا بموقعه وفضاءاته الواسعة على أحداث التاريخ وقد أجيبت طلبات هذا البطل الثائر والصقر المغوار بالتـدريج بعد ساعة واحدة من هذه المواجهة الحاسمة ٠

لقد قدم عرابى فى هذا الموقف كلمته الصادقة التى تعيها ذاكـرة الزمن، معبرا بها عن وطنيته الخالدة، ورغبته العارمـة فـى الكفـاح والوطنية والتضحية والبذل والعطاء٠

إن قصة أحمد عرابى ذلك الضابط الذى تربى فى حضن الريف يحفظ القرآن الكريم، وينهل من علوم الأزهر هى قصة كل مصـرى وكل زعيم مخلص غيور على حرية وطنه واستقلال بـلاده، وكانـت مواقفه نارا ألهبت حماس المصريين فى الدفاع عـن أراضـيهم مـن مطامع الإنجليز المتلهفين على احتلالها منذ زمن بعيد ٠

فى الأخلاق الفاضلة

"ليتنى طفلا لا يكبر أبدا، فلا أنافق ولا أهادن ، ولا أكره أحـــدا"

جبران خليل جبران

كان جبران مفطورا على الصدق والرفق واللين، محبا للحيـــاة ، مؤمنا بكرامة الإنسان ، وقد صدر له فى آخر حياته كتـــاب بعنـــوان (دمعة وابتسامة) قال فيه:

"جئت لأقول كلمة، وسأقولها، وإذا أرجعنى الموت قبل أن ألفظها يقولها الغد، فالغد لا يترك سرا مكنونا فى كتاب اللانهاية وختم مقالـــه الذى منه هذه الكلمة قائلا : "والذى أقوله الآن بلسان واحد يقوله الآتى بألسنة عديدة ... "٠

وكانت أمنية جبران مستحيلة عسيرة، وهو أن يبقى طفلا صغيرا لا يكبر أبدا . ليعيش حياته على السليقة والفطرة التى فطر الله النـــاس عليها ٠

وهذا التمنى للمستحيل يكشف عن أمنية هذا الشاعر الإنسان الذى أقبل على الحياة، وتعايش معها، ورغب أن يحياها البشر بلا نفاق ولا حقد ولا كراهية ، ولا مهادنة مع الآخرين بمعنى التعامل مع ســكون مصحوب بِغِلٍّ دفين كما يقول المثل العربى القديم "هدنة على دخن"٠

"ولعل أحب الناس إلى قلب جبران هو ابن الفطرة وابن الطبيعـــة أكان راعى أبقار أم كان حراثا أم عاملا لا سلاح فى يده غير المعول، ولعل أبغض الناس إليه هم الذين يتظلمون أبنـــاء الفطـــرة والطبيعـــة،

فيهضمون حقوقهم، ويمتهنون كرامة الإنسان فيهم، ويقدمون إليهم السم في الدسم"[١].

عاش جبران في مهجره بأمريكا ، لكنه لم ينس أخلاق الشـــرق، ومبادئ الشرق التي تبثها الأديان إلى البشر ، فكان يحن إلى موطنـــه الأصغر (لبنان) ثم يعود إلى عالمه الأكبر وجـــدانيا، متشـــبعا بـــروح التقديس للحب .

لقد كره جبران مساوئ الإنسان التي يبتلى بها، ولا يتحرر منهـــا مثل النفاق والمهادنة والكراهة، وتمنى الحياة بطبيعة الصـــغار الـــذين يحيون في لهو ومتعة وصفاء ونقاء.

كشفت كتابات هذا اللبناني المهاجر ، والفيلسوف المفكر، والأديب العاشق عن أساه وكآبته من صور الأسى واللوعة التي تغطي ســـماء الكثيرين وتكشف أيضا عن بذور الإيمان المبصر الذي يدفع إلى واحة الاستقرار الروحي.

لم تكن مبادئ جبران إلا دعوات كريمة للأخلاق الفاضلة والمثل العليا، والمبادئ السامية التي تأخذ بيد الإنسانية إلى الهـــدوء والمحبـــة والسلام . لكن هذه المبادئ الفاضلة لم تجد الكثيرين من البشر الـــذين يؤمنون بها، ويدعون لها، ويحرصون عليها، وذهب الرجل إلى وادي النسيان مخلفا تراثا ضخما من كتب النثر ودواوين الشعر، لكي تكـــون زادا لكل راغب في المعرفة والحرية والانعتاق من شـــهوات الـــنفس وتقلبات الفكر وأزمة الضمير.

---

(١) الأعمال الكاملة (مقدمة بقلم ميخائيل نعيمة صـــ١٣) .

فى الغذاء والدواء

غذاؤك دواؤك[١] أبقراط

عاش هذا الطبيب اليونانى الفذ سبعين عاما موزعة بين القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد[٢] واشتهر فى صحائف التاريخ بأنه أبوالطب إذ حاول فصله عن الخرافات والغيبيات، وأخضعه للنظام العلمى.

حرص أبوالطب على مراقبة المرضى، والكشف عن علامات الأمراض وأعراضها فى هذه المرحلة المبكرة من عمر وتاريخ هذا العلم المتميز بين البشر، ووضع دستورا لآداب هذه المهنة، واستطاع هو ومن جاء بعده من أطباء الإغريق جمع وتغطية مساحة واسعة من الملاحظات الطبية القيمة، وبقيت خالدة ـ لم تندثر ـ حتى وصلنا منها الكثير.

يكشف الطب الإغريقى عن عقلية أصحابه المنهجية فى دراسة الأمراض وإرجاعها إلى أسبابها الطبيعية فى الوقت الذى كان الطب القديم يعتمد على السحر والخرافات.

ومن الأقوال المأثورة عن أبقراط :

ـ فن الطب لا حدود له بينما الحياة قصيرة.

ـ المرض المستعصى يحتاج لعلاجه كثيرا من الأمل.

---

(١) جريدة الأهرام فى يوم ١٩/ ١١/ ١٩٨٠م.

(٢) من (٤٦٠ق.م إلى ٣٧٠ق.م) ويكتب اسمه مترجما هكذا (هيبوقراط).

ـ طعام بعضكم سم للبعض الأخر ٠

واشتهر أبقراط بالقسم[١] الذى يعبر عن القيم والمثل والمبادئ التى ينبغى للطبيب أن يتحلى بها فى سلوكه ومهنته كالمحافظة على أسرار المهنة، وعدم تقديم أفعال مؤذية تلحق بالمرضى، ومما جاء فيه: أقسم أن أتبع نظام العلاج الذى أؤمن تبعا لقدرتى أنه فى صالح مرضاى، وامتنع عن كل ما هو ضار ومؤذ ..."٠

والجملة المذكورة (غذاؤك دواؤك) على وجازتها تضع دستورا مهما فى علاقة الإنسان بالطعام والدواء، وهى جملة من كلمتين اثنتين لكنها تحتاج إلى العديد من المؤلفات لتأكيد حقيقتها، فكم من أناس يؤمرون بتخفيض أغذيتهم وتقليل كمياتها، وأناس يطلب منهم زيادة نوعيات الطعام بما يتوافق مع حاجات أجسامهم، وأن الدواء البسيط أفضل من المركب، وأن أول ما ينصرف إليه توجيه الأطباء لمرضاهم هو تقنين الغذاء بما يتوافق مع حالات الأبدان قوة وضعفا٠

لقد اتفق الأطباء على أنه متى أمكن التداوى بالغذاء لا يلزم استعمال الدواء[٢]، وتعد كثرة الطعام من أخطر الأضرار التى تصيب الإنسان بالسمنة والمرض، كما أن الحرمان من الغذاء يلحق أضرارا أخرى٠

وأن الطعام المناسب للجسم ولحالة الإنسان والمريض بخاصة هو أفضل وأصح دواء يمكن أن يسهم بدور رئيسى فى تحقيق الشفاء، وأن الغذاء يؤدى دورا ــ مع الدواء ــ فى تحقيق السلامة للجسم ومقاومة الأمراض٠

---

(١) انظر الموسوعة الثقافية وقصة العلم صـ٤١ ٠
(٢) الطب النبوى صـ٩ ٠

فن الكتابة بين الأفراح والأتراح

"إن السعداء لا يجدون وقتا للكتابة" **الكاتب الإيطالي بيراندلو**

يخضع كل أديب أو عالم أو مفكر لأسلوب أو منهج فى الكتابة يختلف من شخص لآخر ، وأكثر ما تكون الدوافع للتعبير ناجمة عن حزن أو معاناة تجعل الكاتب مدفوعا للكتابة والتنفيس عما بداخله، فإن المبدعين يلجؤون للشكاية إلى الورق إذا انتابهم حزن وقلق، ولذلك فأكثر الكتابات ناجمة عن حسرة ومعاناة، فالذى يحب ويخفق فى حبه ينطوى على نفسه، ويكتب عما بداخله، والذى يعانى فى بحوثه وتجاربه، أو فى قصصه ورواياته، أو فى أشعاره وأزجاله يجد فى الكتابة متسعا للألم، وهروبا من الواقع ومحاولة للانتصار عليه، وعدم الاستسلام له.

أما السعداء فليس لديهم الوقت الكافى للتفكير فى الكتابة، إذ أنهم أساسا لا يحتاجون لها، ولا ينشغلون بها، فهم منغمسون فى سعادتهم ولا يعنيهم ما يلحق بالآخرين، وإذا شرعوا فى الإمساك بالقلم فإن الجو النفسي والتجارب المحيطة بهم لا تسعفهم بالصدق فى القول والأمانة فى التعبير.

ولحافظ إبراهيم كلمة خالدة يعبر فيها عن نفسه وتجربته قال : "لا يطيب لى نظم الشعر إلا إذا كنت محزونا"[١].

---

(١) ملوك وصعاليك ــ صالح جودت صــ٢٤٧ .

وهى تتوافق مع كلمة (بيراندلو) فى أن المحزونين هم الذين يكتبون، ويطيب لهم نظم الشعر، وتأليف الكلام، والتعبير عن الحزن·

فالسعداء لا يجدون الوقت الكافى عند (بيراندلو) ولا يطيب لهم نظم الشعر إلا فى حالات الحزن حسب رؤية حافظ إبراهيم·

تشهد الحياة المعاصرة كثيرا من الكتابات المتميزة فى سائر الفنون والآداب والعلوم كتبها أصحابها وهم فى غياهب السجون، أو على أسرة المرض، أو فى المنافى داخل أوطانهم أو خارجها، ولو استقامت الحياة بالنسبة لكل منهم ما كتب كل واحد فيهم جميع ما أبدعه وأجاد فيه، وقدمه للناس، وعبر به عن مأساته وأحزانه فى الحياة، كما أن أشعار الرثاء وتصوير حياة البؤساء ، والكتابة عن المعذبين فى الأرض تتميز بالصدق فى القول والمعاناة فى التجربة·

إن مقولة (بيراندلو) مع القناعة بها وسريانها على الألسنة ليست صحيحة على الإطلاق، فكثير من السعداء يرغبون فى تصوير أفراحهم وانتصاراتهم بالكلمة الجميلة، والعبارة الرشيقة والجملة المهذبة مثل رسائل الحب وقصائد العشق وخطب الانتصارات·

وتذكر كتب الأدب العربى قصة الشاعر الجاهلى الشنفرى الأزدى، فقد تربص له خصومه، وحملوه إلى منازلهم، وبدأوا فى تعذيبه، وكانوا قد أرادوا قتله، فطلبوا منه قبل الشروع فى الإجهاز عليه أن ينشدهم بعض شعره، وهو فى هذه الحالة، فقال لهم: "إنما النشيد على المسرة"[1].

---

(١) عن أهرام الجمعة ٧/ ٧/ ١٩٩٥م·

أى أن الإنسان لا يستطيع الإنشاد إلا فى حالة السرور والفــرح والابتهاج وليس فى وقت التعذيب والمهانة.

وهكذا نجد أن بعض الناس لا يكتب إلا إذا كان تعسـا مهمومـا، والآخر لا يكتب إلا إذا كان فرحا مسرورا، وذلك حسب طبيعـة كـل شخص فى الاستعداد للكتابة والشروع فيها، كمـا أن غالبيـة الـذين يحملون القلم يخضعون فى كتاباتهم للمنهج الذى يحكمهم، ويرضـون به، ولا يحيدون عنه والفيصل فى الأمر كله هو الصدق فـى التعبيـر والإخلاص فى الكتابة، والخضوع للتجربـة التـى ينصـهرون بهـا، ويتجاوبون معها بقناعة وأمانة وإخلاص.

الالتزام الأدبى

"ينبغى للإنسان ألا يكتب إلا إذا ترك بضعة من لحمه فى الدواة كلما غمس فيها القلم"[(١)] **"تولستوى"**

تولستوى أديب روسى أحسن التعبير عن كثير من قضايا بلده، وعبر عن تفكيرها وإحساسها، وكان حريصا على توثيق العلاقة بين الأدب والمجتمع ، ومؤمنا بأن فساد المجتمع ناتج عن فساد الخلية الأولى وهى الأسرة، فقدم رواية جسد فيها رؤيته لعلاج العائلة وهى (الوفاء والطلاق)٠

عاش تولستوى حياة أرستقراطية فى بواكير حياته، لكنه انصرف عنها إلى نمط من الحياة الديمقراطية التى تذيب الفوارق بين أفراد الشعب مع الإيمان بحرية التعبير ، والصدق فى القول، والتعبير عن الرأى، ولذلك اتجه إلى الحياة، والعيش بين أفراد الشعب، والكتابة عن قضاياهم ٠

كان إيمان هذا الأديب العالمى الكبير فى التعبير عن قضايا وطنه عظيما، فكانت دعوته إلى الصدق الأدبى، والكتابة فيما يمليه عليه ضميره، وليس على حسب رغبات الآخرين، ومن هنا كانت كلمته الخالدة الباقية دستورا للأجيال التى عاشت فى عصره أو جاءت من بعده٠

---

(١) عن رسالة (فن المقالة عند على أدهم) بكلية اللغة العربية بالمنصورة صـ١٥٨ نقلا عن كتاب (ألوان من أدب الغرب)٠

لا يراد بهذه العبارة المذكورة أن يتحول الأديب بقلمه إلى الفن المأساوى دون سواه، وإنما المعول عليه هو الصدق الفنى ، والإيمان بالمبادئ التى يؤمن بها، إذ لا يليق بكرامته وموقعه فى مجتمعه أن يتخذ فنه وسيلة للتكسب، أو أن يكتب بما يمليه عليه الآخرون، أى أنه يأبى الخضوع للإلزام القسرى، وكان هم تولستوى أن يدافع عن مبادئه بدافع من الالتزام الحر النزيه، مع أنه قد تحول بإعجابه إلى كثير من الأعمال الأدبية التى تجسد هذه المبادئ مثل البؤساء لفيكتور هيجو .

اهتدى تولستوى إلى أهمية الإدراك الحسى الدينى فى إنماء الإخاء بين البشر، وحب بعضهم لبعض، ولعل هذا هو السر فى إقبال الكثيرين من أهل الشرق على النزعة الاجتماعية والقناعة بكثير من المبادئ الاشتراكية فى كتابات بعض الأدباء الروس خاصة إذا لم تتعارض مع الأديان .

كان تولستوى من أشد الدعاة للحفاظ على القومية الروسية، لكنه لم يوفق فى إيمانه واقتناعه بأن الدين يؤدى إلى إصلاح المجتمع، إذ أن الفرد كان خاضعا لمجموعة من العادات والأخلاق والنظم التى لم يستطع أن ينفك منها، وأن ذلك يحتاج إلى إصلاح الأسباب التى تعين المجتمع على هذا التغيير .

جاء الأدب الواقعى انقلابا على الأرستقراطية مما أفزع الطبقات الحاكمة فى روسيا، وكان تحول تولستوى إلى الواقعية مثيرا للدهشة والإعجاب واتخذ (جان جاك روسو) أبا روحيا له، والبطل فى أعماله

الروائية يندمج فى المجتمع ، لأن هذا الأديب من الشعب ويكتب للشعب وقد حاول تسليم ميراثه من الأرض للفلاحين ، ولكن الأسرة منعته من إنفاذ ما عقد العزم عليه، وقد آمن (غاندى) بالكثير من أفكار تولستوى.

كانت دعوات (روسو) و(تولستوى) و(غاندى) إرهاصات للثورات التى قامت فى وطن كل منهم، ويبقى تولستوى زعيما للحرية والاستقلال والمذهب الواقعى، ومبشرا بالثورة الاشتراكية .

من الفلسفة الإغريقية

"تكلم حتى أراك" [(١)] **سقراط**

لم يترك سقراط أثرا مكتوبا، ولكن تلميذه أفلاطون كان واحدا ممن سجلوا كثيرا من أقواله.

وكان يتحدث إلى الناس فى الفضيلة والعدالة والتقوى ، وما إليها، وكان يتبع مع الذين يتحاورون معه منهج (التوليد) وذلك بأن يعاون من يحاوره على استخراج المعرفة من دخيلة نفسه، فإذا كان سوفسطائيا تهكم عليه[(٢)].

إن حديث الشخص أهم ظاهرة فى الدلالة على ثقافته ومعارفه، وعندما يتكلم فإنه يستطيع أن يبرز ما يكنه بين جوانحه، ولذلك فإن الصمت أفضل الوسائل التى يتستر بها الإنسان حتى لا يفضح نفسه بما يتحدث به إذا كان الكلام فارغا لا قيمة له.

كانت معارف سقراط شرا ألحق به أخطر ما وجه به فى حياته، فقد اتهم بإفساد عقائد الشباب، فحوكم ، وحكم عليه بالموت، ففضل أن يشرب السم قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام ، وتلك مأساة مبكرة فى تاريخ الثقافة اليونانية، وذهب الرجل ضحية لفكره وآرائه وفلسفته فى الحياة.

---

(١) أهرام ١٠/ ٤/ ١٩٩٥م .
(٢) الموسوعة الثقافية صـ٥٦٤ .

إذا عجز الإنسان عن الرؤية الحقيقية لفكر الآخرين، ولم يجد لديه وسيلة للمعرفة سوى الاستماع إليهم، فإن ما ينطقون به ويفصحون عنه كاف فى التعرف عليهم ورؤيتهم رؤية حقيقية كاشفة غير خادعة.

يحرص كثير من الناس على الثرثرة والحديث فيما لا يجيدونه ولا يحسنون التعبير عنه، وعند ذلك تسقط هيبتهم، ولو أنهم صمتوا لكان ذلك خيرا لهم ، ولكنهم أبوا إلا أن يتحدثوا فيما لا يفهمونه، فكان ذلك شرا عليهم وأذى لحق بمن استمع إليهم، ومن هنا كان الكلام أفضل ما يعبر عن الشخص وما عدا ذلك فهو خادع مثل الشكل والهيئة وما عداهما.

ليست الفصاحة فى كثرة الكلام فإن الحديث الطويل يفتقد لقيمته إذا لم يكن مطابقا لحال المستمعين، وكذلك الكلام الموجز ليس بالضرورة هو المستحسن المرغوب، والكلام الجيد هو المطابق لحال القارئ أو المستمع طولا وقصرا.

إن الذين يحبون الجدل، وينشغلون به ، فينصرفون عن تنظيم أفكارهم، وترتيب أحاديثهم إنما يقعون فى أخطاء جسيمة خاصة إذا كان كلامهم فى غير ما يحسنونه ويفهمون فيه.

مما قيل فى هذا الموضوع منسوبا إلى الإمام الشافعى ذلك الموقف الذى يذكر فيعجب الإنسان منه ، وذلك عندما كان هذا الإمام يحاضر فى الناس ويفتيهم فى الحلال والحرام، وإذا بشخص مهيب الطلعة يقبل عليه ويراه الشافعى فيحدث له من الارتباك ما جعله

يضطرب فى محاضرته، وكان قد اعتدل فى جلسته تقـديرا للرجـل القادم والجديد على مجلس الشافعى ، فلما تكلم هذا الوافد الجديـد بمـا كشف عن مقدار ثقافته وعلمه، فهدأ الشافعى وقال كلمته المؤثرة:

"آن للشافعى أن يمد رجله" دلالة على أن شـأن الرجـل بسـيط للغاية، يخول للشافعى أن يهدأ نفسا ويمد رجليه بلا وجل.

فى الأدب والنقد

١ - أولية الشعر العربى.

٢ - طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى.

٣ - محمد مندور ناقدا.

٤ - الأدب العبرى .

٥ - البناء اللغوى وأثره فى الأدب.

٦ - الأدب الإسلامى بين الأمل والواقع.

٧ - أدب أكتوبر بين الحلم والواقع.

٨ - فى نادى الطائف الأدبى .

٩ - (الحقيقة الغائبة) رد من المؤلف.

١٠ - عرض لمحاضرة عن الغموض فى شعر أبى تمام.

١١ - تقرير عن بحث بعنوان : شعر أبىطالب بن عبدالمطلب فى مناصرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

أولية الشعر العربي (*)

عندما عرض القدماء للبكاء على الأطلال في افتتاح القصائد ذكروا امرأ القيس الذى كان أميرا للشعر فى عصره، حيث سبق الشعراء إلى ابتداع المعانى والتعبير عنها، وافتتح أبوابا من الشعر، وطرق موضوعات كثيرة لم يسبق إليها، وعبر عن كل ذلك بعبارة جزلة وسبك محكم وأسلوب رصين. ولكنه ذكر بيتا أثار العديد من الأقوال والتكهنات وهو قوله:

عُوجا على الطللِ المحيلِ لأننا ∴ نبكى الديار كما بكى ابن خُذَامِ

(عوجا: اعطفا، المحيل: الذى أتى عليه الحول فتغير، لأننا: بمعنى لعلنا)•

من هو ابن خزام أو ابن حمام كما تقول بعض الروايات؟ لا ندرى ، إذ لم يتحدث القدماء أو المحدثون عن هذا الرجل الذى بكى على الديار قبل امرئ القيس محوطا بالضبابية والخفاء، وكل ما يقال عن هذه المرحلة لا يعدو أن يكون ضربا من الحدس والتخمين الذى يفتقر إلى الأسس العلمية والمعايير الصحية ، كما أن ليس هناك من النقوش والوثائق ما يخدم تلك الفترة، ولذلك اضطرب القدماء فى حديثهم عن هذه الأولية اضطرابا يبعث على الضحك أحيانا، وعلى التوقف والعجب فى أحيان أخرى•

(*) نشر هذا الموضوع فى كتاب(امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين للمؤلف)•

مرويات القدماء :

ذكر (كارل بروكلمان) مقولة لأبىعمرو بن العلاء جاء فيهـا "إن امرأ القيس أول الشعراء وذا الرمة آخرهم"[١] وليس المقصود بالأولية هنا السبق والتقدم ، وإنما يراد بها الإجادة والتفوق، فلـيس ذو الرمـة آخر الشعراء كما هو معروف، ومثلها ما جاء بالعمدة من قولهم "بـدئ الشعر بكندة يعنى امرأ القيس، وختم بكندة يعنى أباالطيب"[٢].

ويعد ابن سلام من أوائل من بحثوا باهتمام عـن أوليـة الشـعر العربى، حيث تحدث فى أول الطبقات عن أوائل الشعراء الجـاهليين، وكان يرى أن الشعر فى أول عمره عبارة عن مقطوعـات صـغيرة يقولها الرجل فيما يعرض له، قال : "ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل فى حاجته، وإنما قصدت القصـائد، وطـول الشعر على عهد عبدالمطلب، وهاشم بن عبدمناف، وذلك يـدل علـى إسقاط شعر عاد وثمود وحمير وتبع.." [٣] .

ثم قال : "وكان أول من قصد القصائد، وذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب وائل، قتلته بنوشيبان، وكـان اسـم المهلهل عديا، وإنما سمى مهلهلا لهلهلة شعره كهلهلة الثـوب، وهـو اضطرابه واختلافه"[٤].

---

(١) تاريخ الأدب العربى ١/ ٢٢٢ .
(٢) العمدة لابن رشيق ١/ ٨٩ .
(٣) الطبقات ٢/ ٢٦ .
(٤) الطبقات ١/ ٣٩ .

وهكذا يرى ابن سلام أن الشعر الجاهلى قد بـدأ فـى صـورة مقطوعات، ثم تطور وتحول إلى الشكل المتعارف عليه، وهو القصيدة بفضل المهلهل بن ربيعة الذى عاصر أحداث حرب البسوس.

وقد أكد الجمحى رفضه للأولية المشبوهة التى قال عنها : "فنحن لا نقيم فى النسب ما فوق عدنان، ولا نجد لأولية العـرب المعـروفين شعرا، فكيف بعاد وثمود؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث، ولم يـرو قـط عربى منها بيتا واحدا، ولا راوية للشعر، مـع ضـعف أسـره وقلـة طلاوته"[١] ، وهكذا طعن فى مرويات ابن إسحاق من الشعر المنسوب إلى عاد وثمود.

ثم جاء الجاحظ فحدد مائتى سنة كأقصى عمر للشعر العربى قبل الإسلام قال: "فأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن، أول من نهـج سبيله، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعـة، فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام"[٢].

وهكذا يرجع الجاحظ ولادة هذا الفن إلى مائتى سنة قبل الإسـلام على أكثر تقدير، ونعتقد أن رأى الجاحظ الذى تناقلته الـرواة يحجـب مرحلة كبيرة من عمر هذا الفن كانت بالطبع ـ مشحونة بالعديد مـن التجارب والإرهاصات التى انبثق من مخاضها شعر امـرئ القـيس ورفاقه المعاصرين له أو المتقدمين عليه ببعض السنين مثل المهلهـل

---

(١) الطبقات ١/ ١١ .
(٢) الحيوان ١/ ٧٤ .

وأبى داؤد الإيادى، وكليب بن ربيعة وعبيد بن الأبرص وعمرو بن قميئة وغيرهم. ولكن المرحلة المتقدمة التى سبقت هذا الجيل غامضة، وغير واضحة المعالم والشخصيات ولهذا يعد ما يقال عنها من باب الشك الذى لا يرقى إلى اليقين .

أما ابن قتيبة فقد عقد فصلا تحدث فيه عن هؤلاء الأوائل بإيجاز، وهو تابع فى ذلك لابن سلام قال : "لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجة"[١] ثم ذكر نماذج شعرية لبعض الشعراء القدامى الذين يمثلون المرحلة الأولى التى تسبق عصر امرئ القيس، ويلاحظ على النماذج الشعرية التى تمثل هذه المرحلة أنها مقطوعات قصيرة لا تأخذ شكل القصائد المطولة ، ولكنها تعبر عن طفولة هذا الفن، وأنها البداية الحقيقية للمرحلة الثانية التى تميزت بعدد من الشعراء النابغين، إذ أن واقع الأشياء والقانون الطبيعى للتطور يؤذن بسبق ظهور القصيدة فى أيام المهلهل بالعديد من المحاولات والتجارب الجادة .. ولا يعقل أن تكون النشأة أو الولادة التى تمت فى المرحلة الأولى غير كافية، ولذلك تضاربت الأقوال عن الشعر فى هذه الفترة، وشابتها شوائب عديدة ، ولذا قنع الكثيرون بما قاله الجاحظ ، وارتضوا تأريخه لحياة الشعر العربى، وغضوا أبصارهم عما اكتنف المرحلة الأولى من خلط وتشكيك واضطراب. ومما ساعد على القناعة برؤية الجاحظ ـــ مع عدم الرضا بها والموافقة التامة عليها ـــ ما أوردته بعض كتب الأدب من أشعار منسوبة إلى آدم

---

(١) الشعر والشعراء ١/ ١١٠ .

وإبليس وبعض الملائكة وبعض العماليق وعاد وثمود، بل تجاوزت هذه الآثار القديمة حدود الضحك والعبث ، والإفك أيضا، فنسبت الأشعار إلى الجن . ولا يليق بنا فى العصر الحاضر أن نعرض لهذه المرويات القديمة والتى لا يخفى على أحد ما فيها من نحل وعبث وافتراء ٠

آراء المحدثين :

نظر المحدثون إلى الفترة التى سبقت المائتى سنة، والتى ارتضاها الجاحظ كبداية للشعر الجاهلى نظرة شك وارتياب، ولم تكن أقوالهم على درجة من اليقين الذى يرقى فوق رؤية ابن سلام وابن قتيبة ومن صادق على وجهتيهما ٠

ورأى (بروكلمان) أن العرب عرفوا السجع فى تلك المرحلة الأولى وهو النثر المقفى المجرد من الوزن فقال: "والسجع هو القالب الذى كان يصوغ العرافون والكهنة فيه كلامهم وأقوالهم كما جاء فى القرآن"[(١)] ثم ترقى السجع إلى بحر الرجز المتألف من تفعيله واحدة، ومن هذا البحر نشأ البناء العروضى للشعر حيث تكون البيت من مصراعين وقافية فى نهاية الشطر الثانى ، وتتجه نظرة بروكلمان ــ كما سبق ــ إلى القوالب الفنية للشعر العربى مع نفيه القاطع لأن يكون العروض العربى قد نشأ على أساس شعر اليونان. ويمسك الدكتور شوقى ضيف عن الخوض فى تلك المرحلة الأولى حيث يقول: "والحق

---

(١) بروكلمان ١/ ٥١ ٠

أنه ليس بين أيدينا شيء من وزن يدل على طفولة الشعر الجاهلي وحقبه الأولى، وكيف تم له تطوره حتى انتهى إلى هذه الصورة النموذجية التي تلقانا منذ أوائل العصر الجاهلي"(١).

ويعرض لما قاله بعض القدماء والمحدثين حول ظهور الرجز كأقدم أوزان الشعر العربي، وأنه تولد من السجع مرتبطا بالحداء ووقع أخفاف الإبل في أثناء سيرها وسراها في الصحراء ، ثم تولدت منه الأوزان الأخرى .. وهو بذلك يشير إلى رأي بروكلمان الذي ذكرناه آنفا . ثم قال : "وكل ما يمكن أن يقال هو أن الرجز كان أكثر أوزان الشعر شيوعا في الجاهلية، إذ كانوا يرتجلونه في كل حركة من حركاتهم وكل عمل من أعمالهم في السلم والحرب ، ولكن شيوعه لا يعني قدمه ولا سبقه للأوزان الأخرى إنما يعني أنه كان وزنا شعبيا لا أقل ولا أكثر"(٢).

ويرى الدكتور يوسف خليف في كتابه عن الشعر الجاهلي أن القصيدة العربية التي ظهرت أيام حرب البسوس هي قصيدة مكتملة التقاليد، ويؤكد على ضرورة سبقها بمحاولات كثيرة، وتجارب متعددة، قام بها الرواد الأوائل من الشعراء الجاهليين، ثم يعرض لآراء القدماء والمحدثين من خلال ما أسماه بالنظرية العربية القديمة وبالنظرية الحديثة، ولم يرتض النماذج التي ذكرها القدماء عن المرحلة المتقدمة حيث يكتنفها الشك والاتهام، ويرى أن ما قاله المحدثون لا يرقى –

(١) العصر الجاهلي ١٨٦ .
(٢) المرجع السابق ١٨٦ .

أيضا – إلى اليقين وأنه مجرد فرض مثلما قال شوقي ضيف . ويرى أن الشعر العربي "قد بدأ غناء، وأن هذا الغناء بدأ رجزا، وأن هذه البداية كانت بداية طبيعية مرتبطة بحياة البادية التي ظهر فيها هذا الشعر أول ما ظهر .." [١] .

وهكذا اقتنع بما رآه (بروكلمان) حول هذه الأولية . أما عن البداية الحقيقية فقد أرجعها إلى المهلهل بن ربيعة بطل حرب البسوس الذي يعد الرائد الأول والذي أعطى القصيدة صورتها المعروفة وشكلها التقليدي. ويعد ما كتبه يوسف خليف عن أولية الشعر العربي من أوسع ما كتب حول هذا الموضوع .

وأخيرا:

لقد مر الشعر العربي بمرحلة طويلة من عمر الزمن كانت مليئة بالتجارب الفنية سواء من خلال المقطوعات كما قال القدماء أو خلال الرجز كما ذكر المحدثون، وأن هذه المرحلة التاريخية مليئة أيضا بالاضطراب لما اعتورها من شك واتهام حيث يرفض العقل كثيرا من النماذج التي رواها القدماء من شعر يرجع بعضه إلى مرحلة لم تكن اللغة العربية قد ولدت هي وأخواتها الساميات .

أما المحاولات الأولى مع الإقرار بأهميتها والاعتراف بها كتعبير عن منطق التطور إلا أنها لا تستند إلى أدلة قوية لإقرارها والتأريخ لها، وكل ما يمكن قوله لا يتجاوز حدود الظن والافتراض ، ذلك لأن

(١) دراسات في الشعر الجاهلي ٤٤ .

القبائل فى عصر التدوين كانت معنية بنسبة الأشعار إليها، ولــذلك لا نستبعد ما قاله القدماء حول إمكانية الإضافة أو النحــل للكثيــر مــن الأشعار التى تأتى تعبيرا عن عصبية قديمة أو عن أحــداث تعوزهــا الأدلة والبراهين. فعمر الشعر أكبر بكثير مما قاله الجاحظ، ولكن هــذا الكبر غير واضح لنا تماما، وكل ما قيل حوله غير معــروف كجهلنــا بحقيقة ابن خذام الذى ذكره امرؤ القيس فى بيته السابق٠

أما ما ذكره القدماء من شعر عربى لآدم وإبليس والعمالقة القدماء مثل الهكسوس الذين أغاروا على مصر فى العصور القديمة، والجــن والملائكة فإنه من الأمور التى تثير الإشفاق على مــن تعقبــوا هــذه الأشعار وتحدثوا عنها، وأفردوا لها الصفحات تلو الصفحات من غيــر أن يحترموا العقلية العربية فى القديم والحديث على السواء٠

طبقات فحول الشعراء
لابن سلام الجمحى(*)

يأتى كتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحى(١) فى مقدمة الكتب النقدية التى وصلت إلينا من السنوات الأولى لعمر التأليف الأدبى، حيث لم يسبق هذا الكتاب – فى مدى علمى – إلا بكتاب للأصمعى باسم (فحولة الشعراء)٠

وقد اشتمل كتاب ابن سلام على مقدمة ضافية اعتمد عليها الكثيرون قديما وحديثا ، لما فيها من قضايا وآراء فى الأدب والنقد٠

أما موضوع الكتاب فهو الحديث عن الشعراء الجاهليين والإسلاميين من خلال منهج لم يكن غريبا على البيئة الأدبية فى نهاية القرن الثانى للهجرة، حيث قسم المؤلف الشعراء المشهورين إلى طبقات ، بعد تحرى الأشعار التى نسبت لهم، والروايات التى تحدثت عنهم، ليكون حكمه صائبا ونقده عادلا . وقد جعل من كثرة الشعر وجودته أساسا أو معيارا لاختياره للشعراء وترتيبه لهم، مع استعانته بأقوال الرواة والإخباريين فى تقرير مبدأ الشهرة الذى جرى عليه تقسيم الشعراء إلى طبقات ٠

(*) مجلة الطائف السنة العاشرة العدد ١٠١ ذو القعدة ١٤٠٨هـ – يونيو يوليو سنة ١٩٨٨م ، وطبع فى عدة صفحات من كتابنا (امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين)

(١) ولد محمد بن سلام الجمحى بالبصرة عام ١٣٩هـ، وتوفى بها عام ٢٣١هـ، أو ببغداد عام ٢٣٢هـ، وسمع من شيوخ اللغة والحديث والأدب مثل الأصمعى، وبشار بن برد، وسلام بن عبيدالله الجمحى (أبيه) وسيبويه، وأبىعبيدة (معمر بن المثنى) ومروان بن أبىحفصة، وغيرهم.. وأخذ عنه جمع كثير منهم: أبو خليفة الفضل بن الحباب بن محمد الجمحى ، وهو ابن أخت (محمد بن سلام) وثعلب (أحمد بن يحيى) وأبوحاتم والرياشى٠

قسم الجمحى شعراء الجاهلية والإسلام إلى عشر طبقات ، وجعل كل أربعة شعراء طبقة ، قال : "ففصلنا الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام والمخضرمين الذين كانوا فى الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنقلناهم منازلهم، واحتجنا لكل شاعر بما وجدنا له من حجة، وما قال فيه العلماء. وقد اختلف الناس والرواة فيهم .. فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألفنا متشابه شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة متكافئين معتدلين[1].

أى أنه تحدث عن المبرزين المقدمين فجعل كل أربعة من النظراء فى طبقة واحدة، وإن بقى هذا التوفيق الطبقى مفتقرا إلى الأسس الواضحة التى يستهدى بها فى معرفة أوجه التقارب والتشابه بين الشعراء، إذ نرى بعضهم فى طبقة واحدة، وليس بينهم شبه ظاهر أو محتمل، وما زلت أسأل نفسى عن السبب الذى خول لابن سلام أن يجمع بين امرئ القيس وزهير والنابغة والأعشى فى طبقة واحدة !

أما منهجه للاختيار فقد بناه على الأساس التاريخى، حيث تحدث عن الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين، وإن لم يجعل للمخضرمين طبقات محددة، بل وزعهم على طبقات أخرى ، وذكر من جميع هؤلاء ثمانين شاعرا . كما بنى اختياره أيضا على الأساس المكانى، فتكلم عن شعراء البلدان العربية، واختار خمسة من شعراء المدينة وتسعة من شعراء مكة ، وخمسة من شعراء الطائف ، وثلاثة من شعراء البحرين.

---

(١) الطبقات تحقيق محمود شاكر ١/ ٢٣، ٢٤ .

واختار ثمانية من شعراء اليهود كأساس دينى فى الاختيار، كما اختار أربعة من الشعراء المجودين فى فن الرثاء، لأن هذا الفن "أغزر ألوان الشعر بالعاطفة، فهو شعر الحسرة واللوعة، الذى يبين فيه الشعور الصافى والعاطفة الصادقة، بعد زوال أسباب الرغبة والرهبة من ميت لا يرجي خيره، ولا ترهب سطوته"[١].

وبلغ مجموع من اختارهم مائة وأربعة عشر شاعرا على اختلاف أزمانهم وبيئاتهم وعقائدهم ومنزلتهم فى قول الشعر، ومقدار ما خلفوه من تراث فى هذا الفن.

ويؤخذ على ابن سلام إغفاله لبعض معاصريه مثل مروان بن أبيحفصة ومسلم بن الوليد، وبشار بن برد وغيرهم . وليس هناك من سبب مباشر لذلك إلا أن يكون الرجل قد وقع ضحية التعصب للقديم ، أو أنه خشى الضيق والحرج من نقده لشعر من أغفلهم ، وربما خفيت علينا الأسباب الحقيقية لهذا المنزع المريب.

قضية الانتحال:

تحدث ابن سلام فى مقدمة كتابه عن أولية الشعر الجاهلى،وانطلق من حديثه عن هذه الأولية إلى بحث قضية الانتحال بحثا مبنيا على الحجج والبراهين،مع أنه لم يكن أول من عرض لنحل الشعر ووضعه، فقد سبقه المفضل الضبى، فانتقد حمادا الراوية، وكشف أكاذيبه[٢]، كما

---

(١) دراسات فى نقد الأدب العربى ــ طبانة / ص١٦٤ .
(٢) انظر الأغانى ــ دار الكتب ــ ٨٩ / ٦ .

انتقده أيضا يونس بن حبيب فقال : "وكان يكذب ويلحن ويكسر"[١] ، كما تقدم على ابن سلام فى الحديث عن الشعر الموضوع الأصمعى وأبوعمرو بن العلاء وأبوعبيده وغيرهم، إذ كان بحث الانتحال فى عصر ابن سلام أمرا طبيعيا لمعاصرة هؤلاء الرواة والنقدة للحقبة التى انتقل فيها الشعر من عصر الرواية إلى مرحلة التدوين، وقد زاد حرصهم على الشعر المدون، فبدءوا فى تمييز صحيحه من زائفه، وتأكيد نسبة كل قول إلى صاحبه، ليكون الناس ـ فى قابل الأيام ـ على بصيرة من تراثهم وسجل حضارتهم وديوان أجدادهم .

تجاوز ابن سلام مرحلة الأقوال المرسلة إلى مرحلة أخرى جديدة فى عمر النقد الأدبى، فعقد فى أول كتابه عن طبقات الشعراء مقدمة شاملة، عرض فيها لمجموعة من القضايا النقدية ، ويعنينا منها قضية الانتحال، لأنها من المسائل المهمة فى تاريخ النقد الأدبى، ولاتصالها بتقويم الشعر العربى فى العصر القديم.

ولقد تحدث عن الانتحال وذكر أسبابه فقال: "فلما راجعت العرب رواية الشعر ، وذكر أيامها ومآثرها، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم، وما ذهب من ذكر وقائعهم، فأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم. ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا لأشعارهم التى قيلت، وليس يشكل على أهل العلم زيادة الرواة ولا ما وضعوا، ولا ما وضع المولدون"[٢].

---

(١) الطبقات لابن سلام ٤٩/ ١ .
(٢) الطبقات لابن سلام ٤٦/ ١ .

أبان ابن سلام فى كلامه السابق قضية النحل فى بعض الشعر الجاهلى،وأرجع ذلك إلى سببين،أولهما العصبية القبلية فى بعض العشائر التى استقلت شعر شعرائها، فأرادوا النهوض بمن له الوقائع والأشعار، فقالوا على ألسنة شعرائهم ما لم يقولوه. وثانيهما الرواة الذين زادوا فى الأشعار التى قيلت.على أن نقدة الشعر يستطيعون كشف هذا الشعر الموضوع، وبيان ما دونه الرواة، وما وضعه المولدون.

وتصدى صاحبنا لرفض بعض النماذج الشعرية التى ترجع فى تاريخها إلى عاد وثمود، والتى تناقلها الرواة من أمثال محمد بن إسحاق بن يسار راوى الأخبار والسير، الذى لم يكن له علم بالشعر .. "فكتب فى السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جاوز ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم أشعارا كثيرة، وليس بشعر إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول: من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه منذ الآلاف من السنين والله تبارك وتعالى يقول: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[1] أى لا بقية لهم، وقال أيضا:﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾[2] وقال فى عاد : ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[3] ولم يكتف بهذه الأدلة المتنوعة بل أضاف إليها

---

(١) الأنعام ٤٥ .

(٢) النجم ٥٠ ، ٥١ .

(٣) الحاقة ٨ وانظر طبقات فحول الشعراء جـ١ ص ٨ .

أدلة أخرى، ليؤكد حجته فى وضع هذا الشعر ونحله منها:أن العربية لم تكن موجودة على عهد عاد، فكيف تذكر الأشعار بلغة لم تكن موجودة؟ وقد استشهد على ذلك بقول يونس بن حبيب : "أول من تكلم بالعربيـــة، ونسى لسان أبيه إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما"(١) ومنها أن عادا التى نسب إليها محمد بن إسحاق هذا الشعر الموضوع من اليمن، ولغة اليمن تختلف عن لغة العرب الشماليين مستندا هنا بقول أبىعمرو بن العلاء: "(ما لسان حمير وأقاصى اليمن اليوم بلساننا، ولا عـــربيتهم بعربيتنا)، فكيف بمن على عهد عاد وثمود مـــع تداعيـــه ووهيـــه؟" (٢) ومنها أن القصائد الطويلة لم تعرف إلا على عهد عبدالمطلب وهاشـــم ابن عبد مناف، وكان أول من طولها المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب، وجاء من بعده امرؤ القيس وجماعة من شعراء الجاهلية.

ولم يكتف ابن سلام بحديثه عن محمد بن إسحاق ــ كواحد مـــن الوضاعين ــ بل ذكر آخرين مثل حماد الراوية الذى قال عنه : "وكان أول من جمع أشعار العرب، وساق أحاديثها: حماد الراوية، وكان غير موثوق به، وكان ينحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيـــد فى الأشعار"(٣) وقدم ابن سلام عددا مـــن الروايـــات المنســـوبة إلـــى أصحابها، وكلها يؤكد على ريادة حماد للانتحال فى تلك الفترة. ثم نقل إلى كتابه رواية لأبىعبيدة عن واحد من الوضاعين، قـــال: "أخبرنـــى أبوعبيدة أن ابن داؤود بن متمم بن نويرة قدم البصرة فى بعض ما يقدم

---

(١) المصدر السابق ٩/ ١ .
(٢) المصدر السابق ١١/ ١ .
(٣) الطبقات لابن سلام ٤٨/ ١ .

له البدوى من الجلب والميرة فنزل النحيت (قرية صغيرة بالبصرة) فأتيته أنا وابن نوح العطاردى، فسألناه عن شعر أبيه متمم، وقمنا له بحاجته ، وكفيناه ضيعته[١] ، فلما نفد شعر أبيه جعل يزيد فى الأشعار ويصنعها لنا، وإذا كلام دون كلام متمم، وإذا هو يحتذى على كلامه، فيذكر المواضع التى ذكرها متمم والوقائع التى شهدها. فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله"[٢] ومن الشعراء الذين وقعوا ضحية لهذا المنعطف إبان تدوين الشعر الجاهلى طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص، حيث بقى لهما على ألسنة الرواة آنذاك القليل الذى لا يتناسب مع مكانتيهما .. "فلما قل كلامهم حمل عليهما حمل كثير"[٣].

ولا ينبغى أن يؤخذ بعض ما قاله ابن سلام، ويترك البعض ، فتفهم مروياته على أنها طعن فى الشعر الجاهلى كله، ولربما أساء البعض تناول هذه المرويات ـ بقصد أو بدون قصد ـ واقتطع من كلام الرجل ما يؤكد منحاه فى طعن الشعر القديم طعنة مؤلمة. كما أنه ليس للبعض أيضا أن يتجاهل كلامه بحجة التعاطف مع هذا الشعر، وعدم تعريضه للأهواء والنزعات، وكلا الأمرين خطأ جسيم. فلابد أن نأخذ كلام الرجل كله، ونُقّبل على تمحيص التراث، وتقويم الرواة بما يميز الصحيح من الفاسد .

لقد عرض ابن سلام لقضية الانتحال عرضا موسعا، ودرس أسبابها، وتحدث عن الرواة الوضاعين، ولم يغفل عن حسم ما أثير

---

(١) كسبه وتجارته .
(٢) الطبقات لابن سلام ٤٨/ ١ .
(٣) المصدر السابق ٢٦/ ١ .

حولها من نزاع، فوضع حدا لفوضى الشك فى الشعر الجاهلى، وذكر عددا من الرواة واللغويين والإخباريين الذين عرفوا بالصدق فى القول، والأمانة فى النقل، منهم أبوعمرو بن العلاء الذى قال عنه : "وسمعت يونس يقول: لو كان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله كله فى شىء واحد، كان ينبغى لقول أبىعمرو بن العلاء فى العربية أن يؤخذ كله، ولكن ليس أحد إلا وأنت آخذ من كلامه وتارك"[١]، وممن امتدحهم أيضا: خلف الأحمر والأصمعى، وأبوعبيدة والمفضل الضبى .

وإذا اجتمع هؤلاء العلماء والرواة وغيرهم من الموثوق بهم على إبطال شىء من هذا الشعر، فليس لأحد أن يقبل المدون منه فى الصحف المخطوطة التى لم تعرض على الرواة . "فأما ما اتفقوا عليه، فليس لأحد أن يخرج منه"[٢].

وإذا كان بحث ابن سلام لهذه القضية غير منظم سواء فى المقدمة أم فى صفحات الكتاب فإن ذلك شأن المحاولات الأولى، إذ تأتى ما بعدها، لتفيد منها وتضيف إليها، على أن انشغال الرجل بقضية الشعر الموضوع، لم يصرفه عن التعرض لبعض المسائل النقدية الأخرى التى بحثها فى كتابه المذكور .

---

(١) الطبقات لابن سلام ١٦/ ١ .
(٢) المصدر السابق ٤/ ٢ .

محمد مندور
ناقداً(*)

أوشك العام الثلاثون على وفاة الدكتور/ محمد مندور أن ينتهي دون أن تمحى ذكراه من وجدان الأدباء والنقاد والمثقفين المعاصرين، الذين تتلمذوا عليه، ونهلوا من كتبه ومترجماته ومقالاته المتنوعة، والتى يتلقفها القراء فى دور العلم، وأندية الأدب والصحافة وحقوق الإنسان.

إنه عميد النقاد وشيخ الأدباء الذى ولد فى كفر مندور التابع لمنيا القمح عام ألف وتسعمائة وسبعة ميلادية، وتعلم القراءة والكتابة فى كتاب القرية، والذى حفظ فيه أيضا بعض الأجزاء من القرآن الكريم، وواصل تعليمه الابتدائى بمنيا القمح إلى أن نال الشهادة الابتدائية عام ١٩٢١م، وتخرج من المدرسة الثانوية بطنطا عام ١٩٢٥م، وحصل على الليسانس فى الآداب، والليسانس فى الحقوق من جامعة القاهرة، وكان من الأوائل فى سائر مراحله التعليمية، ولكن تكوينه العقلى والثقافى والإنسانى لم يتحقق بصورة كاملة إلا فى الفترة التى قضاها أثناء بعثته فى فرنسا للحصول على الليسانس من السوربون فى الآداب واللغات اليونانية القديمة، وإعداد إطروحة جامعية للحصول على

(*) أذيع المقال فى برنامج أعلام الفكر المعاصر بإذاعة البرنامج الثقافى فى يوم الثلاثاء الحادى والعشرين من فبراير ١٩٩٥م (الخامس والعشرون من رمضان ١٤١٥هـ).
ونشر فى جريدة الأهرام يوم الجمعة التاسع من يونيو عام ١٩٩٥م

الدكتوراه فى الأدب العربى، ذلك لأنه أعجب آنذاك بمناهج تعليم اللغة والأدب فى التعليم الفرنسى، وشرح ذلك فقال:

"فالتعليم فى فرنسا يقوم فى جميع درجاته على قراءة النصوص المختارة من كبار الكتاب وتفسيرها، والتعليق عليها، وفى أثناء ذلك يتناول النظريات العامة والمبادئ الأدبية واللغوية بالعرض عرضا تطبيقيا تؤيده النصوص التى يشرحونها .

والجامعات الفرنسية لا تلقى بها محاضرات ولا دروس عن العلوم النظرية التى تتصل بالأدب فلا نحو ولا بلاغة ولا نقد ولا تاريخ أدب فرنسى، وإنما يعالج كل ذلك أثناء شرح النصوص، ومن هنا قلما نجد فى اللغة الفرنسية كتابا فى النقد الأدبى النظرى على نحو ما نجد فى اللغة الإنجليزية مثلا"[١].

وقد تحقق له الشق الأول من بعثته بحصوله على الليسانس فى الآداب والدبلوم فى الاقتصاد وفلسفة النظم الغربية والتشريع المالى، وحالت الحرب العالمية الثانية دون حصوله على الدكتوراه، فعاد من فرنسا ليبدأ صراعا جديدا فى الجامعة والصحافة وسائر مناحى الحياة.

وتزوج فى عام ١٩٤١م من طالبة بقسم اللغة العربية فى كلية الآداب متوهجة الذكاء، عميقة المشاعر، وتقول الشعر همسا مليئا بالشجن والإحساس ، ولم تكن إلا الشاعرة (ملك عبدالعزيز)، والتى ذكرها الدكتور طه حسين، فقال: "والغريب أن مندور" تزوج زميلة له

---

(١) فى الميزان الجديد ص٤ .

فى الجامعة وهى السيدة ملك عبدالغزيز، وكانت بارعة فى الشعر وأذكر أننا حين أردنا امتحانها شفويا لنيل درجة الليسانس لم نسألها عن شىء وإنما طلبنا منها أن تنشدنا شيئا من شعرها، ثم أجزناها، وكانت اللجنة مؤلفة من الأستاذين أحمد أمين وعبدالوهاب عزام رحمهما الله ومنى"[١].

وحصل (محمد مندور) على الدكتوراه بإشراف الأستاذ أحمد أمين، وموضوعها (تيارات النقد العربى فى القرن الرابع الهجرى) وهى التى طبعت فى كتاب بعد ذلك بعنوان (النقد المنهجى عند العرب).

وتنقل بين التدريس فى كلية الآداب جامعة القاهرة، وكلية الآداب جامعة الإسكندرية، وشارك فى التدريس بالمعهد العالى للصحافة، ولم يستمر بالجامعة، فاستقال منها فى عام ١٩٤٤م، وعمل بالصحافة، فكتب فى الثقافة، والرسالة والمصرى والوفد والبعث وصوت الأمة وغيرها.

ويمثل كتابه (كتابات لم تنشر) بعضا من غضبه وألمه ومعاناته قبل ثورة ١٩٥٢م فعمل بالمحاماة مدة، واقتحم السياسة عن طريق اشتراكه فى مجلس النواب الذى كان عضوا به فى انتخابات عام ١٩٥٠م، وكانت سنواته بعد الثورة مليئة بالنشاط والحركة، فكان يكتب بالعديد من الصحف والمجلات، ويدرس بمعهد التمثيل ، ويلقى محاضراته فى المعهد العالى للدراسات العربية التابع لجامعة الدول

---

(١) جريدة الأخبار فى ٢٢/ ٥/ ١٩٦٥م.

العربية من عام ١٩٥٣م إلى أن توفى مساء يوم التاسع عشر من مايو عام ١٩٦٥م٠

وحياة هذا الرجل مع النقد طويلة وشاقة، ويمثلها العديد من كتبه ومؤلفاته، وهى مذ طبعت ملء السمع والبصر، وحديث الأدباء والنقاد، نذكر منها (النقد المنهجى عند العرب)، ومحور البحث فيه (الموازنة) للآمدى، و(الوساطة) للجرجانى، حيث تبرز من خلالهما نظرية الجمال فى الأدب ، والتى دعا إليها فى أوائل مؤلفاته٠

أما كتابه (فى الميزان الجديد) فهو فى أصله مجموعة من المقالات التى نشرها فى مجلتى الثقافة والرسالة بعد عودته من أوربا، ويناصر فيه عدة قضايا نقدية هامة مثل وظائف النقد، وتناول الأدباء للأسطورة، والهمس فى الأدب وشعراء المهجر، والعلاقة بين النقد والعلوم الإنسانية، والمنهج النفسى فى دراسة الأدب، ذلك المنهج الذى ثار حوله جدل كبير بين (محمد مندور) من جانب، و(عباس العقاد وسيد قطب ومحمد خلف الله أحمد) من جانب آخر، وبحث فيه نظرية النظم عند عبدالقاهر الجرجانى والذوق الأدبى وغيرها، وأهداه إلى أستاذه الدكتور/ طه حسين ٠

فهذان الكتابان يمثلان المرحلة الأولى من عمر هذا الناقد، وهى مرحلة الاهتمام بالناحية الجمالية التى يرتكز النقد فيها على الجانب التأثيرى عند القدماء وبعض المحدثين٠

أما الاتجاه الثاني في نقده فقد اعتنى فيه بالجانب الوصفي التحليلي ، ويمثله ويعبر عنه مجموعة من الكتب أعدها من نتاج محاضراته في معهد الدراسات العربية مثل إبراهيم المازني وخليل مطران وإسماعيل صبري وولى الدين يكن والشعر المصرى بعد شوقي (ثلاثة أجزاء) والأدب ومذاهبه، والأدب وفنونه وبعض كتبه عن المسرح.

أما الاتجاه الثالث فتمثله مرحلة النقد الأيديولوجي والتي يراها امتدادا للمرحلتين السابقتين؛ لأن الجانب الاجتماعي (أو الاشتراكي) لا ينفصل عن الجانب الجمالي، وكتب لذلك عن الثقافة والمجتمع وآفات النفوس ووظائف الدولة والنواحي الاقتصادية وغيرها، وليرجع من شاء إلى بعض كتبه في هذا الاتجاه مثل (الثقافة وأجهزتها) و(كتابات لم تنشر) وغيرها .

عرف الدكتور محمد مندور النقد الأدبي، وذكر أنه فن دراسة الأساليب وتمييزها وأنه روح كل دراسة أدبية بشرط أن نأخذ لفظة الأسلوب بمعناها الواسع، فليس المراد من الأسلوب طرق الأداء اللغوية فحسب، بل المراد منحى الكاتب العام، وطريقته في التأليف والتفكير والإحساس على السواء، وقال: "النقد في أدق معانيه هو فن دراسة الأساليب وتمييزها"[1] ، ولو أضاف إلى ذلك ما يفيد الحكم على الأساليب وبيان قيمتها صراحة؛ لكان أعم وأشمل ولكنه فصل بين التعريف ووظائف النقد.

---

(١) في الأدب والنقد ص١٠ .

ويرى أن الناقد هو الذى يتناول النصوص الأدبيــة ويدرســها، ويميز بين أساليبها، ويحتاج الناقد عنده إلى التجربة الشخصية والذوق الشخصى والتأثر بالعمل الأدبى مع ضرورة المراجعة لعيون المؤلفات الخالدة ؛ لأنها أساس الثقافة، وأنها تصقل الذوق الذى يصير معرفــة، قال: "وأساس النقد الأدبى مهما قلبنا أوجه الرأى لا يمكن إلا أن يكون التجربة الشخصية، وكل نقد أدبى لابد أن يبدأ بالتأثر، وذلك لأنــك لا تستغنى عن الذوق الشخصى والتجربة المباشــرة لإدراك حقيقــة مــا إدراكا صحيحا"[١] واعتماد النقد الأدبى على الذوق الشخصى والتــأثر بالتجربة الشخصية أوجد مذهبين كبيرين أو لونين مختلفين، هما:

١ - النقد الذاتى وهو "النقد القائل بــأن الأدب مفارقــات، وأن التعميم فيه خطر، وأن جانبا كبيرا من الذوق لا يمكن تعليله، ولابد من أن يظل فى النهاية غير محول إلى معرفة تصح لدى الغير"[٢].

٢ - النقد الموضوعى، وهو النقد القائل: "بأن الأصل فى كل نقد هو تطبيق أصول مرعية، وقواعد عقلية، لا تترك مجالا لذوق شخصى أو تحكم فردى"[٣]، والنقد ظل الأدب وهو ملكة مكتسبة، ولكنها تحتاج إلى الصقل بالدربة والمران والتجريب، ولذلك قسم محمد مندور النقــد إلى أربعة أقسام فى ضوء احتياج الناقد إلى التجربة الشخصية.

---

(١) فى الأدب والنقد ص١٠ .
(٢) السابق ص١١ .
(٣) السابق ص١٢ .

أولا : النقد الاعتقادى:

وهو النقد الذى تسيطر عليه معتقدات وآراء سبق أن استقرت عند الناقدين، وهذا اللون أشد أنواع النقد تعرضا للتجريح، وألزم (محمد مندور) الناقد الاعتقادى بأن يسلط ضوء العقل على ما يقول؛ ليتبين فيه مواضع الإسراف، وهذا أمر يكتسب باتساع العقل وبسطة الثقافة، والحذر من الهوى وطول المران، فالأهواء تزداد دائما قوة وتحكما فى الفرد، كلما ازداد أفقه ضيقا، وكلما ازدادت ثقافته فقرا، وازدادت نفسه ضحولا.

ثانيا : النقد العلمى:

وقد ظهر فى أواخر القرن التاسع عشر على إثر النهضة الكبيرة التى تجلت فى البحوث العلمية والطبيعية، وبخاصة علم الحياة.

ثالثا : النقد التاريخى:

وهو الذى يرمى قبل كل شىء – إلى تفسير الظواهر الأدبية والمؤلفات ، وشخصيات الكتابة، فهو يعنى بالفهم والتفهيم أكثر من عنايته بالحكم والمفاضلة، ويحتاج هذا النوع إلى جهد كبير من الناقد أكثر من حاجته إلى مواهب أدبية خاصة.

رابعا: النقد اللغوى:

وهو "النقد الذى يتطلب معرفة صحيحة بتاريخ وتطور دلالات الألفاظ وبخاصة الصفات والألفاظ العاطفية والمعنوية، وذلك لأنه إذا كانت أسماء الماديات ثابتة فإن المعانى المعنوية والعاطفية دائمة التحول"(١).

---

(١) السابق ص٢٤ .

لقد خاض الدكتور/ محمد مندور العديد من المعارك الأدبية والنقدية، وطبع له كتاب بعنوان (معارك أدبية) شرح فيه مذهبه في النقد، وأبان عن رأيه في مجموعة من القضايا التي اختلف حولها مع الدكتور طه حسين وعباس العقاد ورشاد رشدي وغيرهم، كما تحدث الكثيرون عنه وأعد كاتب هذه السطور رسالة علمية بعنوان (محمد مندور ناقدا)، وكتب الدكتور محمد برادة رسالة نقدية بعنوان (محمد مندور وتنظير النقد العربي) باللغة الفرنسية، ثم ترجمها إلى اللغة العربية، ولازالت الدراسات والمؤلفات والمقالات تتوالى عن هذا الناقد الكبير في عالمنا العربي، فقد كان الرجل رائدا عظيما، وشيخ النقد والنقاد في العصر الحديث(١).

---

(١) كتب في (الثامن والعشرون من يناير سنة ١٩٩٥م).

الأدب العِبْرِى

ظهرت الدراسات المقارنة بين الآداب المختلفة فى القرن التاسع عشر، وصار هذا اللون الأدبى ذا مكانة متميزة فى الجامعات العربية، وأصبح الأدب المقارن علما أصيلا من علوم اللغة العربية فى كلياتها المختلفة، فالآثار الخالدة من أدب الإغريق تحتل مكانا بارزا فى آداب متعددة ذات لغات متباينة.

وندرس فى أدبنا العربى "الكوميديا الإلهية" للشاعر الإيطالى "دانتى اليجيرى" وتنتشر فى صحائف الأدب المقارن القصة على لسان الحيوان والمقامات وأوديب الملك وألف ليلة وليلة وغيرها من النماذج الأدبية الرائعة، فالكليات الجامعية المختلفة تعطى الآن الآداب الشرقية لونا من التميز والعناية ، ولما تشتمل عليه من نماذج سامية من الأدب العالى الرفيع وقد كان الاستشراق باعث النهضة العربية، فى الأدب الحديث، ومن هنا فلا نرى مانعا من العناية بالأدب العبرى ـ ودراسة العديد من نماذجه، والتعرف على المناحى المختلفة للشخصية الإسرائيلية خاصة بعد المراحل الطويلة من الصراع السياسى بين الأمة العربية وإسرائيل.

كان الشعراء الإسرائيليون بعد "نكسة ٦٧" يتغنون بالمكاسب الإقليمية التى تحققت بعد حرب الأيام الستة، إلى جانب الاتجاه الآخر الذي لم يخف على المتابع لحركة الشعر الإسرائيلى، والمتمثل فى الخوف والقلق والشعور بالحصار فى كل الأراضى الجديدة التى

ضمت للكيان المدعى لشعب إسرائيل، واختفت تلك الصورة، أو توارث وراء الغمام فى أعقاب "حرب ٧٣"، وتصدى الأدباء العبريون للصلف العسكرى، وتهكموا على قيادات الجيش ، وتحسروا على الواقع المر ، وتملكهم الإحباط واليأس والشعور بالتيه والضياع، ولذلك لابد من دراسة الأدب العبرى، والتغلغل فى نفسية الشخصية الإسرائيلية للإحاطة بها والتعرف عليها خاصة فى السنوات الأخيرة التى شهدت نوعا من تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل ، فضلا عما جرى فى ساحات ومسارات متعددة لذلك التطبيع وآخرها مشروع الاتفاق فيما يخص "غزة وأريحا" ــ و"الضفة الغربية"٠

أما فيما يتصل بما أطلق عليه الاختراق الصهيونى أو العبرى للأدب العربى فنقول :

لماذا نسميه اختراقا؟ ولماذا نسميه غزوا فكريا ؟ ولماذا نصمت حتى يتحقق ذلك خاصة أننا قد اتخمنا من بيانات الشجب والاستنكار فى الساحة العربية ولماذا لا تنشط أقسام اللغات الشرقية فى جامعاتنا ووسائل إعلامنا حتى تقدم الشخصية الإسرائيلة والمزاعم والتصورات الصهيونية كما صورها وتحدث عنها الأدباء العبريون؟

وحتى لا ندع تلك الفرصة تفلت من أيدينا وهى فهم الشخصية الإسرائيلية على حقيقتها من خلال النماذج الأدبية المنشورة٠

والمستفيد الأول من مشروع "اتفاق غزة وأريحا" هم الإسرائيليون والمستفيد الثانى هو الشعب الفلسطينى الذى ينتفض وينزف دمه

ويضيع تاريخه منذ ما يقرب من خمسين عاما، فالمهم أن يكون هنـــاك تغيير .. ليس مهما الآن ـــ ومن هو المستفيد الأول ومن هو المســـتفيد الثاني، وإنما المهم حقا ألا يخسر الفلسطينيون شيئا٠

ومنذ فترة سألت شاعرا فلسطينيا صديقا لى، فقلـــت لـــه: مـــاذا تريدون من إسرائيل، قال: وطننا، قلت: وأقل ما يمكن قبوله؟ قال: قبرا فى بلادى يحتوينى بعد موتى٠

والشيء الذى نخشاه حقا أن يكون مشروع "غزة وأريحا" نهايـــة المطاف ، وأن يقنع الفلسطينيون بما حصلوا عليه، ونأمـــل أن يكـــون الاتفاق نهاية لمرحلة الشتات، وبداية لبعث الوطن٠

أما الأدب العبرى ـــ بكافة أشكاله وأدبائه فـــلا ينبغـــى تجاهلـــه والسكوت عنه ، ولابد أن نهيئ أنفسنا لمرحلة جديدة من الحياة الأدبية فى ظلال المتغيرات البارزة على الساحة الفكرية "المقارنة" وإذا كـــان السياسيون يعملون ويفكرون للمستقبل، فلماذا يقـــف الأدبـــاء والنقـــاد "المقارنون" (العرب) فى أماكنهم دون أن يتحركوا إلى الأمام لدراســـة الأدب العبرى والتعريف به ، وبيان موضـــعه ومكانـــه بـــين الآداب الأخرى٠

البناء اللغوى وأثره فى الأدب

الشكل والمضمون عنصران أساسيان فى بناء العمل الأدبى، والتقصير فى أحدهما أو الاهتمام به على حساب الآخر مسألة خطيرة تتعدى حدود وجهات النظر ، والذين يبالون بالمضمون، ويحبون أن تنقد أعمالهم على أساسه يرتكبون جناية كبيرة فى حق لغتهم وموروث أمتهم وهم على الأقل يشعرون بنقطة ضعف، ويفضلون أن يغفل النقاد والقراء عنها . والمعنى أو المضمون من وجهة نظرهم أهم وأرسخ ، وأعتقد أنهم يحبذون الشهرة من غير محصول، أو الجنى من غير زرع وكد ومشقة . أما كفاهم القول المشهور : "والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العربى والعجمى ..."؟

والخطأ نفسه يقع على من يسرفون فى استعمال الكلمات المعجمية التى لا تتوافق مع النص أو تتواكب مع الذوق، وكأن الأديب قد أتى بها زيفا مكشوفا، وغرورا باطلا، فلابد أن تكون الكلمة خادمة للنص، ومسايرة للمعنى ، ومتعانقة مع المضمون، من غير تعنت أو تكلف. والتقعر لا يخدم النص أو المبدع بل يسيئ إلى العمل الأدبى إساءة بالغة.

وقد أثار غيظى ما قرأته فى كتاب أدبى مطبوع إذ وجدت فيه الأغلاط اللغوية والنحوية والإملائية تترادف وتتلاحق فى تتابع مستمر، وسألت المبدع عنها فاعترف بها فى انكسار لا يليق. كما قرأت عن ندوة ثار فيها بعض المبدعين، لأن الناقد قد تجرأ وتوجه

بكلامه إلى اللغة !! إن الأديب الذى لا يقدر على الصياغة اللغوية السليمة لا يحق له أن يتغير لونه احمرارا أو اصفرارا عندما يوجه النقد إلى كلامه الهزيل، وأدبه الهش . ولا أعتقد أن الأديب يتعمد الخطأ بل يقع فيه عن تقصير وضعف فى مفردات لغته، وعن طموح كاذب للذيوع من غير أن يتملك زمامه، أو ينهض بتبعاته، فالخطر يصير عظيما عندما تقصر العزائم عن الآمال.

ولو شددنا الهمم، وحاولنا الإصلاح للوينا الأزمة نحو حقول الأدب المصابة بالآفات ، ونهضنا لتطهيرها من العبث والتجاوزات، وعند ذلك سيفكر المبدع أكثر من مرة قبل تقديم إنتاجه إلى القراء فيحاول تنقيته من الكلمات الركيكة ، والعبارات القلقة، والجمل المفككة، والأسلوب الملئ بالأغلاط.

فمن الضرورى أن يكون البناء اللغوى سليما حتى يؤتى الأدب ثماره من المتعة والفائدة معا، ولا أظن أن الأمر قد وصل بنا إلى حد تقليد الغربيين فى هذه الناحية أيضا؛ إذ كان بعضهم ينادى ببعض الأخطاء اللغوية حتى توقظ القارئ وتنبيهه إلى فحوى ما قرأ.

إن لنا ميراثا عظيما، ودستورا قويما للغتنا وديننا، وما يجوز عندهم ليس بلازم أن نسايره ونقلده ونطبقه فى أدبنا بصرف النظر عن كون هذا الخطأ صادرا عن معرفة وإدراك أو عن إهمال وتقصير.

وربما كان من المألوف أن يتلقى القارئ خطأ أو جملة من الأغلاط فى صحيفة سيارة أو فى خطبة مرتجلة، أما أن يكون ذلك فى

أعمال أدبية مطبوعة "قصيدة أو رواية أو قصة أو مسرحية أو غيرها" فهذا مما يؤسى ويؤسف له.

إن الكتابة بالعامية أهون بكثير "مع عدم موافقتنا عليها" خاصة فى الأبحاث العلمية من الخطأ فى اللغة الفصحى لغة القرآن الكريم، ذلك لأن من يقرأ العامية يعرف أنها عامية فلا ينتظر منها رفعا أو نصبا أو جرا. أما الخطأ فى الفصحى وعدم التمكن منها، وإساءة استخدامها فهو جرم كبير ؛ لأن المتلقى يستقبل ما يقرؤه على أنه فصيح سليم ، وربما حفظه وتمثل به ، وقدمه لصغار المتعلمين ولكبارهم أيضا، فكيف إذن يقدم الخطأ ويتمثل به ويتحدث عنه؟ ومن الحمق أن يتعالى المبدع ويركبه الغرور عندما يقدم عملا ركيكا مشوها، ويأتى إليه من يلومه على هذا التقصير المشين. فالمبدع الذى لا يملك زمام لغته لا يستحق نظرة عطف من القارئ أو كلمة اشفاق من الناقد، وأولى به أن يريح ويستريح ، فلربما اعتدل لسانه، وسلمت لغته فى يوم، وحينئذ سوف يقبل الناس عليه، ويقرأون له ما دام حريصا على المضمون حرصه على الشكل أو البناء.

لقد خرج بعض الشعراء الناطقين بالضاد عن قواعد الخليل وأضافوا ـ من واقع رؤيتهم فى التجديد ـ أوزانا جديدة لم تسمع بها ولم تقرأ عنها فى كتب التراث، وتحلل فريق آخر من كل الأوزان، وصار الشعر ـ الذى كنا نقرؤه موزونا ـ نثرا مرسلا فاختلط اللونان، وانمحت الفوارق بينهما بسبب ما يسمى شعرا مرسلا، حتى

انفتح الباب على مصراعيه، وضمت النقاد عن ذلك، وركب بعضهم الموجة، وتناسوا المعيار اللغوى، فهل يود المبدعون أن يسكت النقاد جميعا عن أغلاطهم فى اللغة ؟

وتأتى بعد اختيار الكلمات وتصحيح العبارة جودة الصياغة، فلا يكفى أن تكون الكلمة سليمة، والجملة صحيحة، وإنما ينبغى أن يحرص الأديب على الصياغة الجيدة حتى يتلألأ الأسلوب رونقا وجمالا، وقديما كان أهل الأدب والنقد يتعقبون التنافر بين الحروف والتنافر بين الكلمات ومخالفة القياس وغيرها ويرشدون الأديب إلى مجافاتها والابتعاد عنها؛ حتى يصير الكلام بليغا فصيحا، ولذلك بقيت الأعمال الأدبية القديمة راسخة شامخة مضيئة متوهجة مع تتابع الأيام والسنين ٠

الأدب الإسلامى بين الأمل والواقع

الأدب الإسلامى تصور عام للكون والحياة والإنسان، يعالج المبدع أو الناقد من خلاله القضايا الإسلامية المعاصرة شعرا أو نثرا، ويكاد يقترب من المفهوم الإنسانى العام، فيصدر عن الأدباء المسلمين وغير المسلمين، كما لا يرتبط بالضرورة بالعصر الإسلامى الذى نعرفه وهو الذى يبدأ بعصر صدر الإسلام، وينتهى بآخر حكم بنىأمية، أى أنه فى شموله يتجاوز الزمان والمكان، شريطة ألا يتعارض مضمونه مع الفطرة الإنسانية، وكيف يتعارض معها وهو الداعى إلى القيم الإسلامية النبيلة ٠

وأكاد أجزم بأن الأدب الإسلامى اتجاه متجدد، فى نظرياته وتطبيقاته، وهو دعوة واضحة للأخلاق العامة والتقارب بين الشعوب ، دعوة تستوعب الحياة بكل ما فيها ، وفق التصور الإسلامى لها، وأن هذا المفهوم ــ أو التصور ــ يشمل الشعر والنثر، والنقد الأدبى٠

لا شك فى أن الدعاة لهذا الأدب لم يتفقوا على تحديد مصطلحه، فمنهم من يتوسع فيه، ولا يَقْصِره على ما يمكن أن يسمى بأدب الآخرة، أو أدب الزهد، أو الأدب الصوفى، وإن كانت هذه الألوان أو المسميات لا تتعارض فى مضامينها مع التوجه الإسلامى للأدب ، وأن البعض ــ خاصة فى السنوات الأخيرة ــ جعل هذا الاتجاه قاصرا على الأدباء المسلمين؛ لمواجهة أخطار التبعية للتصور الغربى للفنون أو المعتقدات أو المذاهب الأدبية والنقدية مثل الكلاسيكية والرومانتيكية

والبرناسية ونظريات الفن للفن وغيرها ، كما أن البعض قد تصور هذا المصطلح بديلا إسلاميا لمواجهة التيارات الوافدة مثل الحداثة وأدب العبث، وأدب (اللامعقول)، والوجودية وما على شاكلتها مما يطل علينا بين حين وآخر بألسنة حادة فى انصرافها عن الواقع، واتجاهها إلى الغرب، والاعتماد على ثقافاته، والانصراف عن التراث، قريبا من دعوة الدكتور طه حسين فى كتابه (مستقبل الثقافة فى مصر)٠

ثم إن قضية الأدب الإسلامى لم تسلم من الخصوم أو المعارضين الذين يقولون بالفصل بين الدين والأدب، ويتساءلون عن مصير شعر امرئ القيس وطرفة بن العبد وأبىنواس، ويؤكدون القول بأن القدماء من الأدباء والفقهاء والنقاد لم يستخدموا هذا المصطلح ، ولم يدع واحد منهم إليه، وأن الربط بين الدين والأدب أمر لم تعرفه الساحة الأدبية فى القرون الماضية، وإنما تنسب الآداب إلى لغاتها، فيقال أدب عربى وأدب انجليزى، ولا يقال أدب نصرانى أو أدب يهودى أو أدب بوذى٠

صار الأدب الإسلامى حقيقة واقعة؛ لأن الدعوة إليه لا تتعارض مع دعوات دينية أخرى، وإن اختلف منهاجه عن بعض المذاهب والتيارات الفكرية المعاصرة، وقد اتسعت دائرة انتشاره بين الشرق والغرب، وصار له رواده والداعون إليه فى كثير من بلدان العالم، وألفت فيه كتب كثيرة ومتنوعة، توضح نظرياته، وتعبر عن توجهاته، وانعقدت له ندوات كثيرة فى مصر والسعودية وتركيا وغيرها، ومن

أبرز أعلامه شكيب أرسلان ومصطفى صادق الرافعى ، وأبو الحسن الندوى، ونجيب الكيلانى وأحمد محرم .

ولا شك فى أن عمر الدعوة لهذا الأدب قصير بالنظر إلى الأمل الذى ينشده الكثيرون له، ويحتاج إلى تجاوز الواقع الذى بات البعض يخشى فيه على هذا اللون الملتزم الجاد، والذى ينطلق بالعقيدة الإسلامية إلى الآفاق الرحبة، والمعانى السامية التى يدعو إليها الإسلاميون وغيرهم فى الشعر والقصة والرواية والمقالة والمسرحية.

يمكن أن تتحقق النهضة بالأدب الإسلامى من خلال بعض الأمور التى ينبغى أن يحرص عليها المؤمنون به، والداعون إليه سواء أكانوا أعضاء فى الرابطة أم غير أعضاء وأخشى أن يسئ البعض فهم الأهداف السامية لهذا الأدب ممن يتحمسون له أو ممن يعارضونه ، ولا يتفهمون بواعثه وأهدافه.

ولابد من التأكيد على أهمية الكلمة ، وبيان رسالتها، وأنها مسئولية يتحمل تبعتها الأديب والناقد، ويسعى بها المبدع المتفنن إلى الأدب الهادف الذى تتضح الرؤية فيه، وتبرز القيم الجمالية من خلاله شكلا ومضمونا؛ للتعبير عن المحبة والعدالة والسلام.

ومن الواجب أن يحرص أتباع الأدب الإسلامى وكتابه على التعبير الصادق، والكلمة الأمينة التى يلتزم المبدع فيها بما يمليه عليه دينه، وبما يفرضه عليه قلبه ووجدانه .

والمهم هو أن ننتقل في دعوتنا إلى هذا الأدب من الهمس إلى الجهر، ومن حلم الواقع إلى طموحات المستقبل، وأن نوجه الأجيال الجديدة إلى دراسته والتعريف به، والتخصص فيه، وأن تكثر مجلاته ومجالاته، وأن يعلو صوت الدعوة إليه في المعاهد والجامعات، وفي سائر وسائل الإعلام.

أدب أكتوبر بين الحلم والواقع(*)

حفظ الناس فى مصر وغيرها من البلدان العربية ما عانينا منـــه من ذل وانكسار فى أعقاب هزيمة يونيو ١٩٦٧م.

واجتمع الملوك والرؤساء العرب فى العـــام نفســـه بـــالخرطوم، ونادوا بالجهاد والقتال، لتحرير الأرض العربية، وطرد الغزاة ، وإعادة الحق لشعب فلسطين، ورفض الخنوع والاستسلام .

لقد هزت هذه الأحداث الوجدان العربى من أعماقـــه، واتســـعت الجروح التى ظلت غائرة فى مشاعر الأدباء بســـبب أن النكســـة قـــد أفزعتهم جميعا، ثم ألهبت عواطفهم، وأججت مشاعرهم، وأخرجتهم من دائرة الصمت التى اشتملت الكبار والصـــغار، والنســـاء والأطفـــال ، وسائر المقاتلين على خط النار.

كنا ــ أيامها ــ نتابع الأحداث التى تتلاحق على الجبهـــة، وفـــى أعماق المجتمع العربى، ونستمع إلى الشعر الأصـــيل فـــى البرنـــامج الإذاعى (كلمات على الطريق) الذى يتدفق من شـــتى بقـــاع الـــوطن العربى الكبير مجددا الأمل والطموح فـــى النصـــر، والرغبـــة فـــى الخلاص، ولم تتوقف الأقلام الحرة الأبية عن الالتزام بواجبها بالمقالـــة والمسرحية والرواية والأغنية وسائر الأنشطة والفنون .

وجرت حرب الاستنزاف بمالها وما عليها، ولـــم يكـــن الشـــعر العربى ــ فى أى مكان ــ راضيا عن حياة اللا سلم واللا حرب التـــى يريدها حكام إسرائيل آنذاك.

(*) نشرت فى مجلة صوت الشرقية عدد نوفمبر ١٩٩٥م.

أما صحائف الأدب المقارن فتذكر ــ فى تعقبها للأحداث ــ بعــد نكسة ٦٧ أن شعراء الأعداء كــانوا يتغنــون بالمكاســب الإقليميــة، والأمجاد القومية التى تحققت لهم بعد حرب الأيام الستة، وتعرض تلك الصحائف للجانب الآخر الذى لم يكن خافيا على المتابع لحركة الشعر الإسرائيلى ، والمتمثل فى الخوف والقلق، والشعور بالحصار فى كــل الأراضى الجديدة التى ضمت للكيان المدعى لذلك الشعب.

وجاء العاشر من رمضان سنة ١٣٩٣هــ السادس مــن أكتــوبر سنة ١٩٧٣م، وكان العبور العظيم حيث تخطــت القــوات المصــرية حواجز الخوف وأسلاك اليأس، وعبرت القناة إلى الضــفة الشــرقية، وتوغلت يوما بعد يوم فى سيناء الحبيبة، والجيوش العربية تقاتل صــفا واحدا على الجبهة السورية، وترتفع رايات النصر فى سماء القنطــرة وغيرها وكانت حرب البترول ذات فعاليات جبارة فى تلاحم الشــعب العربى أمام التحديات الخطيرة التى يواجهها، وعلــت البســمة علــى الوجوه والشفاه بعد حقبة من اليأس والقلق والضياع.

وتغنى الشعراء بتلك الأيام ، وكتب الأدباء عن أبطــال أكتــوبر الذين حققوا النصر، وقادوا المسيرة، وصنعوا التاريخ بواقعه ومستقبله، وتعاقبت الأحداث السياسية والقومية بحلوها ومرها والآن وبعــد هــذه السنين يقف كثير من المتابعين والراصــدين لحركــة الأدب ونقــده، ويتساءلون فى دهشة وحيرة: أين أدب أكتوبر؟

أين الشعر والقصة ، وأين الرواية والمسرحية، وأين المقالة والنقد؟ والناس لا يكفون عن السؤال، ويلحون عليه، ويجيب البعض ويتحرج الآخرون، ونحن إذ كنا نسأل، لو كنا نجيب لا نخفى إعجابنا بصياغة التاريخ ورصد الأحداث وتسجيل المعارك عند الآخرين، والذين أعجبوا بمجد اليونان، وحضارتهم مثلا كانوا مأخوذين بما سجله شاعرهم الكبير (هوميروس) بأشعاره وأناشيده فى (الإلياذة) و(الأوديسا) وانتقل السائلون بإعجابهم إلى الرومان من خلال (الإنيادة) لفرجيل وإلى سائر الآداب الأخرى ، فيذكرون (الكوميديا الإلهية) لدانتى و(الشاهنامة) للفردوسى و(الفردوس المفقود) لملتون وغيرها.

كما يذكرون (السيفيات) وهى القصائد التى تحدث فيها أبوالطيب المتنبى عن حروب سيف الدولة الحمدانى مع الروم.

ويذكرون (الإلياذة الإسلامية) أو (مجد الإسلام) للشاعر أحمد محرم ويعددون أسماء لكثير من أدباء الشرق والغرب فى القديم والحديث ثم يعودون إلى سؤالهم بإلحاح: أين أدب أكتوبر؟

ونقول: إن الفنانين والأدباء العرب وفى أعقاب نصر أكتوبر قد تغنوا بالبطولات العربية التى ألهبت حماس الجماهير، وغرست الفرحة بالنصر فى وجدان الشعوب التى طال انتظارها للتغيير.

ونظم الشعراء مئات القصائد والعديد من الملاحم الشعرية ، وكتب المؤلفون العشرات إن لم يكن المئات من القصص والروايات التى سجلت هذا النصر الخالد ـ أو عرضت له ـ فى شهادة صدق لهذا الوطن الأمين، لتكون دلالة فخر على مر السنين .

وإذا كنا قد قرأنا كتبا عن هذه المعركة، وبها مئـات المقـالات والدراسات القيمة التى أشاد بها وتحدث عنها الكثيرون ، واستمعنا إلى المئات من الأناشيد والأغانى ، ولكن ليست بين أيدينا مـن أدب هـذه الحرب الرواية الضخمة فى قيمتها وتغطيتها وعرضها للأحداث التـى مرت بها الأمة فى تلك الحقبة كتلك الروايات التى تعرض للأجيال أو للأزمان فى مراحل زمنية متوالية، ولم يقدم لنـا المبـدعون ملحمـة شعرية تمثل لونا من الخلود الذى يحظى به الأعمال السابقة، وتأكد لنا أن ما قرأناه وشاهدناه من أدب أكتوبر فى مجال الروايـة والملحمـة الشعرية لا يرقى إلى مستوى الأحداث التى اكتوينا بها أو التي سررنا لها وفرحنا بها فأنت أيها القارئ لم تنس (عودة الروح) لتوفيق الحكيم، ولم تنس الثلاثية لنجيب محفوظ قد رصدت الأولى بعـض الأحـداث المصرية فى الربع الأول من هذا القرن بينما كتـب نجيـب محفـوظ روايته فى منتصف هذا القرن تقريبا٠

وانتهى منها بالتحديد فى أبريل عام ١٩٥٢م أى قبل نكسـة ٦٧م وانتصار ٧٣م وكانت رواية واحدة قبل أن تطبع، وتم تقسـيمها إلـى ثلاثة أجزاء (بين القصرين)، (قصر الشوق)، (السكرية)، وهـى فـى مجموعها رواية ضخمة، نال عنها صاحبها بعد أكثـر مـن خمسـة وثلاثين سنة من كتابتها جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨م٠

فالعمل الضخم يحتاج إلى موهبة فذة، ومجهـود جبـار ورغبـة عارمة فى التصدى للأحداث وتصويرها وتقديمها بمـا يـتلاءم مـع

الموضوع وهو هنا الانتصار العظيم فى حرب أكتوبر المجيدة، ولنقرأ ما كتبه نجيب محفوظ عن تأليفه للثلاثية، قال :

"كتبت الثلاثية، وأنا فى عنفوانى، صبور، جلود، عمل كهذا كان يحتاج إلى صبر ، إلى صحة، لو أنك رأيت أرشيف الثلاثية ستدرك مدى ما أقول، ما خططته من أجل كل شخصية، كل شخصية كان لها ما يشبه الملف.

وتحقق نصر أكتوبر بعد أن تجاوز نجيب محفوظ الستين بقليل ، وكان توفيق الحكيم يكبره فى السن، ويكاد يقتصر على الكتابة فى الصحف وإخراج بعض الأعمال التى لا ترقى إلى مؤلفاته القديمة.

والحديث عن أسباب عدم مواكبة الأعمال الأدبية ـ وبخاصة فى الرواية أو الملحمة الدرامية، وعدم وجود النص الذى يرقى إلى قمة الأحداث العظيمة لتلك الحرب، لا يصرفنا ولا يحولنا عن طموحاتنا القديمة فى انتظار لون من الأدب يمثل هذا الإنجاز ، ويعبر عنه ، وليس عملاً واحداً ـ بالطبع ـ ولكن مجموعة من الأعمال والإنجازات المتميزة التى تقدمها السينما العالمية، ويقرأها ويحتفى بها الأدب العربى المعاصر.

فى نادى الطائف الأدبى

حينما يسطو التاريخ على الأدب!(*)

قينان الغامدى

ماذا نستفيد من قراءتنا للتراث .. ؟

ـ وما هو الجديد الذى يمكن إضافته لذلك التراث من خلال دراستنا لأى جانب من جوانبه فى العصر الحديث ..؟

يتحتم على أى باحث يتصدى لأى جانب من التراث أن يسأل نفسه قبلا .. عن ماهية الإضافة الجديدة التى سيقدمها فيما يبحث .. لأن جمع النصوص حول أى موضوع تراثى من مختلف الكتب، ونقل آراء المؤرخين، لا تعتبر دراسة، ولا تمثل قراءة، فهى بحاجة إلى تحليل عميق يجعل التراث كائنا حيا يفتح فى أذهاننا آفاقا جديدة ورؤى متميزة تجعله يعيش معنا فى عصرنا، لا يجذبنا للحياة معه فى عصره.

إن مهمة جمع النصوص ، ونقل الآراء لا تمثل إلا الخطوة الأولى فى دراسة أى موضوع تراثى، وهى الخطوة التى اجتهد الدكتور السيد محمد ديب "الأستاذ المشارك فى قسم اللغة العربية بالكلية المتوسطة بالطائف" فى جمع شتاتها من خلال محاضرته التى ألقاها مساء الثلاثاء الماضى فى إطار النشاط المنبرى لنادى الطائف الأدبى .. تحت عنوان "ابن قيس الرقيات.. شاعر قريش فى الإسلام".. على ما فى ذلك الجمع من تناقض وتضارب .

"المحاضرة أو البحث كما أطلق عليها الدكتور نفسه" قامت على السرد التاريخى لحياة الشاعر، دون أن يتبين منهجا نقديا يمكن من

(*) جريدة عكاظ، فى ٢٥ صفر ١٤٠٧ هـ (٢٨ من أكتوبر ١٩٨٦م).

خلاله استجلاء الملامح الشعرية التى تميز الشاعر "ابن قيس" عن غيره من شعراء عصره، فقد كرس المحاضر جهده لجميع النصوص التاريخية والآراء المتباينة وأوردها لتدلنا على شاعرية وتوجهات ابن قيس، فى حين أن دراستنا للشاعر "أى شاعر" تحتم علينا أن نضع شعره فى صدر الدراسة، ومن ذلك الشعر ننطلق إلى الأبعاد الأخرى التى يفضى إليها ذلك الشعر عن شخصية الشاعر ، وهذه هى الملاحظة الجوهرية التى أبداها الأستاذ عبدالرحمن الشهرانى .. فى تعليقه على المحاضرة .. وكأنه أراد أن يقول بأن الحضور استمعوا إلى بحث تاريخى عن ابن قيس "الإنسان" ولم يسمعوا شيئا عن ابن قيس "الشاعر" وهذه الملاحظة الهامة عن السرد التاريخى الذى تضمن حياة ابن قيس تسميته ـ رحلاته ـ سياسته ـ تحولاته التبعية ـ زواجه وأولاده ـ ما قاله مؤرخو الأدب عن شعره وتقسيماته" حملت الأستاذ عقيلى الغامدى على انتقاد المحاضر لعدم ذكره لما روى من أن ابن قيس هجر الشعر فى أواخر حياته، وعكف على التفقه فى الدين حتى أصبح أحد السبعة الذين يشار إليهم بالبنان فى الإفتاء ذلك لأن مقتضيات السرد التاريخى تحتم إيراد مثل هذه الرواية لإعطاء الرجل حقه التاريخى .. وهذا يؤكد أن المحاضرة تندرج تحت مظلة التاريخ، لا الأدب.

وحين نتتبع فقرات المحاضرة نجدها حفلت بغير قليل من التضارب الناشئ عن نقل آراء المؤرخين المختلفة، دون محاولة الجمع بينها أو توجيهها، فى حين ينقل لنا المحاضر أن ابن قيس يتوق إلى

وحدة قريش، وهمه الأوحد أن تكون الخلافة فيهم بصرف النظر عن كون الخليفة أمويا أو زبيريا أو هاشميا، نجده ينقض هذا القول فى محاضرته كلها حيث ينقل نصوصا وآراء تثبت تعصب ابن قيس للزبيريين ضد الأمويين خاصة بعد موقعة الحرة، كما ثبت التحرك الخطير لابن قيس إلى مدح الأمويين وكسب ودهم بعد أن دالت دولة الزبيرين بل وثبت أبعد من ذلك وأخطر فى تحولات ابن قيس عندما نادى بأحقية عبدالعزيز بن مروان بالخلافة من الوليد بن عبدالملك .. فأية وحدة كان يسعى لها ؟!!

وحين ينقل لنا المحاضر قصيدة ابن قيس التى مطلعها:

ألا هزئت بنا قرشية يهتز موكبها

يورد تعليقا للدكتور طه حسين ثم يقول "وقد منعنى الحياء من ذكر بقية الأبيات" والسبب أنها غزل فاحش فى أم البنين ، ثم ينقل لنا المحاضر فى موقع آخر رأيا عاما عن غزل ابن قيس فيقول "لم يلجأ إلى الفحش والإسقاف فيمن تغزل بهن ولم يقل إلا ما يتردد على ألسنة الناس ويتكرر على أفواه المغنين وترضى له الكثرة من النساء"٠

ويقول المحاضر "عمد ابن قيس فى شعره إلى الوضوح والبساطة" .. ثم يعود بعد قليل للقول بأنه "اصطنع الرمز فى كثير من معانيه" دون أن نجد لذلك إثباتا نقديا .. كما حفلت المحاضرة بالكثير من الأحكام العامة التى تحتاج إلى إثبات منهجى ، ودراسة متأنية .. ولعل العنوان أولها حيث يقول " شاعر قريش فى الإسلام" بينما سياق

المحاضرة التاريخى لا يؤكد ذلك، إضافة إلى القول بأن "الهمزية أفضل قصائده" وأن ابن قيس من الشعراء المعدودين فى القرن الأول الهجرى حيث كلمة "المعدودين" فى السياق توحى بالتميز الذى لم تظهره المحاضرة.

وبعد .. لولا ثقتى فى قدرة الدكتور المحاضر على النقد الجيد لما أوردت هذه الملاحظات ذلك لأننا نتعشم فيمن هم فى مستواه الأكاديمى أن يقدموا لنا دراسات تثرى الساحة الأدبية ، وأتصور أن هذه المحاضرة التاريخية عن ابن قيس ما هى إلا مقدمة لدراسة أدبية متميزة ننتظرها من الدكتور ديب عن ابن قيس الشاعر وغيره من شعراء العربية.

الحقيقة الغائبة(*)

تشكل "أصداء الكلمة" بالنسبة لى نافذة مضيئة وفكرا حرا متجددا ومع كل هذا الحب لا ينبغى أن نسلم بكل ما جاء فيها من غير أن نختلف معها أو نناقش ما تطرحه من آراء، ولولا إيمانى بقيمة الكلمة ووهج الحرف. وثقتى فى محرر عكاظ بالطائف الأخ قينان الغامدى لما أرسلت هذا الرد.

لقد تناول الأستاذ قينان فى الأصداء يوم الثلاثاء ٢٥ صفر ١٤٠٧ محاضرتى بنادى الطائف الأدبى عن ابن قيس الرقيات. بالنقد والتحليل تعبيرا عن وجهة نظره كناقد وليس كصحفى.. وأشهد أن عباراته كانت هادئة ومهذبة مع اختلافى معه فى كل ما ذكره .. ولا أقول إنه تجاوز الحقيقة لأن الأمر لا يتعدى وجهات النظر إلى شىء آخر. وقد طالب بوضع الشعر فى صدر الدراسة والانطلاق منه إلى الأبعاد الأخرى .. وأقول : إن هذا ما قمت به فعلا فقد تناولت شعر عبيدالله بن قيس تناولا كليا ثم أوضحت كيف استخدم فنونه كالغزل وغيره فى محاربة خصومه السياسيين.

أما أن المحاضرة قد قامت على السرد التاريخى فهذا غير صحيح لأننى ذكرت فى مقدمتها نبذة عما يتصل بحياة ابن قيس من النواحى السياسية وكنت ولازلت أراها ضرورية؛ إذ على أساس هذه الحياة وما حدث فيها من تحولات انعطف الرجل إلى قريش وأحبها،

(*) جريدة عكاظ ٢٤/ ربيع أول سنة ١٤٠٧هـ ـ ٢٦ من نوفمبر ١٩٨٦م.

وتعصب لها، وأظن أن عنوان المحاضرة "ابن قيس الرقيات شاعر قريش فى الإسلام" يتوافق مع هذا المنهج ثم ذكرت بعد هذه المقدمة الدراسة الشاملة لشعر ابن قيس، وأعجب .. كيف يؤكد الأخ الفاضل على تاريخية المحاضرة ثم يأتى فى آخر نقده ليناقش فى القضايا الأدبية التى ذكرت فى حديثى عن ابن قيس !!

ثم تحدث عن المعلق الأول على المحاضرة بقوله : "وكأنه أراد أن يقول .. إن الحضور استمعوا إلى بحث عن ابن قيس الإنسان ولم يستمعوا شيئا عن ابن قيس الشاعر .." وكنت أحب ألا يشتمل هذا النقد على كلمة وكأنه أراد بل كان يجب القول ماذا أراد أو ماذا قال فعلا لا تشبيها أو تأويلا .. والأخ عبدالرحمن الشهرانى فى تعليقه لم يعترض على المحاضرة وإنما دعا إلى الاهتمام بالشعر الجاهلى وعصره حيث يوجد به شعراء يفضلون ابن قيس ولم يتناول المنهج حسبما ذكر الناقد .

أما حديثى عن رحلات ابن قيس على حد قوله فأقول: لا يوجد فى المحاضرة شيىء عن هذه الرحلات إذ كان الرجل شاعرا ولم يكن رحالة ، وأما حديثى عن سياسته وتحولاته فهو ضرورى جدا ومهم أيضا؛ لأن ارتباط الفن الشعرى بملابسات الحياة قائم ومتلازم خاصة إذا كان الشاعر مهموما بمذهب سياسى ومع ذلك فإنى لم أذكر من هذه التحولات إلا ما تعلق بالفن الشعرى .. وقد أحببت تأكيد الرد على هذه الناحية لاتصالها بناحية أخرى أقول فى الرد عليها أيضا: إنه ليس من

الضرورى أن أتعقب حياة ابن قيس، وأذكر أنه كان من أهل الفتيا أو لم يكن، إذ أن هذا لا يقدم ولا يؤخر فى دراسة شعره أو فى التأثير على توجهه الفنى، وهذا ما أجبت به المعلق الثانى على المحاضرة.

ثم انتقل الناقد إلى أمر آخر، حيث أكد على وجود تضارب فى المحاضرة من ناحية المذهب السياسى للشاعر ونذكر توضيحا لذلك أن ابن قيس كان يرى أن تكون الخلافة فى قريش وفى آل الزبير خاصة بعد ما حل بأهله وذويه فى مكة والمدينة وغيرهما. وما دام الزبيريون لم يتمكنوا من تحقيق أمله فى الإبقاء على الخلافة فى قريش فلتكن فى بنى أمية إذا لا يصلح سواهم فى ذلك الوقت وعلى كل فهم قرشيون أيضا وإن لم يكونوا بمنزلة آل الزبير عنده، وكان عبدالعزيز بن مروان محببا لديه ووليا للعهد أيضا فالشاعر قد سخر فنه لخدمة غرضه السياسى ودعا لعبدالعزيز فى حفظ حقه.

ونؤكد فيما يتصل بأسلوب الشاعر فى الغزل أن الحكم لا يصدر تعبيرا عن بيتين أو ثلاثة، والنتيجة لابد أن تكون مستقاة من شعره كله، ففى موضع استحييت أن أذكر للشاعر بعض الأبيات لخروجه فيها عن حدود الذوق أما بقية شعره فلم يلجأ فيه إلى الفحش أو الإسفاف ولم يقل إلا ما ترضى عنه الكثرة من النساء ويتكرر على ألسنة الناس وأفواه المغنين فى مكة أو المدينة. وأعتقد أن موقفا واحدا أو موقفين لا يغيران فى الحكم على عفة شعره الغزلى، على الأقل بالنسبة لعصره وإذا قرأنا شعرا آخر لشعراء آخرين فسوف نجد ابن

قيس فى منتهى العفة بالنسبة لهؤلاء الآخرين، وكتب التراث مليئة بالشواهد المؤكدة.

أما دعواه عن التناقض الصادر من الحكم على الشعر بأنه واضح فى موضع ورمزى فى موضع.. طيب .. وهل من اللازم أن يلزم الشاعر نفسه بلون واحد من التعبير وما المانع فى أن يستعمل الوضوح والبساطة وأن يستعمل أيضا الرمز، أما إثبات استخدامه للرمز فهو موجود ومحدد وواضح، ففى الأشعار الغزلية ترى الشاعر قد استخدم الغزل استخداما رمزيا ووظفه توظيفا جديدا لم يسبق إليه إلا بعبدالرحمن بن حسان بن ثابت، فابن قيس يتغزل بالمرأة ويريد هجاء الرجال.

أليس هذا رمزا ؟ أم أى شىء هذا ؟

وأخيرا أكتفى بهذه الردود الموجزة وأشكر للأخ الفاضل ثقته بى واعتدال أسلوبه فى التعليق المذكور، وإن كنت أختلف معه فى كل ما ذكره حول المحاضرة.

الغموض وأبوتمام فى نادى الطائف(*)

مساء الثلاثاء الماضى استضاف النادى الأدبى بالطائف الدكتور السيد محمد الديب فى محاضرة عن إشكالية الغموض فى الشعر .. وذلك فى إطار النشاطات المنبرية للنادى هذا العام.

فى البداية تحدث المحاضر عن أبىتمام الشاعر العباسى المتفرد .. وربط ظهور الغموض كإشكالية به .. وتحدث عن الغموض قائلا: والمعروف أن الغموض هو الغرابة والإبهام أى أن يستغلق المعنى فلا يصل المتلقى أو القارئ إلى مضمون النص ومحتواه، وذلك بأن تكون الألفاظ غير واضحة، أو أن تكون العلاقة بينها غير مألوفة، والثابت أنه لم توضع حدود ظاهرة للفصل بين معيارى الوضوح والغموض لا قديما ولا حديثا.

وتحدث عن اختلاف النقد والنقاد حول شعر أبىتمام مثل (العسكرى) و(الآمدى) .. وغيرهما من النقاد. وعاب على القدماء وقوعهم فى إشكالية (مختلقة) ليس لها أساس من الصحة وقال: وقد وقع القدماء فى إشكالية لا أظن أنها صحيحة أو قريبة من الصحة، فضلا عن عدم جريانها مع أصول النقد التطبيقى المبنى على أسس ومعايير واضحة، إذ ربط هؤلاء القدماء بين الغموض والخطأ أو بين غرابة المعنى ورداءة الشعر، وصار كل همهم أن يخطئوا الرجل من غير نقد ومناقشة وعذرهم فى أنهم لم يستطيعوا استيعاب أطر المذهب

(*) نشر يوم الأربعاء الثالث من جمادى الأولى ١٤٠٨هـ (٢٣/١٢/١٩٨٧م) فى جريدة عكاظ.

الجديد واكتفوا بعدم التجاوب والرفض التام ، وإن كان بعضهم كالآمدى قد لجأ إلى النقد التطبيقى فى شىء من الوضوح الذى لم يستطع معه أن يخفى ميوله واتجاهاته ..

أبوتمام والغموض

وتحدث عن أبى‌تمام وشعره المنزه عن التكرار والسرقة وفيه من الفتنة والروعة الشيىء الكثير بسبب الإغراب فى الفن ..

وذهب الدكتور الديب إلى أن الحكم النقدى المتخصص النهائى فى مقولة الغموض فى شعر الطائى أمر صعب وقال إن هناك كمًّا هائلا من شعره لا يمكن نكران كمية الوضوح التى فيه .

وعرض الدكتور الديب بعض النماذج الشعرية لأبى‌تمام، والتى جاءت (معانيها واضحة جلية) وهى تجمع بين (الوضوح والجودة) واستدل بها على عبقرية الطائى وموهبته، ومن هذه القصائد قوله المادح لأحمد بن أبى‌داود، ومدحه للمأمون وقوله فى رثاء محمد بن حميد الطوسى:

كذا فليجل الخطب، وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

ورأى المحاضر أن أبا تمام قد جمع فى هذه القصيدة كثيرا من الأنماط البلاغية، ومزج بينها .. وبالذات فى المقطع الذى يقول:

تردى ثياب الموت حمرا فما أتى لها الليل إلا وهى من سندس خضر

كأن بنى نبهـــان يــوم وفاتـــه نجوم سماء خر من بينها البدر

ففى هذا البيت رمز إلى استشهاد ابن حميد بتلك الملابس الحمراء التى تحولت إلى الاخضرار بعد دخول الليل وإظلام القبر، ثــم أكمــل الصورة بهذا التشبيه الرائع حيث جعل بنىنبهان نجوما خر من بينهــا ابن حميد كبدر متكامل.

وبعد أن ناقش قول أبىدلف القاسم وقوله بأن من رثى بهذا الشعر لم يمت عاد إلى مناقشة الإشكالية الأساسية .. وهى قضية الغمــوض التى هى مدار الحديث والبحث.

التجديد وأبوتمام

ويرى الدكتور أن أبا تمام قد تزعم فى عصره حركـــة تجديديـــة عرفت بمذهب الصنعة أو بمذهب البديع، وقال إن هذا الاتجاه قد أطل على الساحة الأدبية منذ انفتاح العرب على حضارات الأمم الأخرى.

وقال: لا ننكر أن مسلما (صريع الغوانى) وبشارا وأبانواس قــد استفادوا من معطيات الحضارة الوافدة، ثم جاء أبوتمام ليحطم كثيــرا من القيود المعروفة بعمود الشعر، وأطل على معاصريه بما لــم يكــن يتوقعونه فهاجموه بعنف وضراوة، ولم يتفق القدماء فى موقفهم من هذا التيار الجديد الذى رفع أبوتمام رايته وتحمس له ســواء أكــانوا مــن المعاصرين له أو ممن جاءوا بعده، على أن بعضهم كــابن الأعرابـــى ودعبل بن على لم يكونوا منصفين لهذا الشاعر.

وعندما انتهى إلى هذه النقطة انتقل بالحديث إلى الآمـدى الـذى وقف موقفا آخر من شعر الطائى الكبير فقد عول على الذوق فى نقـده مسلحا بقواعد النقد والبلاغة فى الحكم وبالذات فى كتابه (الموازنة بين أبىتمام والبحترى) ثم ذهب إلى الصولى وموقف المدافعة والحمـاس للجديد الذى وقفه استنادا إلى حق الفنان فى التطور والتجديد ..

ولم ينس المحاضر المرزوقى والتبريزى، وأباالعلاء، وقف عنـد المرزوقى الذى اختار بعض الأبيات الشعرية التى رأى فيها لبسـا أو غموضا يشكل على القارئ وقام بشرحها فى كتاب مستقل •

الاستعارة

وبما أن الخلاف حول الغموض متعدد ويتكئ على أشياء كثيـرة أبرزها الاستعارة فإن الوقوف عندها والنظر إليها قد يساهم فى معرفة أفضل بالإشكالية ـ وهكذا: انتقل المحاضر إلى الاستعارة التى نظـر إليها النقد القديم على أنها (نقل العبارة من موضع استعمالها فى أصـل اللغة إلى غيره لغرض) .. والتى ترتبط بعمود الشعر والخـروج بهـا عما ألف الناس هو خروج على عمود الشعر العربى .. وقال إن أبـا تمام لم يكن يعنيه وجود العلاقة بين المشبه والمشبه به ولذا جاء الكثير من تراكيبه بعيدا مبهما •

وقال المحاضر موجزا الأمر على النحو التالى: تعـود إشـكالية الغموض فى المقام الأول إلى خروج أبىتمام على تقاليد العـرب فـى استعمالهم للاستعارة وقد أحدث هذا الخروج رداءة وقبحا عند البعض،

وغرابة وغموضا فى المعنى عند البعض، واستحسانا وقبولا عند الآخرين، ولقد اعتمد الطائى فى صياغة معانيه على الاستعارة اعتمادا كبيرا وغمر بها شعره ووظفها لخدمة فنه، وأجاد ـ كثيرا تسخيرها فى المديح، خاصة إذا استعملها بالمقياس القديم الذى تعارف عليه الناس، ونقرأ له أمثلة كثيرة أحسن فيها استخدام الاستعارة بالصورة المألوفة كقوله:

والشيب إن طرد الشباب بياضه ∴ كالصبح أحدث للظلام أفولا

وذهب الدكتور فى حديثه إلى أن بعض النقاد لم يتفاعلوا مع شعر الطائى لمجيئ استعاراته على صور لم يألفوها وعد من هؤلاء الآمدى. ثم تساءل بعد ذلك عن مدى مشروعية الشاعر فى أن يطور شعره ويرتقى به.. حتى وإن كان ذلك خروجا على ما ألفه الناس؟

وقال إن الإجابة كانت محل اختلاف ..

وناقش المحاضر بعض الأسباب التى حدت بالشاعر للخروج على ما اعتادت الناس .. وذلك من واقع التكهن لا الجزم!

وأتى المحاضر بالبيت الشهير..والذى كان مثار جدل بين النقاد:

لا تسقنى ماء الملام فإننى ∴ صب قد استعذبت ماء بكائى

وقال: ربما كان هذا البيت من أكثر الأبيات التى تضاربت حولها أقوال القدماء لا من حيث معناه ، وإنما من حيث غرابة الاستعارة عندما جعل الشاعر للملام ماء مستعارا ..

وواصل المحاضر طرح بعض الأبيات الشعرية التى أثارت الجدل وعرض إلى قولهم فيها مثل الآمدى والصولى والتبريزى وغيرهم من النقاد ، وانتهى إلى أن الشاعر قد كتب للخاصة وليس للعامة (ولذلك عاش متقدما على عصره بمراحل طويلة من عمر الزمن)•

وأكد المحاضر قائلا: (ونؤكد على الحقيقة التى تمثلت ووضحت لدينا وهى أن نمطا خاصا من التعبير سلكه أبوتمام فى بعض شعره حيث خرج فيه بالاستعارة من دائرتها المعروفة عند القدماء ولم يحرص على تواجد العلاقة أو الرابطة (وجه الشبه) التى تجمع بين طرفى الاستعارة ثم إنه لم يكتف بذلك، بل أضاف إلى هذا الخروج حرصه على إيراد الألفاظ الحوشية الغريبة التى يبهم بها المعنى، خاصة إذا جعلها تتداخل مع بعضها، وهذا ما أطلق عليه القدماء اسم (المعاظله) التى تشكل مع البعد الاستعارى غرابة وغموضا فى بعض الأبيات •

ثم أضاف قائلا: وليس من اللائق ــ بعد ذلك ــ أن نصور من هذا المنعطف تيارا نصف به شعر أبىتمام، أو نجعله صفة عامة لكل شعره، ويكفى الرجل من خلال حياته القصيرة أن سبق عصره، وطلع على الناس بمذهبه، وتخطى أقرانه باستعاراته الجديدة وموهبته الرائعة وفنه المبدع الجميل"•

عمق الأفكار وغرابتها

وعن هذه النقطة قال المحاضر: يختلف الشعر الغريب أو الغامض عند أبى تمام باختلاف بواعثه وأسبابه ولا شك فى أن الغموض الناتج من المعاظلة اللفظية أو الجناس المتكلف غير مرغوب فيه، بل يعد نقطة سيئة في ديوان الطائى، أما الغموض الناتج عن الموهبة والثقافة فإنه غموض محبب ولا يعد عيبا يلام به هذا الشاعر.

وأفاض الدكتور فى الحديث عن هذه النقطة وأشار إلى أن شعره قد تميز بالتكلف والصنعة نتيجة غوصه على الأفكار غوصا شديدا فجاءت أفكاره بعيدة وعميقة وغير مألوفة. واستشهد فى هذا الصدد بطه حسين وابن المستوفى وغيرهما من النقاد الذين تجادلوا وأفاضوا فى الحديث عن النواحى الفكرية العميقة فى شعر الطائى الكبير.

وأفاض الدكتور فى مناقشة الموضوع .. وتناول قضية الرمز وإغراق أبى تمام فيه واستعان فى ذلك ببعض أبيات شعره .. وانتهى فى ذلك إلى قضية اللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون .. وذلك لما لها من أهمية كبيرة فى تاريخ النقد العربى.

كما ناقش أيضا (المعاظلة اللفظية) وانطلق فى معالجتها من مقولة قدامة بن جعفر التى تقول المعاضلة هى (شدة تعليق ألفاظ البيت بعضها ببعض، وأن يداخل لفظة تشبهها أو تجانسها، وأن اختل المعنى بعض الاختلال).

وقال قد استعان أبوتمام بالتجنيس فى عدة كلمات فكانــت هــذه المعاظلة الرديئة فى البيت :

فاسلمْ سلمتَ من الآفات ماسلِمتْ ∴ سلامُ سَلْمَى ومهما أورقَ السَّلمُ

وذلك لأنه أولع بالسين واللام والميم •

وقال إن هذا البيت وما على شاكلته يمثل الصنعة المتكلفة التى لا يمكن قبولها أو الاقتناع بها أو الدفاع عنها، ولا نراها إلا واحدة مــن سقطات هذا الشاعر الكبير •

الألفاظ الحوشية والغامضة

وهنا توقف الدكتور ديب عند بعض الأسباب التى عــول عليهــا نقاد شعر الطائى الكبير فى اتهامه بالغموض .. وهــى تــدور حــول خروجه من دلالة الوضع اللغوى . إلا أن معظم هؤلاء النقــاد وكمــا يرى الدكتور تحاملوا إلى حد كبير فى ذلك فذكروا فى غمار حملــتهم أبياتا كثيرة لم تتشابك كلماتها ولم تتعقد مفرداتها بالصورة المؤثرة فى مقدار الإبهام والخفاء ..

وانتهى الدكتور فى آخر محاضرته إلى أن الغموض فى الشــعر يعد مطلبا وهدفا أساسيا عند البعض (كالصابى) من العــرب القــدامى مثلا وعند (ديدرو) كواحد من الغــربيين المحــدثين أو مــن أنصــار المذهب التجديدى والمعروف باسم (الاتجاه الحداثى) •

وختم الدكتور حديثه قائلا : إن كل ما ذكرناه يمكن أن يقع فيه الاختلاف بين القدماء أو بين المحدثين، وتبقى لكل دراسة منزعها واتجاهها، لكن شيئين اثنين عند أبى تمام لا يمكن لأحد أن ينازع حولهما: موهبته الخارقة، وثقافته المتنوعة، وبذلك تتوالى الكتابة عنه فى العصر الحاضر بمثل ما توالت فى العصور السابقة.

تقرير عن بحث بعنوان
((شعر أبى طالب بن عبدالمطلب))
فى مناصرة الرسول ﷺ(*)

البحث المذكور عمل جيد ، ونتاج طيب، وجدير بالدراسة والنقد؛ ذلك أن الموضوع فى مجمله يثير العديد من القضايا التى تحدث عنها القدماء والمحدثون، ويعيد القول فيها لكن ذلك ــ هنا ــ مرتبط بما قاله أبوطالب بن عبدالمطلب من شعر أو نسب إليه (وإلى غيره) أو وضع عليه نحلا مما يثير شهية القارئ للمتابعة.

والبحث محتاج لمراجعة لغوية، وتدقيق فى الأحكام ، وتحديد لكثير من الأمور، وإضافة ما نراه ضروريا ؛ حتى يكون صالحا للنشر فى حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة أو فى أية حولية أخرى تنتهج نهجها، وتسير فى دربها، وهذه أهم الملاحظات التى ينبغى مراعاتها حتى يتسنى تصويبها على نور وهداية.

١ - القول بالاتفاق على شاعرية أبى طالب ... (أمر لم ينفه ناف، ولم يشك فى أمره مرتاب) ص٢ ، فيه مبالغة، وحكم بلا مقدمات — ثم يأتى بعد ذلك الحديث عن الشك فى هذا الشعر مما يضيف للمبالغة تناقضا بينا، وذلك يستلزم حذف الفقرة الأولى.

(*) بحث مقدم للنشر فى مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة فى العدد الرابع والعشرين عام ٢٠٠٦م

٢ - لا علاقة بما قيل عن (ابن سلام الجمحى) بقضية نسبة الشعر إلى أبىطالب ص٢ حيث لم يربط صاحب البحث بينهما.

٣ - الاستشهاد بورود شعر لأبىطالب فى لسان العرب لا قيمة له إذ أن (ابن منظور) متأخر زمنا، وهو من رجال القرنين السابع والثامن الهجريين ص٢ .

٤ - القول بتاريخ واحد محدد لميلاد أبىطالب بصورة قاطعة يحتاج لمراجعه ، ص٥ .

٥ - لا يقبل عقلا ونقلا أن تكون كفالة أبىطالب لابن أخيه خمسين عاما، خاصة أن عبدالمطلب قد كفل محمدا ﷺ ثمانى سنوات، وقد مات أبوطالب وكان عمر الرسول خمسين عاما، أو فى حدودها (تراجع الأزمنة مع النظر فى بداية الكفالة ونهايتها).

٦ - بدأ صاحب البحث الكلام عن عقيدة أبىطالب، مؤكدا أنها عقيدة إسلامية ص٧ ، ثم يطيل القول فى هذا الأمر السهل، وصولا إلى نتيجة أخيرة وهى أن موته على الشرك هو الراجح، والصواب أن موته على الشرك هو الثابت (بنص القرآن الكريم).

والآفة هنا هى البدأ بالنتائج والأحكام قبل المقدمات والعرض وأى شىء آخر، ونقول:إذا نسب شعر إلى أبىطالب يجعل منه صاحب عقيدة إسلامية، فإن الحكم ــ بلا حرج ــ على هذا الشعر أنه منحول ينبغى إهداره، وعدم الأخذ به.. وبالتالى لا قيمة لقول بعض المتشيعين

لآل البيت ومن دار فى فلكهم من (غلاة) الاعتزال والتصـــوف، إذ أن خيال الشعراء، وليس أكذبه أعذبه،لا يسوغ الاستناد إليه فى الحكم على هذا الأمر، أما ابن إسحاق فهو وضاع وأجير فى الانتحال قال عنه ابن سلام: "وكان ممن أفسد الشعر وهجنه،وحمل كل غثاء محمد بن إسحاق بن يسار ــ مولى آل مخرمة بن عبدالمطلب بن عبدمناف وكان مـــن علماء الناس بالسير قال عنه الزهرى: لا يزال فى الناس علم ما بقـــى مولى آل مخرمة ــ وكان أكثر علمه بالمغازى والسير وغير ذلـــك ــ فقبل الناس عنه الأشعار، وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لى بالشعر، أتينا به فأحمله... ــ ولم يكن ذلك له عذرا، فكتب فى الســـير أشـــعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط،وأشعار النساء فضلا عن الرجال"[١].

أما العباس عم النبى فلا قيمة لشهادته ــ قبل إسلامه ــ إذ أنه فى حياة أبىطالب كان على دين قومه ــ وكان من أسرى المشركين فـــى بدر.

قـــال تعـــالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ التوبة (١١٣).

٧ - كما أن الشعر لم يكن يوما مصدرا وحيدا للتاريخ، ولكن يستعان به فى السيرة، بشرط ألا ينغمس فى أخيلة الشعراء.

---

(١) الطبقات ج١ ص ٧، ٨.

والمقاطعة لم تكن موجهة إلى الرسول ﷺ فحسب، ولا لبنى هاشم، وإنما كانت موجهة لهم جميعا، ولبنى المطلب أيضا فهى موقف اجتماعى، وليس بالضرورة أن يكون رفضها نابعا عن عقيدة إسلامية، وإلا لأدخلنا المشركين الذين مزقوا الصحيفة، ورفضوا المقاطعة فى زمرة جماعة المسلمين.

٨ - لابد من إيضاح بعض الكلمات الغامضة فى معظم الصحائف، وإن حرص الباحث على ذلك فى الأوراق الأخيرة.

٩ - فى الحديث عن أبىطالب قال: وكان يكثر التلفت إلى أخيه أبىجهل ـ وهذا سهو ولعله يقصد أخاه أبالهب.

١٠ - معظم الشعر المتمثل به من ابن هشام، والروض، والبداية ـ فأين الديوان من هذه الأشعار، فهل هى لأبىطالب حقيقة ثابتة أو منسوبة إليه، ولذا وجب الفصل التام بين الشعر الثابت له يقينا، ثم يأتى بعد ذلك ما نسب إليه ولغيره، حتى يكون الحكم نابعا ومستقى مما قاله أبو طالب وليس لغيره.

١١ - الدراسة الفنية مختصرة بحيث لا تروى ظمأ ولا تسد رمقا.

١٢ - لابد من إضافة كلمة أخيرة ترصد فيها أهم نتائج البحث.

١٣ - فى نهاية هذا التقرير ننوه إلى استواء الأسلوب، واعتدال صياغته، مما يكشف عن قدرة تعبيرية خاصة بصاحب البحث مما يجعل هذه الدراسة صالحة للنشر إذا تم الالتزام بما أشرنا إليه فى هذا التقرير.

قضايا إسلامية

١ـ بيعة النساء .

٢ ـ المباشرة الزوجية .

٣ ـ تعدد الزوجات .

٤ـ الزواج العرفى.

٥ ـ الزواج عن طريق الحاسب الآلى .

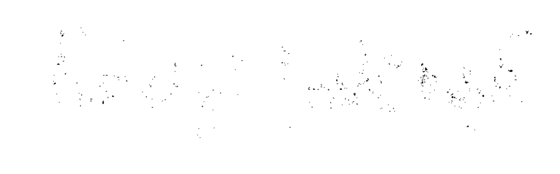
٦ ـ التكسب بالنشاط الدينى .

٧ ـ الحلال والحرام فى تربية الأبناء.

٨ ـ اختطاف النساء والفتيات .

٩ ـ وحدة المسلمين فى المساجد.

١٠ـ آداب التعزية فى الإسلام .



بيعة النساء(*)

التقى الرسول ﷺ بالرجال فى لقاءات مشهودة، كبيعتى العقبة الأولى والثانية، وبيعة الرضوان، وصلح الحديبية ... وها هو ذا يعامل النساء بالمثل، فهن جزء من الأمة ، ولهن نصيب فى الدعوة فيجتمع ﷺ معهن فى بيعة عظيمة، حتى يكتمل إيمانهن، ويعرفن ما غاب عنهن من أمور الدين.

وقد بايع الرسول ﷺ الرجال على الإسلام والجهاد، وكان ذلك بعد فتح مكة، ودخلوا فى دين الله أفواجا فى السنة الثامنة من الهجرة ، ولما فرغ من بيعتهم التقى بالنساء على جبل الصفا، وبايعهن البيعة المعروفة، والتى تحدثت عنها سورة الممتحنة .

وكان النساء يأتين إلى رسول الله بعد الهجرة وقبلها، فيسألنه عما غاب عنهن من تعاليم الإسلام، وقد اشترك بعضهن فى بيعتى العقبة، ولكن ذلك لم يكن لقاء مستقلا أو حديثا (خاصا) موجها، كالذى سجله القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١)

(*) نشر فى جريدة اللواء الإسلامى العدد ١٤٩ فى ٢٩/ ١١/ ١٩٨٤م، والعدد ١٥٠ فى ٦/١٢/١٩٨٤م.

(١) الممتحنة آية ١٢ .

وممن حضر هذه البيعة من الرجال عمر بن الخطاب وأبوسفيان ابن حرب الذى أسلم عند لقائه بالرسول ﷺ وهو فى طريقه لفتح مكة. وقد تابعت معظم ما كتبه علماء التفسير عن هذه الآية، ووجدتهم لم يتفقوا على السنة التى نزلت فيها آية البيعة، واكتفوا بقولهم: إنها نزلت بعد الهجرة، وعلى هذا يصح كلام عائشة حيث قالت: "كان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله يختمن بقول الله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ الآية وإذا أقررن بذلك قال لهن : "انطلقن فقد بايعتكن" وكانت هذه بيعات منفصلة، فإذا كتب الله لرسوله النصر بفتح مكة، واجتمعت له النساء أعاد ﷺ عليهن ما سبق أن بايعهن عليه واحدة واحدة. وكان يبايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب، أو كانت البيعة بالكلام فقط من غير مصافحة ، وكل النواحى التى ذكرتها الآية وثيقة الصلة بما كانت عليه أخلاق الجاهلية، "ألا يشركن بالله شيئا" ويتمثل هذا فى نقص وحدانية الله باتخاذ شريك يصرف عن التوحيد كوثن أو كوكب أو أى كائن أو مادة تسيطر أو نفس تأمر بالسوء (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)، "ولا يسرقن" كانت هند بنت عتبة زوجة أبىسفيان بن حرب حاضرة لهذه البيعة، وساعدها النقاب الذى كانت ترتديه فى الاختفاء عن عين رسول الله ﷺ ، فلها موقف لا ينساه، ففى غزوة أحد بقرت بطن عمه ورفيق صباه حمزة بن عبدالمطلب، وأخرجت كبده ومضغتها، فلم تستسغها فلفظتها، وعبرت عما فى قلبها من حقد وبغض وكراهية، وكان الرسول قد أقسم على أن ينتقم لعمه، فلما تحدثت إليه

وعرفها قالت له : عفا الله عما سلف، فعفا عنها ــ عفا الله عنا جميعا قالت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح وإنى أصيب من ماله قوتنا، فقال أبوسفيان: هولك حلال. فقال رسول الله: "خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك"

وينبغى للنساء أن يحترمن الرجال ، وألا يأخذن شيئا من أموالهم إلا بالطريقة التى بينها الحديث الشريف، وإذا كانت السرقة من الأزواج ممنوعة فمن باب أولى غيرهم.

ولا يزنين : قالت هند. أو تزنى الحرة؟ أى أنها لا تزنى؛ لأن الزنى كبيرة من الكبائر ، ومنقصة فى الأخلاق ، وانحدار إلى عالم البهيمية، وإتلاف للأبدان ، واعتداء على محارم الآخرين ، وهدم للبيوت.

ويجب على المرأة أن تمتثل لأوامر القرآن الكريم ، ولتعاليم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ولا يقتلن أولادهن : أى لا يئدن الموؤدات ،ولا يسقطن الأجنة ، قالت هند عند سماعها لذلك " ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وأنتم وهم أعلم " ويبدو أنها كانت لبقة وجريئة ومثقفة بثقافة عصرها . وكان قتل الأولاد خوف الفقر ووأد البنات خوف الفقر والعار معا عادة جاهلية فى بعض قبائل العرب ،ولما جاء الإسلام حرمها ونهى عنها ، وخاطب الرجال والنساء بشأنها ــ وقد ازداد عجبى عندما قرأت أخيرا

أن رجلا قتل ابنه حتى لا تكون مطلقته حاضنة وتفوز (بالشقة) عملا بقانون الأحوال الشخصية الجديد!! .

ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن : والمقصود بذلك اللقيط الذى تأتى به المرأة بين يديها فتنسبه إلى الزوج وولد الزنى الذى جاء من أب غير شرعى ، وعلى النساء أن يتقين الله فى أزواجهن ولا ينسبن إليهم إلا من كان من أصلابهم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شيىء،ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين[١] .

وعلى النساء والرجال معا مراعاة منهج الإسلام فى التبنى فلا يلحقوا بنسبهم من ليس منهم. نعم يجوز للرجل والمرأة أن يأخذا الطفل ويحسنا إليه شريطة ألا يسجل باسمهما، فيأخذ من الحقوق ويلزمه من الواجبات مالا يجوز له ، ويترتب علىهذا الإلحاق أمور كثيرة من زواج وميراث وغيرها ، وعلى كل مسلم ومسلمة الالتزام بما أمر به الله تعالى إذ قال "﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا ﴾ [٢].

---

(١) رواه أبو داود.
(٢) الاحزاب ٥ .

ولا يعصينك فى معروف :قال القرطبى: المعروف هنا عــام فــى جميع ما يأمر به الرسول وينهى عنه، فيدخل فيه النوح وتحريق الثياب وجز الشعر والخلوة بغير محرم إلى غير ذلك " وقال صاحب ظــلال القرآن" هذا الشرط يقرر أن لا طاعة على الرعية لإمام أو حــاكم إلا فى المعروف الذى يتفق مع دين الله وشريعته، وإنهــا ليســت طاعــة مطلقة لولى الأمر فى كل أمر " وروى أن هندا قالت عند ذلــك : مــا جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شيىء .

وعن تحريم النياحة روى عبدالله بن مسعود عن رسول الله قال : " ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية[١].

وعن النهى عن الخلوة بين الرجل والمرأة قال صــلى الله عليــه وسلم : " لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم [٢].

ومن هذه البيعة العظيمة الخالدة نرى أن ما نهــى عنــه القــرآن الكريم ، وحذر منه رسول الله صلى الله عليــه وســلم لا زال باقيــا متجسدا ملقيا بثقله فوق الظهور والكواهل ،وكل ما ذكر مــا هــو إلا أمراض اجتماعية راسخة من قديم ، ولو نظرنا إلى علاجها بمنظــور إسلامى ومنهج قرآنى ، وامتثلنا لما تفرضه الشــريعة مــن حلــول، وطبقناها، لكان ذلك أسلم وأقوم، ولكن هيهات هيهات لما توعدون.

---

(١) رواه البخارى ومسلم .
(٢) متفق عليه.

المباشرة الزوجية(*)

جعل الله عقد الزواج من أغلظ العقود والمواثيق، حفاظا على الأسرة، وصونا لعلاقة الرجل بالمرأة، وتحقيقا للعفاف النفسي، والارتواء العاطفي والإشباع الجنسي والغريزي عند كل منهما •

ولابد أن يتم الإعلان عن عقد الزواج وإشهاره بالطريقة الشرعية، وفي حدود المقدرة المالية المتاحة بدون إسراف ومبالغة، وفي نطاق الأعراف الاجتماعية التي لا تتعارض مع الشرع الإسلامي •

ونأتي إلى المناسبة أو الليلة التي تزف فيها الفتاة أو الزوجة إلى الرجل ويصيران منفردين في عشهما ومستقر حياتهما وآنذاك تكون المباشرة الزوجية مطلبا جسديا، وضرورة جنسية، وتعبيرا عن حاجة البدن إلى المتعة الذاتية ، واستجابة إلى توجيه الشهوة التي أودعها الله طاقة في جسم الإنسان وفي سائر المخلوقات •

واعتبر الإسلام الزواج طريقا أخلاقيا واجتماعيا، لا بديل عنه لتحقيق الإشباع الجنسي للفرد من غير إضرار بالسلوك الاجتماعي العام، وهذا الإشباع ليس غاية في ذاته، وإنما هو وسيلة لتنفيذ رسالة سامية تؤدي إلى حفظ النوع الإنساني وتعمير الأرض واستمرار الحياة•

وقد أحاط الإسلام المعاشرة الزوجية بسياج من القدسية والسرية حفاظا على الشرف والأخلاق، وصونا للفرد والمجتمع، وكان تحريم

(*) نشر في جريدة عقيدتي في العدد ٤١٠ في الثالث من أكتوبر سنة ٢٠٠٠م•

الزنى ومنع الممارسة الجنسية فى العلن لدواع سامية ترقى بها النفس الإنسانية عن البهيمية بكل أشكالها ٠

إن المباشرة الزوجية علاقة سرية، ولها آداب مقررة نبه إليها الرسول ﷺ ، وحض أصحابه على ضرورة الالتزام بها مراعاة للمشاعر الإنسانية، وتعظيما لشأن الزواج ، وحماية للعلاقة بين الرجل والمرأة، فعن أبىسعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : "إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه"(١) ٠

وقد أورد القرآن الكريم بعض الآيات التى تناولت المباشرة الزوجية من حيث الإباحة والمنع أو الحل والحرمة سواء أكان ذلك بسبب راجع إلى الرجل أم المرأة أم بسببهما معا، أم لبعض العبارات المرتبطة بزمان أو مكان، أم لغير ذلك٠

وقد تحدث القرآن الكريم (فى سورة البقرة) عن إتيان الرجل للمرأة، وجعلها بمثابة الحرث له، فقال تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢) .

حيث شبهت الآية النساء بالحرث؛ لأن ما يلقى فى أرحامهن من النطف التى يخرج النسل منها يشبه ما يلقى فى الأرض(المحروثة)

---

(١) رواه مسلم وأبو داود ٠
(٢) البقرة اية ٢٢٣ ٠

الصالحة التى ينمو النبات فيها،وتشير كلمة(الحرث)إلى أن إتيان المرأة لا يكون إلا فى موضع المنبت، وقوله تعالى:﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أى قدموا الطاعة والعمل الصالح ابتغاء العفاف والذرية؛لأن الولد قد يكون شفيعا لأهله،أو قدموا لأنفسكم ذكر الله عند الجماع،كما قال عليه الصلاة والسلام: "لو أن أحدكم إذا أتى امرأته قال:بسم الله،اللهم جنبنا الشيطان،وجنب الشيطان ما رزقتنا،فإنه إن يقدر بينهما ولد لم يضره شيطان أبدا"(١).

إن الآية تلفت الأنظار والأسماع إلى ضرورة توجيه القوة الجنسية توجيها سليما بحيث يكون الهدف منها إنجاب النسل، وحفظ النوع الإنسانى وتحقيق الإشباع الغريزى لكل من الرجل والمرأة .

ونأتى إلى موضع آخر من سورة البقرة حيث نجد الآية (١٨٧) تعرض لبعض الأحكام الخاصة بالمباشرة الزوجية،قال تعالى:﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ﴾ ويقتضى لفظ (أحل) أن الرفث أى الجماع كان محرما ليلة الصوم قبل ذلك، حيث كان المسلمون يفطرون بعد الغروب، ثم يمتنعون عن الأكل وعن الجماع أيضا فى ليالى الصيام من بعد العشاء، ومن لم يفطر لنوم أو لغيره كان يواصل صومه فى اليوم التالى ما دام لم يأكل وقت الإفطار، فنزلت هذه الآية لتقرر إباحة إتيان الرجل لزوجته ليلة الصيام ما بين المغرب والفجر .

---

(١) أخرجه مسلم عن القرطبى جـ٣ صـ٩٦ .

والمعنى فى قوله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ أن اللباس ساتر وواق، وكذلك الصلة بين الزوجين تستر كـلا منهمـا وتقيه، والتعبير كناية عن المخالطة والمباشرة التى تكون بين الزوجين، فكل واحد منهما ستر للآخر وإحصان له.

ولما كان الرجل والمرأة يخالط كل منهمـا الآخـر، فناسـب أن يرخص لهما فى الجماع فى ليالى الصوم؛ لئلا يشق عليهما، وأبيح ذلك بعد أن كان الناس متخوفين منه، وقالت الآية فى جزء منها : ﴿ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ ﴾ بأسلوب الأمر على جواز المعاشرة الجنسية.

ونعرض لتحريم المباشرة الزوجية فى بعض العبـادات، إذ قـال الله تعالى فى الآيـة السـابقة : ﴿ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ﴾ والمنع هنا ممتد فى الليل والنهار تحقيقا للتجرد الكامـل الذى تتخلص فيه النفس من كل شىء، ويصفو القلب من الشواغل أثناء الاعتكاف بالمسجد فى العشر الأواخر من رمضان .

كما نهى القرآن الكريم عن المباشرة الزوجية أثناء الحـج وقبـل التحلل من الإحرام، قال تعـالى: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـٰتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾[1]

---

(١) (البقرة ١٩٧).

أي: فليتجنب من وجب عليه الحج الرفث (الجماع) والفسوق (إتيان المعاصى) والجدال أى المراء والغضب أو المخاصمة أو المنازعة، وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1] .

وقد أجابت الآية عما ورد فيها من سؤال الحيض، وأمرت بمنع المباشرة أثناء الدورة الشهرية؛ لأن نزول الدم يرهق المرأة، وينفر الرجل، ولا يحقق الهدف من النكاح وهو العفاف والذرية، ويستمر النهى عن المباشرة حتى تتطهر الزوجة، ونبهت الأمة إلى وجوب إتيان النساء فى منابت الإخصاب دون سواها تأكيدا على أهمية استمرار الحياة، وعمارة الأرض، كما أن المباشرة فى الطهر وفى الفرج تحقق اللذة الطبيعية للزوجين، وتحقق معها الغاية الفطرية وهى التناسل والتكاثر كما أمر الله تعالى.

إن اللقاء الجنسى بين الرجل وزوجته سر من الأسرار الإلهية وينبوع من ينابيع الحياة ، وعطاء مقدس يهبه الله لعباده ولهذا يجب توجيهه وصرفه إلى المنبت أو الحرث الذى أحله الله تعالى، ولابد أن يتسامى كل مسلم ومسلمة بهذا العطاء، وألا يهبط إلى مستوى الدابة العجماء التى لا تعرف المشاعر والأحاسيس ولا تصون الغرائز والأسرار.

---

(١) البقرة آية ٢٢٢ .

تعدد الزوجات
بين الإباحة والرفض(*)

عرض القرآن الكريم فى سورة النساء لزواج الرجل بأكثر من واحدة تلك القضية التى تخضع فى أحيان كثيرة لعوامل اقتصادية واجتماعية وصحية، وجاء البيان القرآنى ناصعا ومضيئا فى هذا الموضوع الذى كثر الحديث عنه خاصة فى العصر الحديث الذى خرجت فيه نساء كثيرات للعمل خارج البيوت الزوجية مما أسفر عن بعض النتائج، بعضها مفيد وكثير منها ضار ومؤذ، ولنرجع إلى النص الذى قال الله تعالى فيه : ﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾ (١).

وقد ذكر القرآن الكريم فى الآية الأولى من هاتين الآيتين حقوق اليتامى وأوجب إعطاء هذه الحقوق كاملة ونهى عن أكل أموالهم لما فيه من الذنب الكبير، إذ كان العرب قبل الإسلام يكفلون صغار اليتامى فإذا كبرت الفتاة وحازت إعجاب وليها فإنه يتزوجها دون أن يعطيها ما تستحقه من المهر، ويسئ معاملتها ويقتر فى الإنفاق عليها.

(*) نشر فى جريدة عقيدتى فى العدد ٤١٦ فى الرابع عشر من نوفمبر ٢٠٠٠م.
(١) النساء ٢، ٣ .

وتأتى الآية الثانية محذرة من ظلم اليتامى، ومنبهة الرجال إلى إباحة الزواج بأكثر من واحدة ممن يصلحن لهم، لتحاشى ظلم اليتيمات الضعيفات فلا يقتصر الرجل فى زواجه على واحدة بل اثنتين أو ثلاث أو أربع ، بشرط العدل بينهن، وعدم تفضيل واحدة على أخرى فإن ظن أنه لن يستطيع العدل بينهن وجب عليه الاقتصار على واحدة، فإن خاف عدم العدل مع الواحدة فمما ملكت يمينه من الإماء، أو أن يكون المعنى اقتصاره على واحدة وما ملكت يمينه، إذ لا يشترط حق لهن فى المعاشرة الزوجية ، وإن وجب الرفق بهن؛ لأن ذلك أقرب إلى عدم الميل عن الحق .

وجاء فى تفسير القرطبى ما رواه الأئمة واللفظ لمسلم عن عروة ابن الزبير عن عائشة قول الله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ .

قالت: "يا ابن أختى، هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه فى ماله، فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها من غير أن يقسط فى صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصداق، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن"[1].

(١) تفسير القرطبى (الجامع لأحكام القرآن) جـ٥ ص١١ .

فالآيات الأولى من سورة النساء تركز على حق القرابة، والأخوة العامة، وبيان حقوق الضعفاء من الناس كاليتامى والنساء والسفهاء، لضرورة الالتزام بها. ويكتمل بيان التعدد بآية أخرى من هذه السورة وهى قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ (١).

حيث نفت الآية استطاعة تحقيق العدل بين الزوجات، وما دام الأمر كذلك، والحاجة تقتضى التعدد أحيانا ، فلا حرج على الزوج فى ميل قلبه وشهوته إلى واحدة دون أخرى ، لكن لا يصل ذلك الميل إلى الحقوق الشرعية الثابتة كالنفقة والمسكن والمبيت؛ لأن إهدار هذه الحقوق يجعل الزوجة كالمعلقة ، فلا هى زوجة، ولا هى مطلقة.

ولقد أباح الإسلام التعدد بين الزوجات ، ولكنه لم يأمر به وقيده بالعدل فى المسائل التى يجوز التحكم فيها، أما العدل على إطلاقه فمستحيل تحقيقه، فكان رسول الله ﷺ بعد موت السيدة خديجة وزواجه بأكثر من واحدة يميل بقلبه إلى السيدة عائشة، ولكنه لا يخصها بشىء دون زوجاته الأخريات إلا برضائهن وإذنهن، وكان يقول : "اللهم هذا قسمى فيما أملك فلا تؤاخذنى فيما لا أملك".

---

(١) النساء ١٢٩ .

وقد رخص الله فى التعدد وإباحته لمواجهة متطلبات الحياة البشرية وضرورات الفطرة الإنسانية، ومعنى وجود التعدد بين النساء المتزوجات أى أن عددهن أكثر من عدد الرجال الذين يتعرضون لمخاطر الحروب وتبعات المسئولية، وقصر أعمارهم بالنسبة للنساء. فلو منع التعدد فماذا يكون الحال بالنسبة للمرأة التى لا تجد زوجا يبنى بها ويرعاها، ويروى حاجتها الغريزية؛ إذ من الفضل أن تكون زوجة ثانية بدلا من أن تكون بلا زوج، وما الحال لو كانت المرأة مريضة وعاجزة عن الإنجاب، ولا تستجيب لرغبات الرجل الطبيعية فى حاجته إلى المرأة!

فإباحة التعدد مرهون بالضرورة التى تأتى تلبية لمتطلبات الزوج وتحقيق رغباته، وعلاجا لمشكلات النساء اللاتى يرغبن فى الحياة والانتصار على الخوف واليأس ولو بالعيش فى ظلال زوج بعصمته امرأة أو أكثر؛ حتى لا تبقى واحدة فى المجتمع بلا زواج.

أما النكاح بأكثر من واحدة لمجرد التفاخر أو الوجاهة الاجتماعية أو محاربة الزوجة الأولى فإن خطر ذلك التصرف شنيع جدا، إذ تتجاوز آثار هذا الزواج المتعدد حدود المرأة إلى البيئة الاجتماعية بمن فيها من ذرية وأقارب وآخرين يرون فى هذا التصرف أنموذجا لهم، استجابة لنزوة طارئة، لا تلبث أن تتوارى مع هموم الحياة.

وحذر التشريع الإسلامى من خطورة عدم العدل بين النساء إيذانا بتوخى الحذر، وتقدير الضرورة والحاجة إلى تحول الرجل إلى الزواج

بأكثر من واحدة؛ لأن التعدد له أخطاره التى لا ينبغى إغفالها ، فكثيرا ما يسيئ بعض الرجال إلى زوجاتهم عند التعدد ومن بدء الشروع فيه، فضلا عما ينشأ بين الأولاد ـ فى حالات كثيرة ـ من عداوة عند اختلاف الأمهات، كما أن بعض التصرفات الحمقاء من بعض الزوجات كثيرا ما تجعل رغبة الزوج فى نكاح ثان أو ثالث محل تفكير ونظر واعتبار.

ولكن حرص الأزواج على العدل المستطاع يجعل معظم هذه الأخطار فى نطاق ضيق يمكن احتماله، فى ضوء الضرورة التى يستند عليها الرجال فى الأخذ بهذه الرخصة المقيدة بالشروط المذكورة.

الزواج العرفى

النكاح : إنشاء علاقة جديدة بين رجل وامرأة بواسطة ولى، وأمام شهود على عقد الزواج، ولابد فيه من الإعلان والإشهار، والتسجيل فى وثيقة زواج مصدق عليها ومعترف بها، وكل ما يخالف ذلك لسبب أو أكثر فهو خروج على المألوف، وتهرب من القانون ، وابتعاد عن المغزى والهدف من النكاح .

والزواج العرفى إذا تحققت فيه شروط العقد، واستكمل أركانه فهو صحيح من الناحية الشكلية، هذا وقد أصدر الأزهر فتوى بمنعه؛ إذ قد يكون الشيىء صحيحا ومع ذلك يكون حراما كالصلاة فى ثوب مسروق أو الحج بمال حرام مثلا، ويتحقق الخطر فيه من ضياع الحقوق ورفض دعوى الزوجية.

وقد أخذ المشرع الوضعى بضرورة إثبات الزواج فى وثيقة رسمية معترف بها؛ ليتحقق الأمان للمرأة، وتستقر العلاقة بين الزوجين فلا يكون أحدهما فى موقف ضعيف أمام الآخر.

وإذا تم ذلك فى تكتم واستخفاء بدون وثيقة أو دليل للإثبات فإن ذلك لا يعد زواجا ، ولا يتحقق به المودة والرحمة، والعلاقة بين الرجل والمرأة فى ظل ذلك علاقة محرمة؛ لعدم الإشهاد عليها وإشهارها وكتابتها فى وثيقة معترف بها، وهذا هو المسمى بالزواج السرى وأكثر ما يطلق الزواج العرفى على هذا النوع بما فيه من سرية وكتمان، فلا تعمر كثيرا هذه الزيجات التى يمتد أثرها إلى

النشء الذى ينمو فى جو مليئ بالتكتم واليأس والخوف من المستقبل، ولا يتصور وجود علاقة مستقرة وسكينة ومودة ورحمة بين اثنين يبدو كل واحد منهما متخوفا وشديد الحذر من الآخر.

فالزواج العرفى إن أعلن وأذيع وتحققت فيه شروط العقد فهو جائز من الناحية الشكلية ،ولكن لا يثبت به حق من الحقوق الشرعية ، فإن لم يستوف أركانه،وجرى فى سرية وتكتم وبلا إشهار فهو باطل وحرام شرعا،وقد حرص الشرع على إعلان النكاح وتعريف الناس به.

فعن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال:

"أحق الشروط أن يوفى ما استحللتم به الفروج"[١].

والمحاكم لا تأخذ بهذا الزواج إلا إذا أقرَّبه الزوج أمام القاضى لما له من آثار تنعكس على المرأة والأولاد وسائر الحقوق ، سواء ما اتصل منها بالرجل أم بالمرأة .

زواج مُحَرَّم

زواج المتعة الذى كان مباحا فى المراحل الأولى من عمر الدعوة ثم حرم بعد ذلك تحريما مؤبدا، والمراد منه أن يعقد الرجل على المرأة لمدة معينة وقيل أنه حلال عند الشيعة[٢].

زواج الشِّغَار:

وهو محرم؛ لأنه بلا صداق، ويتحقق بأن يزوج الرجل وليته رجلا على أن يتزوج هو الآخر ولية ذلك الرجل بدون صداق، وقد نهى الرسول ﷺ عنه، فقال ﷺ : "لا شِغَار فى الإسلام"[٣].

---

(١) البخارى ومسلم.
(٢) انظر فقه السنة لسيد سابق جـ٢ ص٣٥ .
(٣) رواه مسلم وابن ماجة.

والشغار: الخلو ، والمراد خلو الزواج من المهر [١].

زواج التحليل :

هو زواج الرجل للمطلقة ثلاثا بعد انقضاء عدتها، ثم يطلقها ليحلها لزوجها الأول، وهذا التحليل باطل لقول الله تعالى : ﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ ﴾ [٢].

وأساء الناس فهم ذلك النص القرآنى العظيم، وصرفوه عن هدفه ومقصده معتقدين عن جهل أو سوء نية أن عملية التمثيل والتحايل التى يلجؤون إليها كافية فى تحليل المرأة لزوجها الذى طلقها ثلاثا .

ومعنى الآية واضح فى أن المرأة المطلقة طلاقا بائنا إذا تزوجت مرة ثانية ولم تستمر الحياة مع الزوج الجديد لسبب أو لآخر، أو مات عنها وتأيمت منه جاز لها أن تتزوج الرجل الأول الذى كان زوجا لها .

وقد نهى الرسول ﷺ عن زواج التحليل؛ لافتقاده إلى الجدية والصدق ونية التأبيد، فعن أبى هريرة ﷺ قال: "لعن الله المحلل والمحلل له"[٣].

وعن عبدالله بن مسعود قال : "لعن رسول الله المحلل والمحلل له"[٤] .

---

(١) فقه السنة جـ٢ صـ٤٧ .
(٢) البقرة من الآية ٢٣٠ .
(٣) رواه أحمد بسند حسن .
(٤) انظر فقه السنة جـ٢ صـ٣٩ .

الزواج عن طريق الحاسب الآلى (الكمبيوتر)

صارت قضية الزواج فى الوقت الراهن مشكلة متعددة الجوانب، وبرزت إلى سطح الحياة الاجتماعية الأبعاد السلبية لهذه القضية مثل الزواج المدنى، وزواج المسيار، والزواج العرفى، وقضية العنوسة وغيرها.

وشاركت المرأة فى قضايا المجتمع بخروجها من البيت للتعليم والعمل، وقضاء الكثير من المصالح الخاصة والعامة، وحضور المناسبات المختلفة، مثل حفلات الزواج، ولقاء الصديقات، والذهاب إلى الأسواق، فضلا عن التعليم فى المراحل العالية، إلا أن الرجل العربى ـ والمسلم خاصة ـ يفضل عند الزواج وبناء الأسرة أن يتم ذلك من خلال التعارف الاجتماعى، واللقاء الأسرى، ولذلك تزداد نسبة زواج الأقارب فى المجتمع الشرقى المحافظ الذى تخرج الفتاة فيه من المنزل، لكنها عند الزواج تأخذ شكلا آخر، فتتحفظ فى علاقتها مع المتقدم لها، وترى أن الخروج فى ظل العلاقات الجديدة ينبغى أن يكون محكوما بميثاق الحلال والحرام، وميراث الآباء والأجداد من العادات والتقاليد التى تستمد قوتها من الأديان السماوية.

وتسير مركب الحياة بهدوء ما دامت تسبح مع التيار وهى محملة بالعلاقات الأسرية المتينة التى تسند الزواج وتحميه وتدافع عنه فى ظل الشرع والقانون والأعراف الاجتماعية الصحيحة .

وأسفرت العادات أيضا عن أشياء كثيرة تأخر معها سن الـــزواج عند الشباب والفتيات، فالفتاة تنظر إلى زميلاتها بمعيـــار اجتمـــاعى، وتقليد موروث فى ضرورة أن تكون احتفالات الزواج فى مســـتويات معينة، وأن يكون بيت الزواج والمفروشات عند حدود تفـــوق طاقـــة الشاب وأهله، كما يطلب من الشاب وضع يرتفع فيه كثيرا بالمظـــاهر والتكاليف، عن أهل الفتاة ، ويحمل كل طرف الآخر مـــا يزيـــد عـــن طاقته ، وهكذا تتعقد المشكلة التى أمر الشرع بالتيسير فيهـــا، حفاظـــا على العلاقات بين الشباب والفتيات ، وطلبا للعفة ، واستجابة لحاجـــة النفس الإنسانية فى الجمع بين النوعين بالمعايير الدينية الثابتـــة، لكـــن المشكلات الصغيرة لا تلبث أن تتفاقم ، ويرى الشاب أن طريقه إلـــى الزواج غير ممهد ، ومليئ بالعراقيل، وأن الفتاة تشـــعر بكثيـــر مـــن الإحباط لزيادة عمرها دون أن يطلبها أحد للزواج الشرعى الذى تنشأ به أسرة جديدة بعد أن قضت الكثيرات منهن وقتا طويلا فى التعلـــيم، وتحسين الوضع الاجتماعى ٠

وتستسلم بعض الأطراف للعادات والمعطيات حتى تتهيأ الأوضاع ويبدل الله من بعد عسر يسرا، فى حين أن الكثيرين ينتظرون شـــريكا ملائما صالحا ، لاقتسام رحلة الحياة، بما فيها من أفراح وأتراح ٠

وشاهد الناس الوسائل الجديدة التى لم تكن مألوفـــة حتـــى عهـــد قريب فى التقريب بين الشاب والفتاة عندما لم يتيسر الجمع بينهما عن طريق الوسائل الاجتماعية المختلفة، مثل توظيف جهاز الحاسب الآلى

فى إحداث التعارف بين الطرفين، وربما يكون ذلك مقبولا، ولا غبار عليه فى بيئة ذات سلوكيات مختلفة عن طبائع المجتمع العربى، بيئة لا تبالى كثيرا بالمعتقدات الدينية الصارمة، ولا بالعادات والتقاليد الاجتماعية المتوازنة، بيئة يسعى فيها كل واحد إلى عمله ، ولا يكون عند الكثيرين من الوقت ما يجعلهم يفكرون فى اختيار شريك الحياة، وإذا تيسر لبعضهم فإنه لا يتيسر للآخر، ومن هنا يلجأ الشخص إلى الوسائل العلمية الصحيحة بمساعدته لاختيار الآخر.

ولكن هل المجتمع العربى بحاجة إلى مثل هذه الوسائل للاعتماد عليها؟ والجواب أن الفقهاء يرددون دائما، بعد الإباحة، وإذا وجدت آلة مستحدثة أن تساعد الإنسان فى المعرفة، والاختيار فلا بأس بها، فجهاز التلفاز له جوانب إيجابية لا ينكرها أحد، وله جوانب ضارة لا تخفى على الكثيرين، فماذا تتصرف حياله؟ هل نهمله ولا نستعمله، أو نستعين ونرشد اعتمادنا عليه، ونتعامل معه بحساب واتزان ما دمنا نملك فتحه وإغلاقه وكذلك الحاسب الآلى يمكن أن نستفيد به فى أشياء كثيرة ما دمنا نخضعه لإرادتنا، ولا نكون تابعين له فلابد أن نرشد استعمالنا له، ونوظف معطياته للاستفادة بها كما ينبغى أن نخضعه لميراثنا من الأديان والعادات والتقاليد.

ولذلك لا غبار على استعانتنا بالحاسب الآلى ما دام يحقق نفعا وتقريبا بين الناس، وترغيبا فى الزواج الشرعى المباح بالطرق التى يعرفها الناس ، لكن هذه الإيجابيات يقابلها جانب فى منتهى الخطورة،

إذ يتخوف أن يكون الهدف من ذلك هو الكسب المادى ولا شيء غيره عند من يفتتحون محلات ومكاتب تشتمل على هذه الأجهزة للغرض المذكور ؛ لأن الرغبة فى الكسب تعمى وتصم، وتجعل هؤلاء التجار أو الوسطاء – أو سمهم كما شئت – يسهلون وسائل الالتقاء بين الشاب والفتاة، دون رقيب أو متابع، وعندها تزداد المفاسد والأضرار، ولذلك لابد أن يكون كل شيء بعلم ولى أمر الشاب والفتاة، أو على الأقل – ولى أمر الفتاة – ؛ لأنها الجانب الأضعف والأكثر تضررا عند الوقوع فى أخطار هذا الموضوع، بالإضافة إلى المعيار الممنوح والمباح ، أو الحلال والحرام الذى لا ينبغى أن يغيب عن أذهان المشاركين فى هذا الموضوع، وأن يكون الأمر بكامله فى رقابة أولياء الأمور.

ولذلك فنحن نخشى ما يمكن أن يقع فى هذه القضية من حوادث ونكبات، وعليه فإننا نعلق موافقتنا على أمثال هذه المشروعات – فضلا عما اشترطناه – بضرورة أن يكون الإشراف على هذه المكاتب من جهات مسئولة بالوزارة المختصة، أو بعض المؤسسات الصحفية، والوزارات الحكومية التى تجعل من رسالتها الخدمة الجماهيرية.

ونعتقد أن المجتمع المفتوح الذى لم تعد الفتاة فيه قابعة فى المنزل فنراها تعمل بالميادين المختلفة، فى القرية والمدينة، ولم يعد المجتمع فى حاجة إلى من كانت تقوم بدور (الخاطبة) التى تجمع بين الناس فى الحلال.

أما قيام اثنين أو ثلاثة أو أقل أو أكثر بافتتاح مكتب للـزواج ـ بهدف الكسب والتربح ـ بدون رقابة الأهل ففى ذلك ضـرر متوقـع الحدوث، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

وربما يأتى من يقول لنا: إن الفتاة اليوم لم تعد كفتاة الأمـس، إذ أنها فى الوقت الحاضر تعرف ما ينفعها وما يضـرها، وتسـتطيع أن تحافظ على نفسها، وتتقى الله فى تصرفاتها .

ونقول: إن ذلك ممكن وحاصل ، ولكن الفتيات لسن على صورة واحدة، وطبائع الأشياء تقر بأن أى مجتمع ليس كاملا فـى سـلوكيات أفراده، وإلا ما وجدت حالات الزواج السرى الذى يسمى خطأ الزواج العرفى، ويقع أكثره حتى فى ظل المتابعة الجادة من الأسرة، ولـذلك فالمسألة فى غاية الخطورة.

ثم نأتى إلى لب الموضوع ونقول إن ذلك المشروع لو دعى إليه فى مدينة كبيرة لالتمسنا العذر للداعى، ولكن نطالب بتـوخى الحـذر، وإحكام السيطرة، وإشراف الدولة ، ومتابعة أولياء الأمر، ولكـن هـل يصلح أن يوجد فى مدينة صغيرة لازال كثير من العـائلات يعرفـون بعضهم فيقولون إن هذه بنت فلان، وهـذا ابـن فـلان، والمـؤهلات والخبرات كذا وكذا.

وأخيرا فليس لنا أن نحرم أشياء يمكن أن يستفيد بها الإنسان فـى شتى جوانب حياته، ولا غبار على التعارف بين الشباب والفتيات تحت رقابة الأسرة، ويستحسن أن يكون ذلك منوطا بهيئات أو وزارات ذات

طبائع خدمية ، ويكون كل ذلك بالمدن الواسعة التى لا يعرف الشخص فيها جاره، أما القرى والمدن الصغيرة فلا ضرورة لذلك.

وإذا كانت المسألة فى حاجة إلى معالجة فإن الحلول تكون فى تيسير الزواج، وعدم المغالاة فى المهور، والمساكن والملابس والمجوهرات، وكلها أمور معروفة ولكن المشكلة هى أن تنظر إلى الآخرين، ونصمم أن تكون حالة الزواج صورة طبق الأصل من الآخرين خاصة الأمور التى لا علاقة لها بالشريعة الإسلامية السمحاء.

وقد تردى العبث فى أعراض الناس، وظهرت بين الشباب طريقة يطلقون عليها اسم الزواج، وليس كذلك إذ يتم اللقاء بين الشاب والفتاة بعيدا عن أعين أفراد الأسرة وبخاصة الأب والأم، ويحفظ ذلك فى شريط (كاسيت Cassit)، وكذلك مثل زواج الدم بحيث ينقل إلى الشاب بعض دم الفتاة كما ينقل إلى الفتاة بعض دم الشاب، وتأتى خطورة هذه التصرفات وغيرها فى مخالفتها للشرع، وخضوعها للغزو الأخلاقى الخطير الذى ينبغى مناقشته فى هدوء وصولا إلى تحريمه، ومحاربته، وأهم الوسائل المختارة لذلك هو تيسير الزواج الشرعى كما أقرته الديانة الإسلامية السمحاء.

التكسب بالنشاط الدينى

(البيزنس)

حدثت متغيرات كثيرة فى السنوات الأخيرة من خلال التطور فى وسائل الإعلام إذ لم تعد الدعوة الدينية قاصرة على خطبة فى مسجد، أو ندوة دينية تعقد فى مكان ما، ويستمع الناس إليها، وينصرفون منها، ويتأثرون بها أو لا يتأثرون إلى أن تأتى مناسبة أخرى فيحتفل الراغبون فيها بكل جديد يدعوهم إلى الخير، وينفرهم من الشر، وكانت تلك الأحاديث ولا زالت ذات أثر كبير فى النفوس خاصة إذا جاءت فى الصباح مرتبطة بالقرآن الكريم أو بالحديث النبوى الشريف أو بهما معا من الإذاعة المسموعة أو التلفاز، أو المسجد أو جهة العمل أو غير ذلك.

وانشغل الناس بأنفسهم وبغيرهم ، وأسرعت عجلات الزمن فى الدوران، ولم يعد الوقت متسعا أمام الكثيرين ليجلسوا فى حلقات العلم؛ ليرققوا القلوب، وينشدوا الحقيقة من أفواه العلماء.

وقد كثرت الأسفار والتنقلات ، وزادت الأعمال والمهام ، وأصبح الشريط المسجل متاحا لكل راغب حريص ، فيديره فى السيارة أو فى ركن من المنزل ، أو فى جانب من جوانب العمل، فيستمع إليه، ويعيده مرة ومرات تعويضا عما كان منوطا به أن يقرأه أو يصغى إليه، حتى زادت هذه الشرائط الدينية زيادة كبيرة ، وأصبحت محلا للنقاش والإعجاب ، واشتهر كثير من الدعاة بأشرطتهم

المتداولة عن طريق البيع والشراء، ووصلت هذه الشرائط فى تأثيرها على بعض الشعوب إلى درجة إسقاط حكومات وأنظمة سياسية معينة ومعروفة، وحلت محلها حكومات جديدة ، وهذا يؤكد مقدار ما كانت تؤديه الشرائط أو الأسطوانات المدمجة من تأثير على الشعوب بصرف النظر عن المادة الدينية أو السياسية المسجلة عليها فى المطابقة للحقيقة أو الخروج عنها •

ولم تتوقف حركة الحياة عند هذا المدى فى ضوء زيادة الإقبال على هذه الوسائل، فظهرت القنوات الفضائية التى تبث الثقافة الدينية (بمقابل مادى)، واستحدثت أشياء جديدة من خلال ثورة الاتصالات للإجابة عن الأسئلة التى تأتى عن طريق التليفونات المحمولة ، والأسطوانات المبرمجة الخاصة بالحاسب الآلى (الكمبيوتر) أو من خلال شبكة الاتصالات (الانترنت) فضلا عن الكتب المطبوعة، والمجلات المتخصصة، وهكذا اتسعت دائرة الدعوة الدينية عن ذى قبل بمستويات كبيرة•

ولا شك فى أن ممارسة الدعوة الصحيحة بهذه الوسائل المتعددة ومن خلال علماء أجلاء يقدرون رسالة الكلمة، ولا يتلاعبون بالمشاعر الدينية، ولا يعزفون على أوتار الآراء المتشددة، ويحرصون على تجميع الناس فى الخير والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وتوجيههم الوجهة الرشيدة ، ويجيبون عن أسئلة الجماهير فى الأمور التى غاب وجه الصواب فيها، أو كثر الخلاف حولها، وبخاصة فى المستحدثات

التى لم يكن لها وجود فى الزمن القديم، والتى خاطب الرسول ﷺ بها، فقال لهم: "أنتم أدرى بشؤون دنياكم ..." تلك الأمور التى تستظل أحيانا بمظلة المصالح المرسلة ؛ لأن الحديث فيها لا يصلح إلا من عالم فقيه يقبل منه الاجتهاد، لورعه وتقواه وحفظه للقرآن الكريم والحديث الشريف وحسن استنباطه للأحكام .

إن نشاطات العلماء فى هذه المسائل تحتاج إلى وقت وجهد، وإلى مصادر ومراجع ووسائل للإعداد ، ولهؤلاء العلماء متطلبات كثيرة يحتاجون إليها، ولا يستطيعون الاستغناء عنها، فلهم أبناء وذرية وسوى ذلك مما يتحتم عليهم أن يسعوا من أجله فى ظل متغيرات الحياة وتوابعها العسيرة، فهل نقف إلى جانب هؤلاء، ونمدهم بالمال الذى يعينهم ويتزودون به هم ومن يعولون أم نتركهم وشأنهم ونطالبهم بتأليف الكتب الدينية وتوزيعها بلا مقابل وهى المطبوعات الهادفة التى تدافع عن الحق، وتدرأ الباطل، ويجتهدون فى مخاطبة الناس بوسائل الإعلام، والظهور بالشكل اللائق على من يستمعون إليهم، ويقرأون لهم؟

لا شك فى أن الدعوة الدينية إذا لم تمد بالزاد الكافى، وبالوسائل المتنوعة فإنها ستخسر كثيرا ، وسيكون المجال مفتوحا أمام أصحاب الفكر الضال أن ينشروا مذاهبهم وآراءهم الهدامة وهذا خطأ كبير .

أما إذا ترك علماء الدين الدور المنوط بهم ، وتحولوا من علماء إلى تجار ومن أصحاب مبادئ إلى طلاب مال فإن الأمر سيكون جد

خطير، إذ لم تعد الدعوة ـ عند ذلك ـ رسالة يؤمنون بها ، وغاية يتحمسون لها، بل صارت وسيلة يتكسبون منها أو تجارة (أو بيزنيس) أو نشاطا ماليا يحسبونه بمعيار المكسب والخسارة، أو وجاهة اجتماعية يحرصون عليها ويقفزون بها إلى مركز مرموق يسعون إليه، أو شهرة إعلامية يرغبون فيها، ولا ثواب لهم يؤجرون به على ما صنعوه، وقاموا به؛ لأن الهدف عندهم كان المال والشهرة أو المركز الوظيفى أو الاجتماعى، وقد حصلوا على ما رغبوا فيه، ولا نعتقد أن علماء الدين المحترمين يهدفون من جهودهم فى الدعوة إلى شىء من ذلك، بل إن منهم من يتعفف عن أخذ شىء مما يقوم به أكثر من الراتب المقرر لهم ٠

وننادى بالحرص على الدعوة الصحيحة، وفتح المجال أمام العلماء؛ ليتحدثوا بحرية عما يعرفونه من الأمور، ولا يكون الرأى أو الإفتاء عندهم على حسب هوى الآخرين، أو أن يكون استعدادهم للدعوة بمستوى غير مرض، أو أن يتعصبوا لآرائهم، ولا يقدرون من يختلف معهم ، أو يسرفوا فى الجدل العقيم الذى لا طائل من ورائه، ولا يشغلون أنفسهم بما يخدم الدعوة فى المقام الأول، ويقتلون أوقاتهم فى تجارة الشرائط والكتيبات، وحساب المكالمات والأسطوانات؛ لأن ذلك يصرفهم عن الرسالة المنوطة بهم، إطلاعا وتأليفا وتحدثا وردا على خصوم الدين ، على أن تنهض بالأعباء المالية جهات أخرى، وتنشط فى البيع والشراء والتصدير والاستيراد، وتكون تحت أعين السلطات المسئولة، فتؤدى حق الدولة، وتحفظ للداعية أمنه، وتعطيه

حقه، ويمكن محاسبتها على ما تنتجه من وسائل لخدمة النشاط الدينى، وتصدق فى المعاملة مع الداعية والمتلقي، فلا تدلس فى الإنتـاج، ولا تزيف فى الحقائق ولا تطبع أكثر من المسموح به، وتلتـزم بالأسـعار العادلة والمحددة فى كل شيء وتحرص على خدمة الدعوة وتنشيطها، وتنوع فى الوسائل، وتحفظ الحقوق للجميع بنية صادقة وعمل مخلص ونشاط دءوب.

ونخلص إلى ضرورة الفصل بين التجارة والإنتاج، وبين العلماء الذين يقومون بالنشاط الدينى، فالتجارة لها رجالها الذين يؤمنون بهـا ويجتهدون فيها، ويخلصون لها أما العلماء فعليهم المهـام الصـعبة، والمسئولية الضخمة، والممارسة الصحيحة لكل نشاط دينـى هـادف، والمقصود بالعلماء هم الذين يخشون الله ويؤمنـون بأهميـة البحـث والوصول إلى الحقيقة، والذين قال الله فى حقهم : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ (١) وليس كل من قرأ كتابا صار عالما؛ لأن العالم الحقيقى هو الشخص الصالح لأن يكون نموذجا للراغبين فى المعرفة.

---

(١) من سورة فاطر ٢٨ .

الحلال والحرام فى تربية الأبناء

يخطئ كثير من الناس فى تربية الأبنـــاء للغفلـــة عـــن الحـــلال والحرام فى التربية، فيعودون أطفالهم على عادات سيئة فيها كثير من الباطل والضلال، ولا يكونون قدوة طيبة لهم إلـــى غيـــر ذلـــك مـــن المخاطر التى تحيق بالنشء فى مراحله المبكرة، وتسفر عن سلوكيات محرمة، تظهر آثارها على الأبناء عندما يكبرون، وينصـــهرون فـــى بوتقة الحياة.

فالأب والأم يتحملان التبعة والمسئولية فى التربية حسب المـــنهج الإسلامى الذى تستمد منه المناهج الحديثة كل مقوماتها واعتمادها، هذا المنهج الذى يأخذ بيد الطفل إلى كل معانى الصدق والخير والجمـــال، والتعاطف وحسن التعامل مع الآخرين.

ولابد من التوافق بين الوالدين فى القناعة بـــالمنهج القـــويم فـــى التربية، فلا يبنى واحد منهما ويهدم الآخـــر؛ لأن الحيـــاة الاجتماعيـــة للأسرة عمل متكامل، وأداء متناسق ينهض فيه كـــل شـــخص بـــدوره المنوط به فى حدود قدرته، وبقدر مـــا وهبـــه الله مـــن الخصـــائص والإمكانات، قال رسول الله ﷺ : "كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل فـــى بيتـــه راع وهـــو مسئول عن رعيته، والمرأة فى بيت زوجها راعية وهى مسئولة عـــن رعيتها، والخادم فى مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته"[١].

---

(١) رواه البخارى.

فهذه المسئولية تقدير لمكانة كل شخص ، ودوره فى الحياة، أما الذى يتهرب منها، ولا يفى بها فهو ضال مضل، لا يصلح للتبعة، ويتهرب من الواجبات المنوطة به، وتلك مظاهر ضعف لا تتفق مع الأخلاق الإسلامية الحميدة.

من أحق الحقوق التى يتمتع بها الطفل خاصة فى سنواته الأولى احتياجه الشديد إلى العطف والحنان والتنشئة الرحيمة، التى خلق الله المرأة مهيأة لها، كما أن الأبناء الصغار محتاجون فى مراحلهم المبكرة من أعمارهم إلى المداعبة والملاعبة من الأم ومن الأب ومن سائر أفراد الأسرة وقد أكد رسول الله ذلك بأقواله وأفعاله، فكان يصلى بالصحابة ذات مرة، وأطال فى سجوده إطالة خشوا منها أن يكون قد قبض، ولما انتهوا من الصلاة علموا أنها كانت بسبب أن الحسن والحسين امتطيا رسول الله، وأحب صلواته الله وسلامه عليه ألا يذهب عنهما متعة هذا الامتطاء.

ومن المقرر شرعا أن الوالدين يسيئان إلى الصغار عندما يختاران لهم أسماء تثير الضحك، وتبعث السخرية، وتجعل الصغير بعد أن يكبر فى حرج وضيق مما لصق به من أسماء لا يستطيع أن يتخلص منها.

ومن المؤسف أن كثيرا من الرجال والنساء يجعلون السعى إلى جمع المال مقدما على حاجات الأطفال الضرورية مثل المتابعة الجادة، والمراقبة الرشيدة، والإنفاق باعتدال وبلا إسراف وتزداد النكبات عندما

يبقى الأبناء الصغار فى المنازل بلا متابعة لفترات طويلة، وتكون مشاهدة برامج العنف وأفلام الإثارة عوضا عن غياب الوالدين، وتترسب فى أعماق الأطفال كثير من الأخلاق الفاسدة والعادات الضارة بسبب السلوك غير السوى لقد خضع كثير من الآباء والأمهات أيضا لبعض العادات التى لا تمت إلى الإسلام ، ولا تعبر عنه، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل أخذت هذه العادات فى التسرب إلى الأبناء وهم صغار لا يفهمون كثيرا من أمور الحياة، وأذكر بعضا منها لضرورة مقاطعتها واجتنابها الكذب، والقسوة والشدة، والتعرف على الله فى وقت الشدة فقط ، مقاطعة الصلاة السرقة، عدم احترام الكبار، السخرية من الآخرين الغيبة والنميمة، الغش والخداع والنفاق ، فهذه الأمور ــ التى يمارسها الكبار بتلقائية دون أن يشعروا بخطورتها على الأبناء ــ تحتاج إلى مراجعة النفس وتقوى الله ، وفعل الخير، ومقاطعة كل باطل وضلال حتى لا يترسب فى أعماق الأبناء فى المراحل المبكرة من أعمارهم، إذ أنهم سريعو التأثر خاصة بالأب والأم ، قال الشاعر:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منّا .:. على ما كان عوَّده أبوُه

ونعجب كثيرا من الشخص الذى يمارس الأفعال السيئة ويتحدث بالألفاظ الجارحة فى الوقت الذى يدعو فيه أبناءه إلى الالتزام بالأقوال الصادقة والأفعال الحميدة، كما قال الشاعر:

لا تنه عن خلقٍ وتأتىَ مثله .:. عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

ومما يقع فيه الوالدان من أخطاء حرصهما على تمييز أحد الأبناء بشيء كهدية أو منحة دون سائر الإخوة، فهذا التصرف على بساطته يترك آثارا سيئة فى أعماق الأبناء الذين لم ينالوا حظوة أو شيئا مثل الذى ميز عليهم، وأكثر ما يكون هذا التمييز للولد دون الفتاة خاصة إذا كان وحيدا بين الفتيات .

إن هذه المخالفات المحرمة المذكورة وغيرها تلح علينا بضرورة التبصر والفهم الحقيقى لمنهج الإسلام فى تربية الأبناء وتوجب أهمية التعرف على العادات الضالة الوافدة، حتى نحذر منها ، ونجنب أبناءنا مخاطرها وضررها .

فالحلال واضح بين ، ويجب اتباعه والحرص عليه، وكذلك الحرام واضح بين، وهو إما محرمات مباشرة نهى الشرع عنها وإما عادات بالية وتقاليد فارغة لا يقرها الإسلام، ومن هنا وجب مقاطعتها، والحذر منها، لعامة الناس صغارا وكبارا.

اختطاف النساء والفتيات

ارتاعت كثير من العائلات فى الشهور الأخيرة من حوادث الاختطاف التى تعرضت لها فتيات كثيرات ونساء متزوجات أيضا، وأخذت هذه العائلات تصيح بالشكوى ، وتطالب بأقصى العقوبة وبسرعة التنفيذ على أن يكون ذلك فى ميدان عام ليشهد الناس عقاب المختطفين، ثم نهض علماء الفقه والقانون بشرح المواد وتوضيح النصوص التى غفل الناس عنها . وقد كثر الكلام حول ذلك بما لا يدع مجالا لمتحدث . وما أريده هنا هو دراسة هذه الحوادث وبحث أسبابها فلابد من معرفة الداء قبل حسمه بالدواء.

إن جرائم الاختطاف التى تقع على يد عدد محدود من الشباب لا تعنى أن المجتمع قد تحول إلى غابة، وأن الفساد قد استشرى، وأن العلاج قد أصبح مستحيلا، فلازال شبابنا بخير، ولا تعبر عنه هذه المجموعات اللاهية، شبابنا فى الجامعات ومعاهد التعليم المختلفة، وفى قوات الجيش يدافع عن الوطن ويحمى الكنانة، وفى آلاف المصانع والمشروعات يبنى حاضره ومستقبله، وفى سائر أرض مصر الخضراء يبحث عن لقمة العيش، وفى خارج الوطن يجمع بعرقه وكده القرش فوق القرش حتى يعود لاستكمال طريقه وبناء حياته وصنع مستقبله .

شبابنا الذى نشأ فى بيئة دينية وتلقى العناية والرعاية من أبوين عطوفين، وتعلم علما أو صنعة بعيد كل البعد عما جرى ووقع من

بعض الشباب العابث الذى شب ونما فى جو قاتم لا تشرق عليه أنوار العلم والدين والثقافة، نوعية لاهية لا تتمسك بتقاليد ومثل •

ولقد تابعت صنائع هؤلاء المختطفين فوجدت معظمهم – إن لم يكن جميعهم – من أهل الحرف المختلفة التى ربحت وكسبت كثيرا بقليل من الجهد ، إنها طائفة جاهلة بالدين والأخلاق، مغرورة بما تحت يدها من أموال، وهى للأسف الشديد ضحية لأفكار مستوردة وعادات وافدة، فلنتوكل على الله ولنخلص لديننا ووطننا حتى نعالج هذه الأدواء قبل انتشارها واستفحالها وقبل أن تصبح ظاهرة عامة وسمة غالبة•

الشباب فى بعض مراحله – خاصة – إذا لم يتقو بالعلم – سريع التأثر بما يراه ويقع تحت بصره وسمعه، ولهذا فإن وسائل الإعلام محتاجة لإصلاح أو إلى رقابة صارمة تعمل لمصلحة المجتمع وحماية التقاليد بمنظور إيمانى وبوعى إسلامى، (والتلفاز) أخطر هذه الوسائل بما يقدمه من أفلام رخيصة ساقطة وتمثيليات ساخرة هازئة تسخر من رجال العلم والدين ، وتهزأ بالمثل والقيم ، وتحض على الجريمة وكذلك السينما والمسرح، ثم يأتى الفيديو وما أدراك ما الفيديو فتعرض فيه أفلام العنف والجنس والجريمة .. كيف دخلت هذه الأفلام؟ لا ندرى .. وأين الرقابة على هذا الجهاز وعلى أنديته الخاصة به؟

وقد اندفع بعض الشباب من هذه الطبقة الجديدة إلى تعاطى المخدرات أكلا وشربا وشما وحقنا، وللأسف وللأسى يباع بعضها فى الصيدليات من غير رقابة طمعا فى مكسب رخيص، وجريا وراء

بريق المادة الأخاذ ، وهكذا التقت على أراضـينا مخـدرات الشـرق الطبيعية ومخدرات الغرب الصناعية وشـبابنا وكبارنـا أيضـا هـم الضحية، وتنعكس النتيجة إلى طبقات الأمة وبقية أفراد المجتمع .

كما تبرجت كثير من النساء والفتيات، وكشفن عن أبدانهن التـى أمر الله بسترها، وأسرفن فى استخدام الزينة، وقلدن نسـاء الغـرب، وابتعدن عن شرع الله ومنهج السماء، وقد واكب ذلك تقصـير الآبـاء والأزواج وأولياء الأمور نحو ما يدور فى منازلهم، وتسترت ــ بدون قصد ــ بعض الأمهات على بناتهن فى الخـروج بـدون داع أو مـع خطيب مزعوم أو بحجة المذاكرة التى يساء إليها وترتكب باسمها كثير من الحماقات.

ولابد أن تنهض الأجهزة الحكومية لحل أزمة الإسكان؛ فقد تولـد عن هذه المشكلة تعقيدات كثيرة فى الزواج، وأصبح اسـتكمال الـدين أمرا عسيرا، ثم نرى الإسراف فى المهور والتمسك ببعض الشـكليات فى الزواج قد أضافا أعباء جديدة على الشباب، وكـان أن انصـرف بعضهم عن النكاح الذى أحله الله، ثم صاحب كل ذلك ابتعاد عن منهج الله، وعدم تطبيق لشريعة الإسلام فاتجه من ضعف الوازع الدينى عنده إلى الكراهية وإلى حب الانتقام وإشباع الرغبـات وإلـى الاختطـاف أيضا.

عندما كتبت هذا الكلام فى عام ١٩٨٥م كنـت مثـل الكثيـرين مشغولا ومهموما بقضايا الشـباب وهمـوم المجتمـع، وتوقعـت أن

العقوبات الرادعة سوف تعيد الأمر إلى نصابه، لكن المؤسف حقا هو أن المشكلة ما زالت على ما كانت عليه[١]، وإن كانت تجاوزات الشباب لم تعد قاصرة على الاختطاف وإنما أضيفت إليها أوباء جديدة مثل الزواج السرى ، وغيره من الأمور التى لم يكن يتوقعها أحد مثل صنيع عبدة الشيطان، والدعوة إلى البهائية، والتحلل من الدين، فى مقابل فريق آخر يتطرف فى آرائه، ويتشدد فى أحكامه ، ويحول معتقداته إلى نوع من العنف والإرهاب اعتقادا لفهم خاطئ، ولقلة الثقافة الدينية التى زادت مستوياتها بدرجة كبيرة فى السنوات الأخيرة.

وهكذا ظهر فى المجتمع فريقان من الشباب على طرفى نقيض: أحدهما يبتعد عن الدين ويتحلل منه، ويقع منهم ما يقع من تجاوزات مثل اختطاف النساء والفتيات، وفريق آخر يعتقد بالقليل الذى يحصله، وتكون نتائج تشدده وخيمة للغاية.

إن هؤلاء وهؤلاء لا يشرفون المجتمع، ولا ينتظر منهم أن يتحقق مجد لوطنهم على أصحاب هذه التوجهات، وهم مع كل ذلك لا يمثلون إلا نسبة ضئيلة فى المجتمع، ولعلهم يعودون إلى صوابهم إذا تحققت لهم فرصة عمل مناسبة، واستثمروا طاقاتهم فى النافع المفيد.

أما قضية اختطاف النساء فهى مسألة ذات أبعاد مختلفة، ولابد أن يتعاون الجميع على حلها حتى لا يسبح هذا الفريق ضد التيار، والله الموفق وعليه قصد السبيل.

---

(١) شهر يونيو عام ٢٠٠٦م.

وحدة المسلمين فى المساجد(*)

إن وحدة المسلمين ضرورة ملحة، خاصة فى هذا العصر الذى كثرت فيه النزاعات والاختلافات، وعم فيه الشقاق بين كثير من بلدان المسلمين. ومن الأفضل أن تكون الدعوة إلى هذه الوحدة منطلقة من بيوت الله، حتى تكون مبرأة من الهوى، وبعيدة عن كل غرض دنيوى محض، لكن كيف تكون هذه الدعوة من المساجد التى تزداد الفرقة والانقسام فى الرأى فى عدد كبير منها مما يصم المسلمين بكثير من الأوصاف التى لا تليق بهم بل وتسىء إلى دينهم ، وإذا كان الاختلاف فى الرأى – بشرط ألا يفسد ما بين المختلفين من ود – مقبولا فى أمور الدنيا ، فإنه غير مقبول فى شأن الدين، وأن هذه أمتكم أمة واحدة".

وأذكر فى هذا المقام بعض ما لمسته فى كثير من مساجدنا فى السنوات الأخيرة عندما كنت مكلفا من وزارة الأوقاف بالخطابة فى بعض المساجد أقول: كنت أدخل المسجد وأتهيأ للخطبة. وقبل الصعود إلى المنبر يأتى لى واحد من القائمين على المسجد فيقول لى إننا نؤدى أذانا واحدا وذلك عندما يجلس الخطيب على المنبر، أو يأتى لى من يقول : إننا نختم الصلاة سرا ... أو علانية. وصرت بعد التنقل فى عدد من المساجد أسأل القائمين عليها عن أمور كثيرة بعد دخولى المسجد، خاصة إذا كانت هذه المساجد (أهلية) وليس للأوقاف عليها

(*) جريدة اللواء الإسلامى عدد ٢٥٧ بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ١٩٨٦م.

إشراف فيما عدا إمدادها بخطيب دائم أو متغير ، ولعل هدف هذا السؤال واضح، ولم يكن من هذا الهدف أن أغير ما اعتاده الناس ما دام ذلك غير متعارض مع نص صريح من القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد كانت هذه الاختلافات تشمل آذان الفجر، وإذاعته فى مكبرات الصوت، وتشمل أيضا الأدعية التى تنطلق من الإذاعة وتبثها مكبرات الصوت، وطول الخطبة وقصرها، والإطالة فى قراءة القرآن أثناء الصلاة، وإن كانت الوزارة قد (تجرأت) وحسمت الأمر فيما يتعلق بالخطبة وإذاعة الأدعية بمكبرات الصوت ، وعموما هذا هو الواقع بدون مبالغة أو تقليل لكنه واقع سيىء ، ولا ينبغى أن يكون فضلا عن عدم اتفاقه مع جوهر الإسلام ومظهره .

وأرى أن تختار وزارة الأوقاف بعض العلماء لمعالجة هذه المشكلات من خلال اختيارهم مذهبا واحدا حتى لو كان من مذاهب علماء الفقه والحديث المتأخرين إذ أن بعض الأمور المختلف فيها لم يعرض لها العلماء المتقدمون عرضا سريعا مباشرا ثم يحددون منهجية هذا المذهب فى كل ما يتعلق بالصلاة ، وبخاصة صلاة الجمعة وشعائرها، وأود ألا يتضخم هذا المنهج كما تضخمت موسوعة الفقه الإسلامى ثم تطبع الوزارة هذا المنهج (المختار) والمختصر أيضا، وتوزعه على المساجد ، حتى يلتزم به الجميع سواء من يعمل فى الأوقاف أو من يتعاون معها، أو من يخطب فى مساجدها، بل يلتزم به

كل من يدخل المسجد للصلاة والعبادة، أو يجتهد هؤلاء العلمـــاء فـــى اختيار منهج مستقى من عدة مذاهب مع مراعـــاة الســـهولة واليســـر، والالتزام بما ورد فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ .

آداب التعزية فى الإسلام(*)

نشرت اللواء الإسلامى فى عددها الخامس والأربعين بعد المائة دراسة موجزة ولكنها مفيدة عن آداب التعزية فى الإسلام، وقد استندت الأحكام الفقهية إلى الكتاب والسنة ، وهذا ما نوصى به وندعو إليه ، مع العلم بأن المجلة لها جهد مشكور وسعى حميد فى هذا الاتجاه.

وحول البكاء على الميت ذكر "إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وهذا الحكم مستقى من حديث للرسول ﷺ بالألفاظ نفسها أو بألفاظ قريبة منها على اختلاف الروايات المنقولة عن عمر بن الخطاب وابنه عبدالله رضى الله عنهما .

قال الرسول ﷺ : "إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه"[١] وفى رواية ببعض بكاء أهله عليه" وفى رواية : "ببكاء الحى" وفى رواية: "يعذب فى قبره بما نيح عليه"، ولا خلاف فى المضمون بين الروايات المذكورة وغيرها.

وقد ذكر الحديث أو الحكم الذى يحمل لفظه ومعناه من غير تعقيب حتى يكون ظاهر النص (إذا صح هذا التأويل) بمثابة ردع وتخويف لمن يصرخون ويولولون على الميت من أهله ومن غير أهله، حقيقة وصدقا أو كذبا ومجاملة.

(*) اللواء الإسلامى العدد ١٤٧ فى ١٥ نوفمبر ١٩٨٤م.
(١) رواه مسلم .

ولكن ربما يتساءل البعض ومعه حق قائلا: وما ذنب الميت في تحمل أوزار لا دخل له فيها؟ لقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [١] وقال: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ [٢] وقال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [٣] وحول هذا المعنى وردت آيات أخرى كثيرة، والأصوب أن يتبع الحديث (أو الحكم الشرعى) ببيان يكون شافيا وهو أن الميت يعذب ببكاء الناس عليه إذا كان قد أوصى بالبكاء والنوح عليه؛ لأن ذلك كان بسببه فيتحمل نتيجته .، وكان من عادة العرب الوصية بذلك (كما أشار النووى إلى هذا فى شرحه لصحيح مسلم) كقول طرفة بن العبد:

إذا متُّ فانعينى بما أنا أهلُه وشُقّى على الجيبَ يا ابنةَ معبد

وقد أنكرت السيدة عائشة رضى الله عنها أن يكون الرسول ﷺ قد قال ذلك، ونسبت ما رواه عمر وابنه عبدالله رضى الله عنهما إلى الاشتباه أو النسيان والخطأ وقالت: "لا والله ما قال رسول الله ﷺ قط إن الميت يعذب ببكاء أحد" وإنما مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكى

(١) النجم ٣٨، ٣٩ .
(٢) المدثر ٣٨ .
(٣) البقرة ٢٨٦ .

عليها فقال: إنهم ليبكون عليها وإنها لتعذب في قبرها" أى أنها تعذب بكفرها فى حال بكاء أهلها لا بسبب البكاء[١].

على أننا ننبه إلى ضرورة مقاومة النياحة على الميت لقول الرسول ﷺ : "ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية" مع التوصية بعدم البكاء وعدم خروج النساء وراء الميت، والله من وراء القصد وهو أعلى وأعلم.

---

(١) راجع شرح النووى على صحيح مسلم.



بحوث إنسانية

١ ـ الأمية .

٢ ـ محو الأمية بين الحلم والواقع .

٣ ـ تعليم الكبار.

٤ ـ حول السخاوى ـ خطأ وصوابه .

٥ ـ صورة من الحاضر.

٦ ـ جائزة الملك فيصل.

٧ ـ من الذاكرة.

٨ ـ حقوق الملكية الفكرية بين الماضى والحاضر.

٩ ـ التخطيط الجغرافى ودوره فى مواجهة الكثافة السكانية.

الأمية

من المؤسف أن نقرأ بين الحين والآخر عن نسب الأمية الهجائية بين الكبار من الرجال والنســاء ، وأن الإحصــائيات التــى نطالعهــا تتضارب مع بعضها مما يوحى بأن القضية من جميع أطرافها تخضع للعشوائية وعدم الانضباط ، ولا شك أيضا فى أن الهيئة العامة لمحــو الأمية تؤدى دورا فاعلا ومؤثرا، لكنها تواجه بمعوقات لعل من أهمها عزوف كثير من الكبار عن التعليم، وعدم رغبتهم فى محــو أميــتهم، وهذا شىء محزن؛ لأن العالم ـ الآن ـ فى صــراع حــول التفــوق العلمى والتكنولوجى وتحولت الدنيا على اتساعها إلى قرية صغيرة من خلال وسائل الاتصالات الحديثة، ونحن لا زلنا نسعى لمحو الأمية لدى الكثيرين ولم نصل إلى أقل الطموحات فى هذا الشأن وهو محو الأمية الهجائية وهى أمر قليل وطموح بسيط فى حق الإنســان المعاصــر ، وفى ظل الألفية الثالثة ثم تأتى بعدها أميات أخــرى ، وهــى الأميــة الثقافية والأمية الدينية والأمية السياسية وغيرها .

إن مخاطر الأمية على تقدم الوطن كثيرة تفوق الحصــر فممــا يؤسى له أن كثيرا من المفاهيم المغلوطــة والآراء المنحرفــة تنتشــر كالنار فى الهشيم بين الأميين الذين أغلقوا وصموا آذانهم عن المعرفة الصحيحة والآراء الجادة، وخضعوا عن ضعف وعدم معرفة إلى مــن يسوسهم ويؤثر فيهم تأثيرا سيئا؛ ذلك لأن من معــانى الأميــة الغفلــة والجهالة وعدم الوعى.

إن تعلم القراءة والكتابة ما هو إلا خطوة أولى على طريق العلم والمعرفة، وتأتى بعدها خطوات لا غنى عنها، فالمرأة غير المتعلمة كيف تقدر على تنشئة أبنائها تنشأة سليمة صادقة؛ ذلك لأن فاقد الشيء لا يعطيه وقد قال الشاعر أحمد شوقى:

وإذا النساءُ نشأنَ فى أميّةٍ .:. رضع الرجالُ جَهَالةً وخمُولا

ولننظر إلى ما يجرى فى الانتخابات إذ يقدم المرشح نفسه إلى الناس بالرمز الذى يستوعبه الأمى، وهذه فضيحة بكل المقاييس بل إن بعض المرشحين ـ للأسف الشديد ـ لم يكونوا على دراية بالقراءة والكتابة.

وإذا كان للاستعمار قبل الثورة المصرية دخل فى هذه المأساة، فإن ذلك قد مضى عليه أكثر من نصف قرن ، وكان من الواجب التصدى لهذه المشكلة منذ زمن طويل ولكن احتياج كثير من أبناء الريف للعمل فى الزراعة قد أسهم فى التسرب المستمر من فصول الدراسة .

ولكن الأمل لا زال قائما فى ضرورة التصدى لهذه المشكلة ومواجهة من يزورون شهادات محو الأمية بالعقاب الصارم الشديد.

نعم إن الأمة التى تتفشى فيها الأمية لا يمكن أن يكون لها وزن أو مستقبل بين الأمم، ذلك لأن الصراع الآن صار صراعا حضاريا وعلميا، ونحن لا نعبأ كثيرا بالمستقبل، وكأننا لا نعيش فى ألفية ثالثة

صارت الغلبة فيها للعلم ، وأن الشائعات والكلام الفارغ ، والتأخر التكنولوجى لا قيمة لها ٠

لابد أن نعتبر من التاريخ ومن واقع الأمم التى نهضت من كبوتها، واستردت عافيتها، وصارت ــ بالعلم والمعرفة ــ رائدة فى كثير من المجالات ٠

وقد أطلق قديما على العرب اصطلاح الأمية؛ لأنهم لم يكونوا أهل كتاب، والأمية عندهم أمية دينية تخبطوا بسببها فى كثير من الجهالات والضلالات والأوهام٠

وجاء الإسلام دعوة عالمية بصريح النص القرآنى فدعا إلى محو الأمية من يوم أن أتيحت سبل المعرفة تحت ظلال هذا الدين الجديد ، وحض الرسول ﷺ على ذلك إلى الدرجة التى جعل فيها تعليم المرأة ومحو أميتها بمثابة صداق يقدم لها عند الزواج٠

أما مواقف الرسول فى غزوة بدر من أسرى قريش، فقد جعل ﷺ تعليم الأميين من جيش الإسلام سبيلا للفداء٠

أما مسألة العجز عن محو الأمية الأبجدية فى الوقت الذى يتحدث فيه العالم عن محو الأمية التكنولوجية فهى مفارقة عجيبة٠

ونرى ضرورة اتساع المدارس الابتدائية للجيل الجديد والتصدى لأى نوع من التسرب، وترك فصول الدراسة حتى نتمكن من تجفيف منابع الأمية بكل حزم، ونأتى إلى الكبار رجالا ونساء فنقدم ونعد حصرا دقيقا لهم لبيان أعدادهم وأعمارهم، وتتكفل كل وزارة أو

مصلحة حكومية بمحو أمية من بها مــن الرجــال والنســاء، ويبقــى الأخرون الذين ينتشرون فى القرى والنجوع، وهؤلاء يحتــاجون إلــى جهد مضاعف ليس من الهيئة العامة لمحو الأمية فحسب وإنمــا مــن بعض الجهات الأخرى مثل وزارة الأوقاف والقوات المســلحة ووزارة التربية والتعليم، ولتكن صاحبة النصيب الأكبر والجهد الأوفر فى هــذا المجال، وكذلك وزارة الثقافة ووزارة الشباب ولنختر عاما محــددا ــ من الآن ــ نختاره وفق المتاح من الإمكانيات، ونعلن فيه وفاة الأميــة فى مصر ــ بصدق، وحتى نستطيع الانتقال إلى مراحل أخرى يكــون لنا فيها شأن، وحتى لا تكون أمة اقرأ لا تحسن القراءة، أو تجهلها ولا تعرفها أساسا.

محو الأمية بين الحلم والواقع(*)

١ـ ماذا يراد بمحو الأمية :

عرفت الأمم القديمة القراءة والكتابة، ووجدت آثار كثيرة عليها رموز وإشارات وأنواع متعددة من الخطوط سواء أكان ذلك عند العرب أم عند غيرهم من الشعوب، إلا أن الكتابة عند العرب — خاصة — كانت قليلة وغير منتشرة بينهم وقيل لهم (الأميون).

وجاء الإسلام فحض على العلم ، وحث على القراءة، فكان أول ما نزل من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ (١) .

وقال تعالى:﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ

(*) قدمت هذه الدراسة فى حلقتين بإذاعة البرنامج الثقافى (برنامج عالم الإنسانيات) وأذيعتا فى يومى ٢٤/ ١/ ١٩٩٥م، ٧/ ٢/ ١٩٩٥م.

(١) العلق : ١ ــ ٥ .

(٢) القلم : ١ ــ ٤ .

لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (١) ، وقال القرطبى فى تفسير هذه الآية نقلا عن عبدالله بن عباس : "الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب، لأنهم لم يكونوا أهل الكتاب"، أى أن الأمية على ذلك عند العرب أمية دينية.

والأرجح أنهم كانوا أميين؛ لأن الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة ، فقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى فى كتاب الصوم عن ابن عمر: "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا يعنى مرة تسعة وعشرين مرة ثلاثين".

فالأمية: الفطرة وترك العلم وعدم اكتساب الخبرة، والدربة والمعرفة الدقيقة بالقراءة والكتابة.

وجاء فى لسان العرب عن الزجاج: "الأمى الذى على خلقة الأمة لم يتعلم الكتاب فهو على جبلته، وفى التنزيل العزيز : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ .... ﴾ .(٢)

وقال أبوإسحاق : "معنى الأمى: المنسوب إلى ما عليه جبلته أمه، أى : لا يكتب فهو فى أنه لا يكتب أمى؛ لأن الكتابة هى مكتسبة، فكأنه نسب إلى ما يولد عليه، أى على ما ولدته أمه عليه..".

وجاء فى اللسان أيضا : "وقيل لسيدنا رسول الله : الأمى، لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب، وبعثه الله رسولا، وهو لا

---

(١) الجمعة : ٢ .
(٢) البقرة : ٧٨ .

يقرأ ولا يكتب من كتاب، وكانت هذه الخلة إحدى آياته المعجزة؛ لأنه ﷺ تلا عليهم كتاب الله منظوما تارة بعد أخرى بالنظم الذى أنزل عليه، لم يغيره ولم يبدل ألفاظه.

وكان الخطيب من العرب إذا ارتجل خطبة ثم أعادها زاد فيها ونقص، فحفظه الله عزوجل على نبيه كما أنزله، وأبانه من سائر من بعثه إليهم بهذه الآية التى باين بينه وبينهم بها، ففى ذلك أنزل الله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[١] الذين كفروا وقالوا: إنه وجد هذه الأقاصيص مكتوبة فحفظها من الكتب".

فالأمى نسبة إلى الأم أو الأمة، وهو من لا يقرأ ولا يكتب، ومن معانى الأمية: الغفلة والجهالة وعدم الوعى.

وفى الواقع الذى نتعامل معه الآن نرى أن الأمى هو الذى تجاوز سن القبول بالمرحلة الابتدائية، ولم يصل إلى سن خمسة وثلاثين عاما، ولا يرتبط بمدرسة ما ، ويتحقق محو أميته بالوصول به إلى مستوى إتمام المرحلة الابتدائية مع تزويده ببعض المهارات والحرف التى تساعده على المشاركة فى النهوض بالمجتمع، وتركز الهيئة العامة لمحو الأمية فى مصر على محو أمية الشباب من الخامسة عشر إلى الخامسة والثلاثين عاما .

---

(١) العنكبوت : ٤٨ .

أما تعليم الكبار فإنه يشمل من هم فى حدود المرحلة السنية السابقة ومن تجاوزها إلى ما فوق الستين ، ولذلك لا نجد فرقا بين (محو الأمية) و(تعليم الكبار أو الكبيرات)٠

٢ـ أسباب انتشار الأمية فى مصر:

لا يرجع انتشار الأمية فى مصر ـ بصفة خاصة ـ إلى سبب واحد، وإنما يعود إلى أسباب كثيرة بعضها قديم والآخر قائم فى واقعنا المعاصر، ذلك أن طبيعة الشعب المصرى تعشق الزراعة، ويعمل الكثيرون فيها، ويحرص كثير من الناس على إخراج أبنائهم من الصفوف الدراسية إلى حقول الزراعة، وأذكر أننى كنت واحدا ممن خرجوا من مقاعد الدراسة إلى الحقل قبل أن أتم المرحلة الابتدائية، ولكن والدى أعادنى إلى التعليم بعد أن تأكد لديه عدم صلاحيتى لفلاحة الأرض، وننبه إلى خطورة عدم عناية أولياء الأمور بإدخال أبنائهم وبناتهم المدارس النظامية ـ أو حتى الكتاتيب ـ فى المراحل السنية الأولى، أو لتسرب بعضهم من المدارس وعدم استكمالهم لسنوات الدراسة سواء أكان ذلك بسبب رغبة الأب أو تقصيره أم لرغبة التلميذ فى الانصراف عن التعليم، والسعى لمعرفة حرفة أو مهنة يتكسب منها أو يعول أسرته بها، ومن خلال قربى من الأماكن الممتلئة بالأميين نرى أن نسبة الأمية تزداد فى الريف إما لأن بعض القرى لم تنشأ فيها مدارس إلى وقت قريب، وإما لأن أولياء الأمور لا يدفعون أبناءهم إلى التعليم فى المرحلة الابتدائية ـ على الأقل ـ ونراهم ـ أو نرى

البعض منهم لا يكترث ولا يبالى بخروج ابنه من المدرسة وانصرافه إلى الورشة أو الحقل إلى وقت قريب.

وأؤكد أن الوعى قد انتشر ـ الآن ـ فى الريف ، وتغيرت الأحوال إلى الأفضل وصار الآباء وأولياء الأمور يتشبثون بتعليم أبنائهم، فانتشر التعليم بصورة كبيرة وإن لم يصل إلى الدرجة التى نطمح فيها ونتطلع إليها .

ولذلك فأول ما أطالب به هو القضاء على ظاهرة التسرب من التعليم الابتدائى فالشعوب المتحضرة ـ الآن ـ تجاوزت مرحلة القضاء على الأمية، وانتقلت إلى دراسة الحاسب الآلى بلغاته المتعددة، ونحن لازلنا نتكلم عن مشكلة موجودة وهى الأمية .

٣ـ الأمية من أخطر المشكلات:

تعد الأمية من أخطر المشكلات القومية أو الوطنية فى كثير من دول العالم الثالث، فالذى يستطيع أن يفك الخط العربى، ويقرأ جريدة أو مجلة نراه يتعرف على أحوال أمته وقضايا الساعة وأخبار العالم، وطرق الزراعة وأسرار الآلات الحديثة فى الصناعة، أو فى غيرها، ثم إن المتعلم كثيرا ما يحمى نفسه من العوز والجهل والمرض، ويستفيد بتجارب الآخرين، ويتعلم الدين الصحيح والعقيدة المستقيمة.

إن مما يؤسى ويؤسف له أن كثيرا من المتعلمين يحتاجون إلى إعادة محو لأميتهم، وصارت أهداف التعليم منحصرة فى الشهادة التى

يظفر بها المتعلم، ويسعى للجلوس بها في مكتب أو استثمارها في أى شأن من شؤون الحياة.

إن الاحتلال الأجنبى لمصر قد استعمرها لمصالحه واقتصاده وأوقعها فى ربقة (الفقر والجهل والمرض)، وهى الآن تسعى لتنفض عن أثوابها تراب الماضى، ودلائل الخزى، وبقايا الأمية والجهل، وحتى تصبغ حياتها الجديدة بألوان مشرقة زاهية بهيجة.

٤ـ المستوى المستهدف لمن يرغب فى محو أميته:

تنهض الهيئة العامة لمحو الأمية بجهود غير مسبوقة على المستوى المحلى لرفع أمية من فاتهم قطار التعليم، وقد استقلت الهيئة (الآن) عن وزارة التربية والتعليم وصارت لها ميزانية خاصة بها توظفها فى تجميع الأميين وتعيين المدرسين من الخريجين الذين لا يقومون بعمل (ما).

فعملية محو الأمية لا تعود بالنفع على الفرد الذى تمحى أميته فحسب، وإنما تمتد لتشمل عددا محددا من (العاطلين) الذين يرغبون فى عمل شريف بأجر معقول ، ولذلك فالهيئة تقبل عددا من هؤلاء الخريجيين من ذوى المؤهلات المتوسطة والعالية وتعدهم للتدريس فى محو الأمية خلال مدة قصيرة لا تتجاوز عشرة أيام، ثم تكلفه بتجميع عدد من الأميين لا يقل عن خمسة وعشرين فردا من الذكور والإناث، وتسهم المحليات والأوقاف بتوفير الأماكن الصالحة لانتظام الدراسة سواء أكان ذلك فى المدارس أم فى المساجد أم فى أى مكان آخر

صالح لانتظام الدراسة، وتصرف الهيئة رواتب لهؤلاء المدرسين، وتقدم الكتب للدارسين، وينهض أعضاء اللجان الفنية بالإشراف والمتابعة للعملية التعليمية، ويوجد مستويان للدراسة: المستوى الأول ويستمر الدارس فيه تسعة أشهر يتوقع له أن يصل بعده إلى مستوى الثالثة الابتدائية.

المستوى الثانى: ويقضى الدارس فيه تسعة أشهر أخرى يرقى بها تعليميا إلى مستوى نهاية الحلقة الأولى من التعليم الأساسى (الشهادة الابتدائية) يعقد بعدها امتحان يمنح الناجح فيه شهادة محو الأمية.

لكن من المؤسف أن بعض الدارسين لا يواصلون الدراسة إلى نهاية المرحلة مع قصرها وتكثيفها، ويرجع ذلك غالبا إلى أن بعض هؤلاء الدارسين يسهمون مع أسرهم فى السعى على أرزاقهم حسب الحرفة التى يعيشون منها.

إننا قد تأخرنا كثيرا فى القضاء على هذه المشكلة، ولم نستثمر من كانوا يشاركون فى مشروع الخدمة العامة لتوجيههم إلى محو الأمية وتعليم الكبار.

٥ ـ عدم وجود إحصائيات :

ونؤكد أنه لا توجد إحصائيات دقيقة عن عدد الأميين من الذكور والإناث، أما الشيء المؤكد الذى ذكره رئيس الهيئة العامة لمحو الأمية بالزقازيق فهو عدد الخريجين الذين تم القضاء على أميتهم،

والإحصائيات الموجودة عن عدد الأميين تقريبية، ولذلك فإننى لا أقول عنها إحصائيات ، وأعتقد أن أى كلام عن محو الأمية من قرية أو مدينة غير دقيق، وقد تابعت هذا الأمر بنفسى، فمنذ سنوات وقبل إنشاء (الهيئة) أمكن القضاء على أمية آخر فرد فى إحدى القرى[١]، وتأكد لى أن أعدادا كثيرة من أهل القرية لا يستطيعون فك الخط أو قراءة أسمائهم، ولا زالوا يحملون (الختم) فى جيوبهم ومحافظهم، وتسجيل الأميين ليس معضلة يتعسر حلها، فمنذ فترة قصيرة قامت أكثر المحافظات بتسجيل الخريجين من أبنائها، وذلك حتى تتعرف على حجم المشكلة، وتوظف بعضا منهم فى مشاريعها الداخلية (المحلية).

ولا يكفى من وجهة نظرى اشتراط القراءة والكتابة للتعيين فى الوظائف، لوجود أعداد كبيرة لا تعمل فى الحكومة والقطاع العام، فمن يمحى أميتها؟

وينبغى الحذر عند الإعلان عن أى نجاح فى هذا المشروع، لكن لابد من الدعوة الصادقة إليه والإعلان عنه، وشرحه للناس بأسلوب هادئ رزين، يستند على الوقائع أكثر من استناده على الطموحات والآمال.

٦ـ الخطط التى تتبناها الهيئة المعنية بمحو الأمية:

لقد استبشرت خيرا كثيرا بالنسبة للقضاء على الأمية (فى مصر)، لأن المسئولية ــ كما ذكرت ــ قد أنيطت بجهة واحدة تتولى وضع الخطط والإشراف على تنفيذها وهى: الهيئة العامة لمحو الأمية التى

---

(١) بمحافظة الشرقية.

تنتشر فى سائر المحافظات بفروعها المتعددة، وقد كنا نضيق بما يقال عن جهود وزارة التربية والتعليم فى هذا الشأن، وكانـــت الشـــهادات الخاصة بإنهاء مرحلة محو الأمية قد فقدت قيمتها للبذخ أو التساهل فى منحها، ذلك لأن الجامعيين ممن كانوا يكلفون بالخدمة العامـــة، كـــانوا يمنحون مكافأة زهيدة لا تسمن ولا تغنى من جوع، ثم تغيرت الأمـــور ـــ الآن ـــ وصارت الشهادات تمنح لمن ينتظم فى الدراسة وينجح فى الامتحان.

ونؤكد على عامل مهم فى القضاء على الأمية .. وهـــو كتـــاب القرية، فالكتاب يمحى الأمية ويقوى الشعور الدينى عند الأطفال، بمـــا يحفظون من كتاب الله الكريم، والمشـــكلة معروفـــة بآثارهـــا الســـيئة وعواقبها الوخيمة، والخطط غير متوفرة لعدم وجود إحصائيات دقيقة، فرفع الأمية من المجتمع وإزاحتها من طريقه لم يعد ترفـــا أو وجاهـــة اجتماعية، والعلم نور على صاحبه وللمجتمع وللدولـــة، ونشـــره بـــين الناس لا يكون بالاجتهاد الفـــردى أو بـــالجهود المحـــدودة والأمـــانى المعسولة، وإنما يتم بجهود الهيئة العامة وخططها وميزانيتها (السخية) ووسائلها التعليمية المتحضرة وبجهود المحليات على اختلاف درجـــات التمثيل فيها.

ولابد أن تسهم الوزارات المختلفة فى القضاء على ما تبقى لديها من كبار لم ينالوا أى قسط من التعليم، ونخص فى مقدمتها (الأوقـــاف)

و(الأزهر)، ثم لابد أن تنهض وزارتا الدفاع والداخلية فى القضاء على أمية المنتسبين لهما .

٧- الميزانية والاعتمادات :

تحتاج محو الأمية لميزانية كبيرة سواء نهضت بها هيئة أو وزارة أو جامعة من الجامعات المنتشرة فى سائر أنحاء الجمهورية، وقد أفاد بعض المسئولين فى الهيئة العامة لمحو الأمية بعدم وجود مشكلات مالية، بل إن الميزانية المخصصة لإحدى فروع الهيئة قد وجد بها زيادة وفائض مما يؤكد انتفاء المشكلات فى هذا الجانب، ذلك لأن المحليات ووزارة الأوقاف يسهمان فى العملية التعليمية بصورة أو بأخرى، مثل توفير الأمكنة والدعوة إلى العناية بهذا المشروع الكبير، وتضافر الجهود على الاستمرار فيه، حتى لا تفتر هذه الهمة ويتقاعس المشاركون عن الحركة سواء أكان ذلك من المسئولين أم من المدرسين والدارسين، إلى أن يتم محو الأمية للجميع حسب الخطة الطموح التى تنتهى بنهاية هذا العقد من السنين وهو (عقد التسعينيات).

فالميزانية المخصصة تغطى وتشمل سائر النفقات من الرواتب والوسائل والمكافآت، ونطالب فى هذه الدراسة بتضافر الجهود من الهيئة وسائر الوزارات؛ لأن المسئولية كبيرة، بحجم المأساة التى عاش فيها شعبنا لفترات طويلة كان خليقا بأن يكون فى عداد الدول المتقدمة التى لا تعانى من هذه المشكلة الرهيبة.

ونستطيع أن نحكم على الخطط والمناهج وسائر الجهود المبذولة بالنجاح حتى يتم القضاء على الأمية تماما وتختفى (الأختام) من جيوب الناس، وينصرف صناعها إلى مهن أخرى.

٨ - أهم التوصيات:

لقد عايشت مشكلة محو الأمية من خلال نشأتى فى الريف، وإقامتى بين أهله، ولذلك كتبت عن تعليم الكبار والكبيرات ومحو الأمية بصفة عامة، وأبنت عن أهم الطرق المفيدة لتعليم القراءة والكتابة للمبتدئين، ثم اتصلت ببعض العاملين فى الهيئة العامة لمحو الأمية، ولذلك كنت أسعد وأسر وأنا أرى الكثيرين من أبناء وطنى الذين لم ينتظموا فى المدارس أو لم يتعلموا فى الكتاتيب وهم يحملون الأقلام والأوراق، ويجلسون فى المنزل أو تحت الشجرة، وهم يحاولون أن يكتبوا ويقرءوا فى صمت، ولذلك فإننى أرى ما يأتى:

أ - إحكام القبضة على التعليم الابتدائى حتى لا يتسرب منه أحد من التلاميذ وتزداد بهم مشكلة محو الأمية صعوبة وتعقيدا، ونؤكد على ضرورة أن ينتظم فى الدراسة الابتدائية كل من بلغ السن القانونية للدخول.

ب - ضرورة العمل على توعية الأميين ، من خلال وسائل الإعلام المختلفة، حتى يقبلوا على هذا المشروع العظيم، لأن أخطر مشكلة يمكن أن تهدد هذه العملية هو انصراف الناس عنها، وعدم الاقتناع بها، كما أنبه إلى ضرورة أن تمتد هذه الدعوة إلى

الدعاة بالمساجد، وسائر الخطباء والمحاضرين بوزارة الأوقاف وإدارات الوعظ بالأزهر الشريف، مع التأكيد على أن الأديان تدعو إلى العلم والمعرفة، ونبذ الجهل والضلال.

جـ - لابد من العناية بإعداد (المعلم) إعدادا جيدا، وأن يختار بعناية وألا يقتصر دوره على جمع العدد المناسب لبدء البرنامج، فليس تعليم الكبار أمرا ميسورا ليستهان به بزعم أن المسألة هينة ويمكن أن ينهض بها أى متعلم أو خريج.

د - من أهم الضرورات فى العملية التعليمية وجود خطط معروفة ومعلنة تعمل (الهيئة العامة) والأجهزة المعاونة لها من خلالها، وأن الحكم على الخطط بالنجاح وعدمه يتوقف على حصر الأميين والتعرف على حجم المأساة وأن هذا الحصر ليس مشكلة مستعصية، ولا يكفى أن نحصر من تم محو أميتهم، بل لابد من معرفة عدد الأميين ونسبة تكاثرهم فى المجتمع الريفى والحضرى على السواء.

هـ - العناية بالإشراف والمتابعة لتنفيذ البرامج والخطط واستكمال المناهج وتحقيق المستهدف، ولابد أن تكون التقارير المعدة من قبل لجان المتابعة مطابقة للواقع ومعبرة عنه، ولا تكفى عبارة (العمل جارى ومنتظم) أو (لا توجد مشكلات وكله على ما يرام).

و - العمل على تطوير المناهج، والحرص على ملاءمتها للبيئة، والعناية بالوسائل التعليمية وتطويرها، وارتباطها بالبيئة.

ز - تصنيف الدارسين بالنسبة للعمر الزمنى لكل منهم والمستوى التحصيلى، إذا أمكن، وألا ينتقل إلى المستوى الثانى إلا من أتم المستوى الأول، ونجح فيه نجاحا حقيقيا معبرا عن المستوى الحقيقى للدارس؛ وحتى لا تفقد الشهادات المعطاة قيمتها ومغزاها .

ح - زيادة التعاون بين (الهيئة) والجهات الأخرى مثل وزارات الحكم المحلى والأوقاف والدفاع والداخلية وغيرها .

ط - الأخذ بنظام المكافأة أو الحافز للدارس المتفوق، وأن يعين أول الناجحين فى وظائف الخدمة بالمحافظة أو غيرها، أو مساعدته فى مشروع يتلاءم مع الحرفة أو المهنة التى يعمل بها.

ى - اختيار الأوقات المناسبة لبدء الدورات الدراسية، فليس من المعقول أن تبدأ الدورة مثلا مع بداية موسم جنى القطن ، ثم إن التأخر فى الدراسة ليلا غير ملائم لحياة أهل القرى الذين يحبون النوم مبكرا، والله الموفق وهو الهادى إلى سواء السبيل.

تعليم الكبار(*)

المقصود من الكبار فى هذا العنوان هم من فاتهم سن التعليم، وهو يبدأ من سن السادسة إلى ما بعد العشرين بقليل على أكثر الاحتمالات، وليس بمسلم أن يكون الكبار قد تخطوا مرحلة الكهولة إلى ما بعدها، وإنما قد يكون الكبار شبابا فى العقد الثالث من عمرهم، وقد يكونون كهولا أو شيوخا فى الستين أو السبعين.

والتعليم فى حد ذاته ضرورة ملحة للصغار والكبار على حد سواء ولكنه مع الصغار يأتى سهلا ميسورا، ولذا قيل "التعليم فى الصغر كالنقش على الحجر .." إذ تكون عقولهم صفحة بيضاء يرسخ فيها كل ما سجل بها وفى الصغر يمكن توجيه النشء إلى ميولهم ورغباتهم تمشيا مع خدمة المجتمع وإعلاء شأن البلاد.

أما الكبير الذى فاته سن التعليم فإنه قد عرك الحياة وخبر النفوس وكثرت تجاربه ومسئولياته وربما يكون متزوجا وراعيا لأسرة كبيرة، وربما يكون غير ذلك، وعلى كل فإن عبء التعليم بالنسبة للكبار يصير ثقيلا ولذا يحتاج إلى صبر وأناة سواء من المتعلم أو من المعلم أو من المسئولين أنفسهم.

وأهم شيىء من وجهة نظرى فى هذه القضية هو اقتناع المتعلم نفسه بضرورة العلم وأهميته؛ إذ ليس من الميسور أن تغير ما ألفه

(*) نشرت فى جريدة عكاظ فى الخامس من محرم سنة ١٤٠٧هـ الموافق للتاسع من سبتمبر عام ١٩٨٦م.

الإنسان، وتعود عليه فى أطر الحياة وشئونها. ومن الضرورة النهوض بحملة إعلامية ضخمة لإقناع الكبار بحب القلم والكتاب ، ويحسن أن تكون هذه الحملة عبر الوسائل الإعلامية المسموعة والمرئية لأنها أكثر تأثيرا فيمن فاتهم قطار العلم.

ويقع على المعلم فى هذه المهمة عبء كبير ومسئولية ضخمة فبإمكانه أن يحقق النتائج المبهرة لو تذرع بالصبر والأناة وأخلص لرسالته وإن كان ذلك ليس كافيا على الإطلاق فلابد من إعداده إعدادا علميا وتربويا جيدا مع تقرير الحافز المادى وتوفير سبل الراحة له مع ضرورة المتابعة والمراقبة بالنسبة للمعلم والمتعلم أيضا.

وتنهض وزارة المعارف بهذه التبعات ولا أكون مغاليا إذا قلت: إن المسئولية يتحملها الجميع فالدولة بكامل أجهزتها ووزاراتها ومؤسساتها هى التى تقرر الميزانية وتضع الحوافز وتعد المعلم وتوفر الأمكنة وتجهز الوسائل المختلفة فإذا وجد الكبار فى تعليمهم ومحو أميتهم عائدا مجزيا فسوف يقبلون على التعليم ويعدون أنفسهم له ويحرزون النتائج الرائعة.

أما وزارة المعارف بالذات فهى التى تعد الخطط والبرامج والإحصائيات ثم تنهض بالجانب الفعلى والتنفيذى لتعليم الكبار.

وإسهاما فى حل المشكلة يمكن أن تنهض كل وزارة بتعليم ومحو أمية من لديها من منسوبين وتقوم وزارة المعارف بالإشراف والمتابعة.

وأعتقد أن المدارس والكليات فى سائر المدن والقرى يمكـن أن تكون الأمكنة المناسبة لإنفاذ هذه المهمة التعليميـة، كمـا أن تسـجيل الأفراد الأميين ورصد استعداداتهم ضرورى وهام لتوزيع كثافتهم وفقا لإمكانات الوزارة.

ونؤكد أن تعليم الصغار والعناية بهم والالتزام بتعلـيمهم سـوف يقلل من أعداد الكبار الذين يحتاجون إلى تعليم ولو على المدى البعيد، ولا ينبغى الإسراف فى الأمل بقصد التسرع فى انتظار النتـائج، بـل يجب التمهل والتؤدة ووضع الخطط العلمية للقضاء على الأمية وفـق برنامج زمنى محدد إلى أن يأتى اليوم الذى يختفى فيه الأميون تمامـا وتختفى معهم الأختام وبصمات الإبهام من فوق الأوراق البيضاء.

وإذا كان تعليم الكبار يمثل مشكلة تواجه دول العالم الثالث لكنهـا ليست بمستعصية على الحل ما دامت النيات مخلصة والعزائم صادقة.

وقد سررت أيما سرور فى الشهور الأخيرة عندما شاهدت العديد من الرجال فى المحلات والمؤسسات والأماكن العامة وهم يحملون بين أيديهم القرطاس والقلم ويهب الواحد منهم ليسألك عن معنى كلمـة أو عن حل مسألة أو عن تركيب جملة وهو فى غاية السـعادة والرضـا والاقتناع.

حول السخاوى
خطأ وصوابه(*)

تلقيت رسالة من الباحث المحقق "السيد محمد ديب" المدرس المساعد للنقد الأدبى بجامعة الأزهر تعقيبا على ما كتبته عن الإمام أبى الخير شمس الدين السخاوى قال فيها: لقد قلت فيما كتبته عن السخاوى: وقد لقيه ياقوت صاحب معجم الأدباء فى دمشق وهو كهل لم يبلغ الشيخوخة وقد أعجب بسعة علمه ونشاطه الذهنى، والواقع أن الذى ترجم له ياقوت هو "على بن محمد السخاوى"، وهو غير "محمد ابن عبدالرحمن السخاوى" مؤلف "الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع" وقد توفى فى مطلع القرن العاشر على حين توفى ياقوت فى عام ست وعشرين وستمائة للهجرة.

وهذا الذى ذكره الأديب الفاضل صحيح، وإنما أوقعنى فى هذا الخطأ أننى اعتمدت فيما كتبت على الذاكرة ولكنها خانتنى، وكانت عندى موضع الثقة لا يختلط فيها الخطأ بالصواب، ويبدو أن طول الزمن أوهى قوتها وأوهن من جدتها، فقد قرأت معجم الأدباء لياقوت فى طبعته الأولى التى أخرجها المستشرق "مرجليوث"، ثم عدت فقرأته فى طبعته الثانية التى أخرجها الدكتور فريد رفاعى وأشرف عليها شيخنا عبدالخالق عمر، وقد عنيت بمراجعتها والتعليق عليها، وكان مما عنيت به فى ذلك أن أكملت ترجمة "على بن محمد السخاوى" التى

(*) جريدة الأخبار فى ٢٩/ ٤/ ١٩٨١م،بقلم الأستاذ محمد فهمى عبداللطيف.

أوردها ياقوت ناقصة، وقد نشرت هذا كله فى مجلة "الرسالة" فى أواخر الثلاثينيات، ولكن غاب هذا عن الذاكرة وأنا أكتب ما كتبت، والشكر للأديب الفاضل على ما حملته رسالته من تصويب لما أخطأت.

صورة من الحاضر(*)

كنا فى أحد الأندية الأدبية التى انتشرت فى مدن المملكة لمناقشة أحد الأدباء الذين لازالوا فى أول الدرب، وأشهد أن الشاب كان مهذبا رقيقا فقد استقبل نقدنا ـ وكنا أكثر من واحد ـ بصدر رحب ، لأنه أراد الاستفادة حقا، ثم زاد إعجابى به، وتقديرى له بعد أن علمت باتجاهه الحميد إذ قدم روايته الجديدة لأحد الزملاء المتخصصين فى نقد القصة والرواية حتى يقرأها، ويصلح له ما اعوج من لغتها وأسلوبها بما يحفظ للمبدع وقاره ومهابته . وإذا ما تحول الشباب المبدع إلى هذا التعقل والتبصر والوعى وزادت قراءاتهم استقام أسلوبهم واستقلوا بأنفسهم فى يوم من الأيام، ونهضوا بما ينهض به الأدباء المشهورون فى كل مكان.

إن هذا الاتجاه جعل بعض المبتدئين يعضون على الأصابع غيظا وندما وحسرة على إنتاجهم الغث الذى دفعوا به ابتغاء الشهرة والذيوع وفى غيبة النقد الموضوعى أو فى ظلال إطراءات ومجاملات فارغة، فكثر فيه الزبد الذى لا ينفع وغطته الركاكة التى تسىء ، وصار بذلك سبة على صاحبه، يشهد بضعفه وخوائه، ولماذا الغرور والثقة المفرطة بالنفس ما دام الشاب مبتدئا لم يستقم أسلوبه، ولم تقو معانيه، ولم تزد موهبته عن مجرد التقليد للآخرين؟

(*) جريدة عكاظ ١٥/ ٤/ ١٩٨٦م ـ ٦من شعبان ١٤٠٦هـ .

وقد كتب أحمد شوقى بعض أشعاره ولم يطلع الناس عليها، وألف توفيق الحكيم عددا كبيرا من المسرحيات ولم ينشرها، مع أن بعض الفرق المسرحية قد نهضت بتمثيلها، وأذكر منها للقارئ: المرأة الجديدة، الضيف الثقيل، العريس، خاتم سليمان، وكلها غير مطبوع ، واسألوا أبا ريشة وغيره عما كانوا يفعلون فى مطلع حياتهم ٠

وربما يتعجب القارئ عندما يعلم أن شاعرا كبيرا كعزيز أباظة ــ تلميذ أحمد شوقى ومؤلف المسرحيات الشعرية المعروفة مثل غروب الأندلس وغيرها ــ كان يدفع بإنتاجه من الشعر لزملائه وأصدقائه حتى يطلعوا عليه ويحددوا ما فيه من قوة وضعف ، وقد قدم الشاعر المذكور ديوانه الشعرى (أنات حائرة) ــ وهو فى رثاء زوجته ــ إلى شاعر آخر وهو أحمد عبدالمجيد الغزالى لقراءته وإبداء الرأى فيه، ثم مات الغزالى ولحق به بعد فترة عزيز أباظة، وراجعت تراث الغزالى لجمعه وتحقيقه فوجدت به ديوان (أنات حائرة) مصوبا ومنقودا بقلم الغزالى فقد تعرفت على طريقته فى الكتابة والتشذيب، ويخيل إلى أنه كان بصدد رفعه إلى صاحبه، ولكن المنية لم تمهله فمات الرجل وفى مكتبته وبين تراثه ديوان (أنات حائرة) وعليه من التصويبات ما يشهد بنبوغ الغزالى وبتواضع الأباظى ٠

ولابد للشباب المبدع من التريث ــ من غير كسل ــ ومن الإجادة وكثرة القراءة وقد قيل: "اقرأ تقل إن الكلام من الكلام" ٠

وأعود إلى ما بدأت به ففى أثناء الجلسة التى كنا فيها بالنادى الأدبى أقبل على المجتمعين واحد (آخر) من الشباب الذى بدأ يكتب القصة منذ عدة سنوات، وكان الجمع كبيرا وحافلا ، والمناقشة موضوعية ومنظمة، فاستمع الأخ القادم إلى حديثنا الذى دار حول قضايا القصة الحديثة مثل الغموض والرمز والبناء والشخوص والأسلوب والعقدة والحل وغيرها من الجزئيات التى يكتمل منها ومن غيرها بناء القصة ونقدها، وأعطيت الكلمة لهذا الشاب فبدا قلقا متضجرا وكأنما ضاع فى الترب خاتمه وقال: إنه لم يستمع إلى شىء ذى قيمة فى هذه الليلة، ونظرت فى حسرة إلى بعض الوجوه فلم أر عليها أى مظهر للامتعاض والضيق ، وللحقيقة وحدها أقول: لقد أردف الشاب معتذرا عن مقولته المندفعة ملطفا لها مهدئا من لهيبها، وكأنه أحس بالسرعة التى اندفع معها إلى تسفيه آراء الآخرين، ثم انتظرت الغالبية أن يبين الأسباب التى جعلته يهون من قيمة ما قيل ولكنه لم يفعل ويا ليته فعل! ورضينا باعتذاره وتصافحنا، وخرجنا من النادى أحبابا، وإن كان الموقف بكل أبعاده قد نقل لى صورة لاثنين من أدبائنا الشباب.

جائزة الملك فيصل العالمية(*)

لقد تابعت جائزة الملك فيصل رحمه الله، منذ إنشائها، وكنت أسعد بكل أديب أو مفكر أو عالم يفوز بها خاصة إذا كان عربى الوجه واليد واللسان، ثم تابعت أخبارها أيضا فى هذا العام (١٤٠٦هـ) منذ الإعلان عنها وإلى أن انتهت بتوزيع الجائزة على المستحقين لها فى الأفرع الخمسة التى تمنح فيها. وسوف تكتسب هذه الجائزة مع الأيام بعدا عالميا وصدى واسعا، بعد أن تجاوزت الوطن العربى إلى غير الناطقين بالضاد فى شتى أركان المعمورة، وربما جاء اليوم الذى يتذكر الناس فيه هذه الجائزة بمقدار أكبر من تذكرهم لجائزة نوبل العالمية، فكثيرا ما وجهت الانتقادات المريرة إلى هذه الجائزة السويدية بسبب الأبعاد السياسية التى تتدخل فى اختيار الفائزين بها، وقد تحاشت المملكة ولله الحمد هذا المنحى وجردت الجائزة من العيوب التى وقع فيها القائمون على أمر نوبل.

ولقد نهضت جائزة الملك فيصل نهضة كبيرة، واتسعت شهرتها من الشرق إلى الغرب، كما أحسن القائمون عليها فاختاروا للحكم فيها محكمين فى قمة النزاهة وحسن السمعة، ومعظمهم – فى مدى علمى – من خارج المملكة، وقد تركوا يقررون من يظفر بها بإراداتهم الحرة ، وفى تكتم شديد، ففاز بها مثلا فى هذا العام عراقيان بينما لم تمنح لسعودى أو لعرب آخرين كما فاز بها إيطالى وبريطانى وفرنسى وغيرهم .

(*) عكاظ فى الخامس من ابريل سنة ١٩٨٦م – السادس والعشرين من رجب سنة ١٤٠٦ هـ.

ولقد شاهدت الحفل الأخير الذى وزعت فيه الجوائز، واستمعت إلى كلمات العلماء التى ألقوها بعد تسلمهم للجائزة، وأحب أن أسجل إعجابى بواحد منهم مع أنهم جميعا محل إعجاب منى ومن غيرى، أما الذى أعجبنى حقا وزاد من إعجابى به بعد استماعى لكلمته فهو المفكر والباحث الفرنسى روجيه جارودى الذى أسلم منذ عدة سنوات وسمى نفسه "رجاء جارودى" والذى اجتهد بعد إسلامه فى كشف الألاعيب الصهيونية وبيان مخططاتها، ولا زال الرجل على منهجه الذى اختطه لنفسه فى خدمة الإسلام، ذلك المنهج الذى تعرفت عليه من جارودى نفسه عندما استمعت إليه وشاهدته لأول مرة وهو يقدم محاضرة له عن الإسلام فى قاعة الشيخ محمد عبده بجامعة الأزهر عند الاحتفال بمرور ألف عام على إنشاء هذه الجامعة العريقة، ثم نشر جارودى بعض كتبه، وثارت بعض الدوائر السياسية فى فرنسا عليه، ووصلت الاختلافات إلى ساحات المحاكم فيما يختص بمؤلفاته عن إسرائيل والصهيونية العالمية، ولا زال الرجل يردد ما قاله من عدة سنوات من حيث الحديث عن الإسلام، والتأكيد على أن المستقبل له، إذ أن الناس فى أفريقيا وآسيا وغيرها من بقاع العالم يدخلون فى هذا الدين بتتابع واستمرار ، وقد أوصى أكثر من مرة ببذل الجهد حتى ينتشر الإسلام فى أماكن جديدة لم يصل إليها من قبل.

وفى حديث جارودى بالتلفزيون السعودى عقب ظفره بالجائزة، قال إنه سوف يتبرع بنصيبه فى الجائزة لمسجد قرطبة وجامعتها ، وهو يرى أن انطلاق الإسلام إلى أوروبا لابد أن يكون من أسبانيا،

وقد عاد بذاكرتنا إلى الماضي التليد، والتاريخ الحافل بالمجد والازدهار يوم كانت راية الإسلام خفاقة على بلاد الأندلس الرحيب.

إن الأثر الكبير لهذه الجائزة لا يمكن أن تعبر عنه كلمة مختصرة مثل هذه ، ولكنها على كل حال كلمة حق وواجب أحببت أن أقولها وأنشرها بين الناس.

من الذاكرة(*)

منذ ما يقرب من ست سنوات كنت طالبا فى مرحلة الدكتوراه،وقد زرت أيامها العلامة والأديب محمود محمد شاكر فى منزله بالقاهرة، إذ كنت مشغولا فى ذلك الوقت ببحث المراجع وتحرى الأخبار حول الأديب والمؤرخ ياقوت الحموى صاحب معجم الأدباء ومعجم البلدان .. وأذكر أن أستاذنا شاكرا كان كريما كعادته، فلم يبخل على تلميذه الصغير (أنا) بمرجع أو مقالة من العراق أو الكويت أو سوريا أو السعودية إلا ذكره، وتحدث عنه، وقدمه لى برضا وطيب نفس .. وأذكر فى إحدى المرات التى زرته فيها أنه قام من فوره – بعد أن صليت المغرب معه – فوضع يده على مقالة طويلة مكتوبة عن الاستشراق والمستشرقين، ومنها قسم كبير عن شخصية "دافيد صمويل مرجليوث" ناشر كتاب إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب والمشهور بمعجم الأدباء، وقرأها الأستاذ محمود شاكر باللغة الإنجليزية، وناقش الباحث (الضيف) فيها .. وأبان رأيه حول الاستشراق كموضوع من أكثر الموضوعات التى طال الكلام عنها، وكثر الاختلاف حولها .. فقلت يومها .. إن المستشرقين على اختلاف أجناسهم قد قاموا بأعمال جليلة عندما نشروا وأخرجوا أعدادا كبيرة من كتب العرب وتراثهم، وجعلوها تخرج إلى النور بعد إغفال دام مئات السنين .. فقال العلامة شاكر متعه الله بالصحة والعافية .. إنهم ما فعلوا ذلك إلا بقصد الغزو الثقافى حتى يشعرونا دوما أنهم أكبر منا وإننا بالضآلة التى تجعلنا عاجزين تماما عن النهوض بمثل ما قاموا به فضلا عن إغفالهم للحقيقة، وطمسهم لها فى معظم ما قاموا به من

(*) جريدة الجزيرة السعودية فى يوم الاثنين ١٩/ ٨/ ١٤٠٦هـ ٢٨/ ٤/ ١٩٨٦م .

أعمال، ثم إنهم وجدوا فى هذا التراث ما لم يجدوه فى تراث أممهم، وأشهد أن الرجل كان (ولا يزال) محبا للغة قومه، عاشقا لها، مؤمنا بدينه، متعصبا لعروبته، مقتنعا بآرائه، مدافعا عن مبادئه، وقد ترك الدراسة فى جامعة القاهرة عندما اختلف مع الدكتور طه حسين ، واعتزل الحياة، وانصرف عنها، ولم يستيقظ منها إلا فى السنوات الأخيرة عندما استحق عن جدارة جائزة الملك فيصل العالمية عن كتابه الضخم (المتنبى) بعد أن أخرجه للناس منشورا فى سفرين منذ سنوات، وكان الكتاب فى أصله مجموعة من المقالات المنشورة بمجلة المقتطف فى الثلاثينات (الميلادية) كدراسات متواصلة عن المتنبى عند مرور ألف عام على وفاته •

وأعود إلى أحد هذه اللقاءات عندما أوصانى الرجل بالاتصال بالعلامة الكبير حمد الجاسر، وتحدث عنه حديثا طويلا،وأشاد بجهوده فى تحقيق التراث وتمحيص تاريخ الأمة العربية،وإسهامه فى المحافظة على لغة دينها، وتعقبه لآثار العرب من جبال ووهاد وغيرها، وكنت بعيدا عن موطن الشيخ حمد فلم أتمكن من الاتصال به والجلوس معه والاستفادة من علمه فىذلك الوقت،وقد قرأت ما قاله فى مجلة العرب التى يخرجها ويشرف عليها،فقد أشاد بها،وأكد على استمرار صدورها وعدم توقفها.ولعل الله يحقق ما كنت أراه من قبل صعبا عسيرا فألتقى بالشيخ، وأقترب منه، وأستفيد ببعض علمه،وإن كانت مواجهته تحتاج إلى جرأة وشجاعة فله مهابة ربما أخشاها وارتاع منها..نفعنا الله بأدبه وفضله•

حقوق الملكية الفكرية بين الماضى والحاضر

يتجدد الحديث بين آن وآخر عن الملكية الفكرية وحقوقها التى تضيق وتتسع حسب المجالات التى تمتد إليها أو تقصر عنها، ويتخوف الكثيرون من الخطر القادم مما يسمى باتفاقية (الجات) فى ظل (العولمة) والسموات المفتوحة التى يوشك العالم أن يتحول معها إلى (قرية صغيرة) يعرف كل واحد فيها الآخر معرفة شبه تامة.

والمؤلف: هو من يبدع شيئا جديدا، يحقق به نفعا للإنسانية من خلال نشاط فكرى أو خيالى اكتسبه بجهده وتميزه، فصار ما توصل إليه وحققه ملكا خالصا له ولورثته من بعده.

وقد ميز الله تعالى الإنسان بالعقل؛ لأنه وسيلة التفكير الراقى، واختار الله القرآن الكريم معجزة للرسول ﷺ؛ لأن البشرية قد بلغت فى تحضرها ورقيها مستوى متقدما لم تصل إليه فى عصور سابقة، وبدأت هذه الدعوة الفريدة بالأمر المباشر بالقراءة؛ لأنها وسيلة من وسائل العلم، وأداة من أدوات التفكير والفهم، وميزة ينبغى تقديرها بأية صورة من الصور التى أقرها الإسلام.

واتسعت مجالات البحث عند العرب بدراساتهم عن القرآن الكريم والحديث الشريف، وتدوينهم للتراث، وتأثرهم بالأمم الأخرى، وكانوا يرصدون ما يأخذه الشاعر عن الآخر احتذاء أو سرقة فى المعانى أو الألفاظ، ولذلك كان أكثر المؤلفين والكتاب يحرصون فى مقدمات مؤلفاتهم على إثبات مصادرهم فى مقدمات الكتب التى ينهضون

بإعدادها، وصار ذلك معروفا وشائعا بينهم ؛ لأن الواحد منهم كان يخشى أن تلتصق به صفة تقلل من شأنه فى أوساط الكتاب والمؤلفين .

وقد كتب عبدالحميد بن يحيى (وهو من أدباء العصر الأموى) رسالة شهيرة إلى الكتاب صارت بمثابة ميثاق ودستور لكل مثقف وأديب حتى الآن .

ويعتبر الدين الإسلامى حمل القلم أمانة وأن ما يخطه ويثمره من ثقافة وفكر يجب الحفاظ عليه؛ لأنه ملك خالص لصاحبه، وأن سرقته والسطو عليه بأية صورة من الصور لا يختلف عن سرقة الأموال والعقارات .

وشهد الكثيرون منا ما دار من نقاش عن حدود الملكية الفكرية وقانونها المنظم لها، واتساع مجالاتها التى لم تعد قاصرة على قصيدة أو قصة أو مسرحية بل تجاوزت ذلك، فشملت سائر النشاطات الذهنية مثل الإبداع الأدبى والمؤلفات النقدية والبلاغية والاجتماعية والتاريخية والقانونية وغيرها، ومن هنا تأتى أهمية وضع الضوابط والتشريعات الخاصة التى تحفظ الحق لصاحبه وتردع من تخول له نفسه أن يسلب ممتلكات الآخرين، ثم تأتى بعد ذلك الاتفاقيات مع الدول الأخرى التى تحفظ لكل طرف حقه وحمايته بدون أن يتأثر المؤلف أو المبدع ــ وحتى القارئ ــ فى أرض الوطن بتصدير الكتاب أو استيراده .

والقضية شائكة وتحتاج لمزيد من النقاش إذ لا تقتصر على تزييف كتاب مصرى خارج الحدود، وإنما تمتد إلى جوانب أخرى من

المؤلفات الخارجية التى تنال من هوية الأمة بالنقد والتجـريح، ولهـذا فالقضية ذات شقين الأول يتعلق بصناعة الكتاب وتصديره أو استيراده فى ظلال العولمة والاتفاقيات الدولية مثل (الجات) و(الوايبـو) وهـى الخاصة بحقوق الملكية الفكرية.

أما الشق الثانى فيتعلق بالملكية الفكرية وما ينال منها داخل الوطن مثل السرقات الأدبية والعلمية، وهذه ما يعنينى الكلام عنها إذ صـارت السرقة فى مجال البحث العلمى ذائعة مشهورة، فلا يكاد يمر شـهر أو شهران دون أن نسمع عن باحث سطا على كتاب حديث أو قديم، ونال به مؤهلا علميا أو درجة وظيفية، وربما يسـكت المثقفـون عنـه، أو يتحدثون حديثا خافتا غير مؤثر ، فلابد أن تكون الوقفة جادة ورادعة.

ونأتى إلى أمر آخر يتحدث الناس فيه عن ارتفاع سعر الكتـاب الجامعى ــ ومعهم حق ــ حيث يغالى الكثيرون فـى سـعره مغـالاة باهظة لا تتوقف عند حد ، لكن لم يتحدث أحد عن سرقة هذا الكتـاب بالسطو عليه أو بتصويره فى مكاتب خاصة وتوزيعه عـن طريقهـا بسعر أقل محققة الكثير من المكاسب التى لا يدرى المؤلف عنها شيئا، وأمر آخر يتعلق بكتب التراث والمؤلفات التى سقط عنها حق المؤلف، فأين حق الدولة منها؟

إذن ينبغى بحث حقوق الملكية الفكرية بحثا شاملا والوصول بـه إلى قانون محدد يعالج قضايا الداخل والخارج، ونشره وإذاعته وتطبيقه بكل دقة وحسم.

التخطيط الجغرافى ودوره فى مواجهة الكثافة السكانية(*)

أهمية الجغرافية فى الدراسات الإنسانية:

لقد اهتم العرب بالحديث عن الجغرافية وتخطيط المدن وتقويم البلدان، وكثرت المؤلفات لديهم فى هذا الشأن مثل كتب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادى و(تاريخ دمشق) لابن عساكر، و(معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) لأبىعبيد البكرى، و(معجم البلدان) لياقوت الحموى، وهو معجم فريد من نوعه لم يصل إلى مستواه كتاب يشرح بلدان العالم الإسلامى فى القرن السادس الهجرى بهذه السعة ، والكتاب جيد الإعداد ، دقيق التنظيم ، أراده صاحبه معجما عاما، ليجعل منه خزانة للأدب والجغرافية والتاريخ واللغة والأنساب ... وهو أثر نفيس ومؤلف نادر، وموسوعة ضخمة لم يؤلفه صاحبه إلا بعد أن قام برحلات كثيرة فى البلاد والأصقاع، أتاحت له أن يشاهد ويعاين المواضع التى يكتب عنها، ولم يكن يكتفى بالمشاهدة أحيانا، بل كان يسأل أهل البلاد عما شاهده أو استمع إليه"(١).

وكانت الرحلة محببة لدى العرب، وانعكس هذا الحب على كتاباتهم فأغرموا بها ، وصدرت عنها عدة مؤلفات مشهورة مثل كتاب (رحلة ابن جبير) و(رحلة ابن بطوطة)، وظهر ما يسمى بأدب الرحلة الذى تطور تطورا كبيرا فى العصر الحديث ، واهتم المستشرقون

(*) عرضت الدراسة فى برنامج : (عالم الإنسانيات) بإذاعة البرنامج الثقافى يوم ٢١/ ٣/ ١٩٩٥م.

(١) انظر كتاب (ياقوت الحموى أديبا وناقدا) للمؤلف ص٨٢

بآثار العرب فى ذلك فألف (بلاشـير) كتابـه (منتخبـات مـن آثـار الجغرافيين فى القرون الوسطى)، وألف (كراتشكوفسكى) كتابا شـهيرا هو (تاريخ الأدب الجغرافى العربى)•

كما واصل المستشرقون كتاباتهم واهتماماتهم بمدن الشرق فـألف مثلا ستانلى لينبول كتابه المشهور (سيرة القاهرة) والـذى نقلـه إلـى العربية ثلاثة من أشهر المترجمين فى مصر (د/ حسن إبراهيم حسن، د/على إبراهيم حسن، إدوار حليم) وجاء فى الصفحة الأولى من هـذا الكتاب ما يأتى:

"من لم ير القاهرة لم ير الدنيا، فأرضها تبـر، ونيلهـا سـحر، ونساؤها حوارى الجنة فى بريق عيـونهن ...... ودورهـا قصـور، ونسيمها عليل كعطر الندى ينعش القلب، وكيف لا تكون القاهرة كذلك وهى أم الدنيا"•

وإذا كان العرب قديما وحديثا قد اهتموا بالحـديث عـن المـدن والعمران وأدب الرحلات فإن الدراسة الأوربية للجغرافية الحديثة قـد تقدمت بعض الخطوات نحو التطوير لهذا العلم بفضل اثنين من الألمان هما (الكندرفون همبولت ت: ١٨٥٩م) و(كارل ريتر) ت:١٨٥٩م)[١] على أن الدراسة لهذا العلم حق شائع بين الأمم والشعوب على اختلاف لغاتها ومواقعها، إلا أن المؤكد فى هذا الصدد هو أن الجغرافيـة بعـد هذين العالمين الكبيرين قد تعرضت للانتكاس بسـبب الفصـل بـين

---

(١) انظر كتاب (اتجاهات الفكر الجغرافى الحديث المعاصر) ص:١١ إصـدار قسم الجغرافية ــ بجامعة الكويت •

الظاهرات الطبيعية والظاهرات البشرية، مع التركيز على الأولى على حساب الثانية، وزاد الانقسام بين هذين اللونين من الدراسة وهما (الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية).

"وبمرور الأيام زاد الانقسام واتسعت شقة الخلاف حتى كاد أن يصبح لكل قسم مناهجه وأساليبه وأهدافه مما هدد وحدة العلم وضياع شخصيته المستقلة ... ومن الغريب أن ينادى بعض الجغرافيين إلى ضم الجغرافيا لمجموعة علوم الأرض، وبخاصة الجيولوجيا .. في حين يطلب الفريق الآخر بضم الجغرافية إلى مجموعة العلوم الاجتماعية، وإننا نجد في الوقت الحاضر تقسيم الفروع الجغرافية في كثير من الجامعات الأجنبية بحيث يتبع بعضها كلية العلوم ... والبعض الآخر إلى كلية الآداب .. وهناك فروع أخرى تتبع العلوم الاجتماعية .. إن سبب هذا كله ناجم ولا شك عن عملية فصل العوامل والظواهر الطبيعية عن المظاهر البشرية"(١).

فكيف يتم الفصل بين البيئة والإنسان أو بين النبات الطبيعي والتربة أو بين النقل والممرات المائية، ولم يعد هذا التوجه من الفكر الجغرافي مقبولا أو متصورا ، "إن الجغرافيين الذين يركزون في دراستهم وأبحاثهم على المظاهر الطبيعية، ويهملون الإنسان وآثاره، شأنهم في ذلك شأن من يصف شيئا لا وجود له في الحقيقة والواقع، وإنما يعود إلى الماضي البعيد قبل أن تظهر مؤثرات الإنسان على سطح هذا الكوكب"(٢).

(١) السابق ص: ٢٨ .
(٢) السابق ص: ٢٩ .

إذن فلا يمكن دراسة الطبيعة أو البيئة بمعزل عن الإنسان، الذى يؤثر فيها ويتأثر بها ويتجاوب معها ولا ينعزل عنها .

أهمية التخطيط الجغرافى:

يقصد بالتخطيط الجغرافى ـ هنا ـ ما يقوم به المتخصصون فى الهندسة والجغرافيا والعمران وأساتذة علوم الأراضى بإعداد المناطق الصالحة للإقامة ومواجهة الأزمة السكانية، أو التصدى لها بإعادة التخطيط وإعداد الموازنة لتغيير بعض البنيات الأساسية والتى لم تعد صالحة للضغط السكانى الرهيب .

وهو توجه حضارى مطلوب لمقاومة العدد المتزايد من البشر الذى يتحرك ويستثمر مساحات من الأرض يتضاءل فيها النمو الأفقى من عشرات السنين، وتزداد المشكلة، فى المدن الكبيرة التى تتركز فيها الأنشطة ، ويتكدس بها السكان، ويتجه التخطيط فى هذا الشأن نحو الشوارع والميادين بإصلاح الموجود، وتحسين صورته ، لعدم القدرة على إزالته وتغييره .

ولقد كانت الجغرافية من أول العلوم الاجتماعية التى دخلت ميدان التخطيط، لما لها من أهمية فى التعرف على متطلبات الإنسان وحركته مع الحياة. ويعد الأستاذ الدكتور/ جمال حمدان، من أبرز العلماء الذين قدموا شخصية مصر من خلال الدراسة الجادة لعبقرية المكان(١)، ولم يقف بهذا العلم عند حدود الخرائط الجافة أو النظريات الجامدة، بل تعدى ذلك إلى عالم فسيح يتلاقى حوله الإنسان والمكان .

---

(١) تراجع بعض الفصول من كتاب(شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان) .

فالتخطيط : "عملية تناسقية تترابط مراحلها من خلال تسلسل منطقى، فالتخطيط لابد أن يتم فى الإطار الشمولى الذى يصيغ العلاقات فى هيكل مترابط، يشكل وحدة يطلق عليها "النظام"، ولهذا فقد أضاف مفهوم النظام لعملية التخطيط بعدا جديدا، بحيث أصبح يشكل قاعدة ومنطلق العمليات التخطيطية الحديثة"(١).

ولقد استوعب عدد كبير من الجغرافيين المفاهيم العصرية السريعة، واكتسبوا خبرات ومهارات ساعدتهم على تشخيص المشكلات التى يعانى منها الإنسان، ووضع الحلول المناسبة لها، ذلك لأن هذا العلم يرتبط بحياة الناس ويتجاوب مع الواقع، ويشهد المتغيرات اليومية، ويضع التصور العلمى للتعامل معها، فالجغرافية تسهم بدور فعال فى التخطيط العمرانى بدرجات محددة، وإن كانا أى الجغرافية والتخطيط "يعانيان من بطء التقدم فى مجال بناء النظريات الجغرافية والتخطيطية، وإن أكثر ما تم تحقيقه فى هذين الموضوعين كان فى مجال البحث الميدانى، وصياغة الفرضيات العلمية وبناء النماذج واختباراتها كما يشترك الموضوعان فى ضعف قدرتيهما على تحدى واختبار أدوات البحث والتحليل الضرورية فى الواقع التطبيقى"(٢).

ولا يقتصر التخطيط الجغرافى على ميدان واحد أو على نوع محدد من المخططات وإنما يتنوع ويتشعب ويتداخل مثل التخطيط

---

(١) التخطيط والتنمية فى المنظور الجغرافى، د/ عبدالإله أبوعياش ص: ١٩ .
(٢) السابق ص: ٣٠ .

الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والسياسى والتخطيط المكانى والحضرى والإقليمى وغيرها •

ونتساءل عما يمكن أن تقدمه الجغرافية فى المجال التخطيطى•

والإجابة تتركز "فى عمليات مسح وتحليل ورسم توقعات لطبيعة ونوعية استخدامات الأرض، والأنشطة المرتبطة بها، فتخطيط استخدامات الأرض هو أهم مكونات العمليات التخطيطية الحديثة خاصة فى مجالات التخطيط الحضرى والإقليمى"[١].

الكثافة السكانية:

لقد زاد السكان فى مصر زيادة كبيرة،لأن هذا البلد بلد زراعى ، ويحتاج أهلها لزيادة النسل للنهوض بهذه الحرفة، فالرجل – إلى وقت قريب – كان ينجب الخمسة أو السبعة أو العشرة وربما أنجب أكثر من ذلك، وزاد عدد الأفراد، ولم تزد المساحة الجاهزة للاستغلال بنفس النسبة التى زاد بها عدد السكان، ثم إن الشعور بالزيادة والضجر منها يرجع – فى المقام الأول – إلى الناحية الاقتصادية، فكيف لرجل محدود الدخل أن يعد منزلا يتسع لعدد كبير من الأبناء والبنات؟ ، وتحدث مشكلات كثيرة فى الإسكان بسبب الزيادة الكبيرة فى السكان. وتخضع زيادة النسل لاعتبارات كثيرة عند الحكم عليها ولسنا فى وضع يسمح لنا بالدعوة إلى الإكثار من النسل كما تفعل بعض الدول، فترى دولا تشجع على زيادة النسل، وأخرى تدعو للحد منه، فالمسألة

---

(١) السابق ص: ٣٥ •

تخضع ـ فى المقام الأول ـ إلى ظروف خارجة عن إرادة الفرد أو المواطن، وتوجهها الأمم والحكومات لسياسات خاصة بها ومواكبة مع خططها فى التنمية البشرية والاقتصادية.

والدولة تشجع على زيادة النسل ـ بلا قصد ـ أحيانا عندما تنهض ببعض ما يجب على المواطن الذى وجد نفسه ينجب الأبناء وتتولى الدولة تعليمهم وعلاجهم وبناء المساكن لهم، وتوظيفهم، والقضاء على مشاكلهم، ولعل هذا بعض ما يجب عليها تجاه رعاياها.

ومما أسهم فى زيادة الكثافة السكانية تقلص الهجرة إلى الخارج نظرا لتقلص آليات السوق العربى والأجنبى للعمالة المدربة.

ويضاف إلى ذلك أيضا انتشار الأمية والبعد عن التعليم، وعدم الوعى الكامل لمتطلبات الحياة، وفهم الناس لبعض الجوانب من الدين على أنها زيادة فى النسل، دون الأخذ بالآراء الأخرى التى اجتهد العلماء فيها ، وكشفوها للناس واضحة جلية فالكثافة البشرية ترتبط بالسكن والإقامة فقيل لها الكثافة السكانية.

توجيه التخطيط الجغرافى لمواجهة الكثافة السكانية:

لابد أن يوظف التخطيط الجغرافى فى الحيز العمرانى لمواجهة الكثافة السكانية وذلك على عدة محاور أو اتجاهات، لأن السكوت على هذا الوضع، وترك الحبل على الغارب فيما يختص بتوجهات المواطنين يدفعهم إلى ما يسمى بالمناطق العشوائية التى لا تخضع لتنظيم أو تخطيط، تلك المناطق التى زادت زيادة ملحوظة فى السنوات

الأخيرة فى معظم المدن الكبرى، ولن نشير بأصابع الاتهام إلى المواطن المحدود الدخل الذى تعجز موارده عن إيجاد مساكن ذات أسعار كبيرة له ولأبنائه، فالمسافة بعيدة جدا بين المساكن التى تخضع للتنظيم وتشرف عليها الدولة، والمساكن العشوائية التى تخضع لرغبات الأفراد وتساير قدراتهم المالية المحدودة.

وحل هذه المشكلة يتمثل فى قيام الدولة بالإشراف والمتابعة لهذه المناطق وإدخال الخدمات إليها - وإضافة لمسة جمالية لها، وإيقافها عند وضع معين، وإيجاد البدائل المقبولة التى تشجع الناس على الإقامة فيها، فالصحراء تحيط بالقاهرة من عدة جوانب وكذلك بعض المحافظات الأخرى، والرأى أن تستمر الدولة فى إحداث المخططات الصالحة لكى يحيا الناس فيها، فمصر الجديدة كانت منطقة شبه نائية فى يوم من الأيام وكذلك مدينة نصر، والآن مدينة السلام ، وقد عمرت جميعها، ولا زالت الكثافة السكانية فى حاجة للتخفيف منها بالتوسع الأفقى والتوسع الرأسى ، ويمكن للدولة أن تشرك المواطنين فى عملية البناء ومواجهة الكثافة السكانية بإيجاد الأماكن المحددة للبناء، وتصل بجميع الموافق ، وتشجع الدولة عليها، وتعرضها للبيع بأسعار معقولة، ولدينا التجربة فى المدن الجديدة المعمرة مثل العاشر من رمضان والسادس من أكتوبر و١٥ مايو والعبور، وغيرها. ومنطقة (السناجرة) فى الشرقية مثلا، وليكن ذلك تحديدا حقيقيا للعشوائيات التى لا تخضع لتخطيط أو تنظيم أو إشراف .

فلابد أن يكون التخطيط لهذه الكثافة موجها نحو إقامة مدن جديدة واستحداث قرى نموذجية لا تهدم فيها المساكن القديمة دفعة واحدة، وإنما يتم التخطيط للمساكن المنشأة على أساس سليم.

والتوجه المهم: والممكن فى مواجهة الكثافة السكانية وفى ضوء المتاح والموجود من المدن القديمة التى بقيت على حالها من حيث الشوارع والميادين والمداخل والخدمات وزاد فيها السكان زيادة كبيرة. وهنا لابد من النظر لهذه المدن وإعادة التخطيط العمرانى لها وإضفاء اللمسات الجمالية عليها، وإعداد الميزانيات المطلوبة لمسايرة حركة الحياة بها وتغيير البنيات الأساسية التى فقدت كثيرا من فعاليتها نظرا للضغط السكانى الرهيب الذى شمل كثيرا من المرافق والخدمات، فيعاد النظر فى الميادين العامة ومواقف السيارات وتوسيع الشوارع وردم المصارف، وإصلاح القنوات المائية مثل الترع والأنهار الصغيرة التى تمر من وسط بعض المدن، ثم تستكمل المخططات برصف الشوارع، وإنشاء المدن الحرفية وتوسيع المداخل وصيانة وحماية شبكات المياه والكهرباء والصرف الصحى، وإنشاء وتخطيط بعض الأحياء والمناطق السكنية خارج المدن لتكون مناطق جذب سكانية، وتخفيفا للضغط على المدن المزدحمة بالسكان.

وينبغى الاستمرار فى الاهتمام بالريف ، وإخضاع القرية لإشراف الدولة، وتعميم الخدمات بها مثل السنترالات التليفونية والمدارس والكهرباء، والمياه والصرف الصحى وغيرها حتى تسهم فى تخفيف الضغط على المدن.

فزيادة السكان لدينا مشكلة نتج عنها مشكلة أخرى وهى الإسكان والتى زادت حدتها فى السنوات الأخيرة، وتتابعت القــوانين الخاصــة بالمبانى والعقارات.

وتشهد الحياة السياسية سعيا نحو إيجاد قانون جديد للعلاقة بــين المالك والمستأجر فى المساكن.

ونؤكد ــ أخيرا ــ على ضرورة التصدى لهذه المشكلة بالتخطيط الشامل لها ولكن ليس على حساب النواحى الجمالية المطلوبة فى كــل تخطيط جديد، مع ضرورة العمل على إيقاف الهجــرة مــن الريــف، وحماية الأراضى الزراعية والاتجاه إلى غزو الصــحراء بالإســكان والزراعة والصناعة وبالتخطيط الجغرافى والعمرانى لمواجهــة هــذه المشكلة التى تتفاقم سنة بعد أخرى.

متفرقات

١ ـ ثقافتنا الإسلامية إلى أين.

٢ ـ الأدب الهزلى.

٣ ـ المثقف العربى بين الإقدام والإحجام.

٤ ـ نقد النقد .

٥ ـ الأندية الأدبية.

٦ ـ انعكاس القضايا المعاصرة فى الآداب.

٧ ـ الأسرة المسلمة فى ميزان الشريعة الإسلامية.

ثقافتنا الإسلامية إلى أين؟

الثقافة : هى الأخذ من كل فن بطرف، بمعنى أنها تشمل العلوم والمعارف والفنون التى يطلب الحذق والإتقان فيها، وهى ترتبط ــ بصورة كبيرة ــ بالعلوم الإنسانية كعلوم الدين واللغة والآداب ــ أى العلوم غير العملية، وغير الطبيعية.

ويتوسع البعض فى بيانها، فيرى أنها الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما فى الفكر الإنسانى .

وتخضع الثقافة الإسلامية للتراث بما فيه من قيم أصيلة، ومعان سامية وبما فى الفكر الحديث من قضايا وآراء تعالج المنازع الإنسانية، وتبحث هموم المسلمين فى شتى بقاع الأرض. فالثقافة الإسلامية تربط بين الماضى والحاضر، فتأخذ من الأصالة جذورها وثبوت أقدامها، ورسوخ مبادئها، وتضيف إلى المعاصرة كل نافع مثمر أو تتأثر بها وتستفيد منها، ذلك أن الإسلام قد أزال كل تناقض عند العرب، ووضع الحلول لمشكلاتهم مع العقيدة والمال والتجارة، ودعا إلى العلم والتدبر، وإعمال الفكر ، وتنشيط العقل وكد الذهن وتهذيب الوجدان ، ثم ظهرت ــ فى مرحلة تالية ــ العلوم المتصلة بالدين الإسلامى ولغته السامية، فنشأ النحو، وتفسير القرآن الكريم ، والحديث والسيرة النبوية وسائر علوم القرآن، ونضج الفكر من خلال ما كان يدار من مناقشات يتصل بعضها بأهل السنة، وبعضها الآخر بالمعتزلة، ومن أشهر المثقفين القدماء فى تلك المرحلة المبكرة من حياة المسلمين: عبدالله بن المقفع

ذلك الرجل الذى جمع بين عدة ثقافات متنوعة، فتعلم اللغة الفارسية بما فيها من مؤثرات هندية ويونانية وغيرها، وتعلم اللغة العربية، وعرف أسرارها ، وتمازجت ثقافات هذه الأمم فى عقله وتفكيره الناضج.

وأما الجاحظ فهو الأديب المثقف الذى فهم اللغة العربية، وكتب عنها ، واستنفر لها موهبته الفذة، فتمخضت عن نتاج ضخم فى فروع الأدب والمعرفة، وقد كان من المعتزلة الذين عرفوا بطريقتهم فى الاستدلال والقياس وإثبات الحجة وتحكيم العقل والمنطق.

وتمتد الثقافة الإسلامية عبر تاريخها الطويل إلى الحاضر سعيا إلى تطويره والارتقاء به من خلال الارتباط بالتراث والحرص عليه والتعلق به مع الاستفادة من تجارب الشعوب المختلفة وفى حدود ما يتوافق مع ثقافتنا وقيمنا وواقعنا وقد فعلت مصر ذلك من أوائل القرن التاسع عشر من خلال بعثاتها إلى الخارج فى عهد (محمد على) وما بعده.

وتشهد الحياة الراهنة انقساما بين كثير من العلماء والأدباء الإسلاميين إذ يرى بعضهم أن الحضارة العربية لابد أن تنطلق من توجهنا نحو الغرب، وأخذنا عن تراث الإغريق، واتصالنا بكل ما هو جديد أو (أجنبى) حيث إن الثقافة العربية القديمة لا تسمن ولا تغنى من جوع فى عصر (التكنولوجيا) الحديثة.

ويتعلق بعض المثقفين بالماضى الزائل على اختلاف عصوره وبيئاته، ويقطع صلته بالواقع الماثل، ويرى أن أكثر المثقفين تابعون

للغرب، سائرون فى ركابه، وخاضعون لما يمكن أن يسمى بالغزو الفكرى، ولا شك فى أنهم متشددون فى مواقفهم، متعصبون لآرائهم، ويرجع بعضهم ـ فى ثقافته أو فى بعضها ـ إلى الأصول العربية القديمة فى التفسير والحديث والعقيدة والفقه، ومذاهب الكلام وغيرها.

أما الفريق الثالث الذى يفرض وجوده، ويتمسك بأصوله ومعتقداته، ويفتح عيونه وآذانه على الواقع المعاش، فيستفيد بتجارب الآخرين، ولماذا لا تكون الثقافة الإسلامية المعاصرة كذلك، وقد كانت فى ماضيها عربية غير خالصة إذ امتزجت بها ثقافات أخرى من اليونان والفرس والهند وغيرها.

وهكذا تبدو الثقافة العربية عند المسلمين متطورة دائما، وشاملة لكل الآداب والفنون والعلوم الإنسانية القديمة والحديثة على السواء.

ومما يؤسى له أن بعض المثقفين يدعون إلى قطع الصلة بالماضى، والعيش فى حدود العصر الحديث، والتوجه نحو الغرب فى الثقافة والمعارف والعلوم، أو أنهم لا يثقون فى قدرات اللغة العربية وإمكاناتها، ويسرفون فى تبعيتهم وولائهم لثقافات الأمم الأخرى، أو يبالغون فى الاهتمام باللغة العامية واللهجات المحلية، على أن الثقافة الإسلامية المعاصرة تواجه من قبل الخصوم والأعداء بحملات ظالمة، ودعوات ساقطة جائرة.

وثمت سبب آخر يتضح فى وقوع كثير من المثقفين فى شباك التعصب، فيلقون التهم على الآخرين، ويرمونهم بالكفر، وينصرفون

إلى الآراء المتشددة، ويبتعدون عن التيسير والتوسط والاعتدال، أو نرى ناسا منهم تنعدم الرؤية الصحيحة لديهم فيرون أن الثقافة الإسلامية تنحصر فى بيان عذاب القبر، ووصف الجنة، وحفظ الأوراد، وتقصير الثوب تاركين أمورا أخرى تستحق التقديم والاهتمام على هذه، ولكل ذلك ذهب كثير من المثقفين الإسلاميين ضحايا لآرائهم التى تمسكوا بها ودافعوا عنها، إما لأنهم قد تطرفوا فيها، وإما لأن الناس حكاما ومحكومين لم يتنبهوا لهم، وغفلوا عنهم، أو سخروا منهم، وجاروا عليهم ، ولله عاقبة الأمور.

لابد لنا ــ إذا كنا نسعى جادين نحو مستقبل أفضل لثقافتنا الإسلامية ــ من العمل على إصلاح التعليم بشتى أنواعه، خاصة ما اتصل منه باللغة العربية وأن نوجه التعليم الدينى توجيها صحيحا، مع العودة إلى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف.

وكيف ننادى بالحفاظ على اللغة العربية، ولا زالت بعض العلوم تدرس باللغات الأجنبية فى إشارة غير مباشرة إلى نوع من التبعية البغيضة التى فرضتها ظروف استعمارية ماضية، على أن ذلك لا يتناقض أبدا مع الدعوة إلى تعلم أبنائنا لغة أجنبية أو أكثر، لكن ليس على حساب اللغة العربية، والتي يجب العمل على حمايتها من اللهجات العامة والرطانة الأعجمية.

ولابد من إصلاح أحوال الدعوة الإسلامية وتطويرها ، وتوجيه الشباب إلى قراءة الكتب المفيدة فى الأدب والثقافة واللغة والحضارة

والتاريخ، وتنقية وسائل الإعلام مما يسئ إلى الإسلام أو يتناقض مع شريعته الغراء، والعمل على نقل العلوم العربية من فلسفة ومنطق وعلم نفس وتاريخ وغيرها إلى اللغات الأجنبية، وترجمة روائع الفكر الإنسانى، ــ والذى لا يتعارض مع الإسلام ــ إلى اللغة العربية .

وأفضل ما نطمح فيه هو أن نسعى إلى ثقافة معاصرة واحدة تعتمد على اللغة العربية لغة الإسلام والقرآن والتفسير والحديث والمنطق والنحو والتوحيد والأدب والبلاغة، ولا يغلق أربابها أنفسهم فى حدود التراث القديم، وإنما يأخذون من الحاضر ــ فى شتى بقاعه ــ ما يتوافق مع عقيدتهم، ويعبر عن واقعهم، ويستفيدون به فى حياتهم وسائر شؤونهم .

وصفوة القول:

إن كثيرا من شباب الباحثين والقراء يؤمنون بالثقافة الأجنبية إيمانا لا حدود له، ينسون معه الثقافة العربية القديمة فى عصورها الزاهرة، التى لا ينكرها علماء الغرب ومفكروه، ولذلك ينبغى الإدراك الواعى للهوية الثقافية التى تمثل عنصرا مهما فى الشخصية العربية والإسلامية.

وهكذا باتت علاقة الشرق بالغرب محلا للوفاق والشقاق، ومجالا رحبا للدراسة والفكر والتأمل.

الأدب الهَزْلى

نظرت إلى حاضرى فوجدت ذاتى ضـائعة، صـرت متـأخرا والناس يتقدمون وها هم أحبابى الصغار بدوا كبارا يشار إليهم بالبنان، أخذوا يكتبون فى الصحف والمجلات، وتنشر صورهم فيتباهون بهـا أمام الأصدقاء ويوزعونها على كل من ينأى عن الجرائـد ولا يطلـع عليها، ثم سئموا الشهرة وصار المحررون ومندوبو الصحف يتعقبونهم ويسعون إليهم ، وهم لا يتعاملون إلا مع عدد قليل من كتاب المجـلات ومحرريها، وأصارحكم القول: لقد غبطت هؤلاء، وتمنيـت أن أكـون معهم وأشاركهم فى كل نشاط، فلربما اقتربت من الأضواء، أو اكتسبت بعض الأموال، وحتى ينظر الناس إلى نظـرة مختلفـة عمـا سـبق. والمسألة لا تحتاج إلى عبقرية كبيرة أو عقلية جبارة أو محصول لغوى كبير، وقلت: لماذا لا أكتب القصة القصيرة؟؟

لكن إذا كتبت القصة فلربما ضاع جهدى سدى إذ أننـى سـأقدم بضاعة كاسدة أو ربما لا تلقى رواجا بين القراء، ثم تراجعت ونـدمت على الإحباط واليأس، وقررت أن أبدع وأقدم البضاعة التـى تـروج وتزهو، وتحتل مساحات كبيرة فى الصحف والمجلات، وسوف ألجـأ إلى الغموض حتى أرضى الاتجاه الجديد، وأكثف اللغة أو أفجرها، أو أشرحها كما يحبون، وإن كنت أتمنى أننى لم أكتب كلمة التشريح؛ لأنها من صنيع النقد وليست من نتاج المبدع، وسـوف تلـين لـى اللغـة وتطيعنى من غير تعنت ولا إشكالات أو إسقاطات أو إسفافات، وهـذه قصتى الأولى أنشرها على القراء وأدعـو النقـاد لقراءتهـا نقـديا، ومناقشتها منهجيا، وأرجوهم أن يترفقوا بى فمازلت فى أول الطريق .

انتحار الشمس فى وهج الظلام

أقبل الليل يا حبيبى فحان اللقاء، نظرت إلـى الشـمس، أكلـت العفريت، راقصت الجن، خضت فى الأوهام، تطـايرت، انصـعقت، ذهبت فى داهية، استيقظت ، رأيت الشمس، نظرت إليها واستمر بكائى عليها، حتى غابت، شممت رائحة البصل، تراجعت ، دقـت السـاعة، انتبه الحاضرون، جلست فى المقهى، سرت مع الأحلام ، تفجر كيانى، وحزنت من آمالى، وندمت على حياتى، بكيت على أيـامى الخاليـة، أخذت أغذ السير حتى انتصف الليل والعيون سكرى ، والقلوب حيرى، والنفوس ظامئة ، والأنظار متعطشة، ثم انطفـأت القناديـل، وتـوهج الظلام، وغازلت الشمس فأصابها ما يصيب الفتاة من حيـاء وخفـر، وانكسفت الشمس وغاب الضوء، وانقهر الظلام، ورجعت حزينا ملتاعا للخيبة الكبرى لموت الشمس، أو لانتحارها عندما اشتد وهج الظلام.

ألم يكن من الأفضل أن أنام فى فراشى، وأترك الشمس لخلق الله بدون مضايقة من بنى الإنسان ...؟

تعقيب :

هذه أقصوصتى التى سوف أسلمها لجريدة تنشرها ، فقد كـددت الذهن وأوقدت مصباح حياتى، وشربت القهوة، وانغمست فى الأحداث، وعشت التجربة، وقرأت لزولا، وجى.دى. موباسـان. وعشـت مـع جوستاف فلوبير ــ وللأسف الشديد قرأت مدام بوفارى التى ترجمهـا الدكتور محمد مندور منذ عشرات السنين ، هيا الموضوع دخـل فـى الجد ــ رجعت واستغفرت ثم قمت وصليت، وقرأت من آخـر وحـى السماء إلى الأرض، وقد قرأت للسباعى والجاسر والأنصارى والحكيم

والعقاد والزهاوى، والتوحيدى، والحموى، والجاحظ، وقررت ألا أكتب بهذا اللون كى أحافظ على ما حصلته من القديم والجديد على السواء.

ارتبطت السطور السابقة بالشعر (الحداثى) الذى فوجئت به فى الطائف من عام ١٩٨٥م وكان الشعر غامضا ومفككا لدرجة لم أستطع أن أصل إلى أبعاده ومضامينه، وعندما لا أوفق فى الوصول إلى شيىء كنت أتشكك فى نفسى، كما كنت أعجب لتفسيرات كثير من الأصدقاء الذين يزداد ولعهم بهذا اللون من الشعر الغامض، وقد صار غموض الشعر ــ بصفة عامة ــ قضية تستحوذ على إعجاب الكثيرين، رغم أن الشعر الواضح غير الموغل فى الرمز كان اللون المحبب عند غالبية متذوقى الشعر.

لقد كان غموض الشعر سمة وعلامة بارزة فيما يسمى بالشعر الحداثى، ومن الممكن أن يرضى القارئ بالشعر الذى يحتاج إلى جهد ومعاناة للوصول إلى مضمونه ومحتواه.

أما إذا أوغل فى الرمز، وتعذر الفهم، فإن الإنصراف عن الشعر هو النتيجة الحتمية لهذا الأدب الجديد.

ولقد دفعنى ذلك إلى التعرف على ما فى شعر أبى‌تمام من غموض، ووجدت أن الغموضين مختلفان، وأيقنت أن الإبهام المعاصر يحتاج إلى التعرف على مفاتيحه؛ حتى يمكن الوصول إلى شيىء من النماذج الكثيرة التى لهج بها بعض الشعراء.

المثقف العربي
بين الإقدام والإحجام(*)

لم يعد اهتمام المثقفين بالأدب مثلما كان منذ عشرات السنين، وإذا كان النادى الأدبى بالطائف يشتكى عزلتــه للمتعلمــين، فــإن بعــض المنتديات الأخرى تئن من هذه العزلة وتشتكى منها علــى صــفحات الجرائد والمجلات وفى أغلب الوسائل الإعلامية .

لكن ماذا يقصد بالعزلة ؟؟

يقصد بها عدم متابعة المتعلمين لما يجرى فى النــادى، وعــدم مشاركتهم فى نشاطاته المتعددة، ولا نقصد بذلك أن نصل بالعزلة إلــى حد المقاطعة التامة، أو أن تكون العزلة نابعة من الجميــع ، إذ نــرى بعض الشباب المثقف يذهب إلى مكتبة النادى، ويتابع أخباره، ويشارك فى مسابقاته، غير أن هذا البعض قليل، بل قليل جدا، ولا يشكل نســبة تذكر من مجموع المثقفين صغارا وكبارا،وإذا سلمنا بهذه العزلة، بعيدة ومجردة من أسبابها التى ترجع إلى طبيعة العصر الــذى نعيشــه ، أو إلى انصراف الشباب بخاصة عن الأدب أو إلى المسئولين عن النادى أو إلى كل ذلك مجتمعا فإن العزلة تنطبق على المثقفين عامة بما تحمله كلمة المثقف من شمولية لكل فروع العلم والمعرفة ، وأعتقد أن بــاب النادى مفتوح على مصراعيه لهذه الفئة التى يمكن لها أن تستفيد بهــذا

(*) نشر هذا الموضوع فى تحقيق بعنوان: مثقفو الطائف ــ المطالبة بالمشاركة، وتعدد النشاطات، وذلك فى جريدة عكاظ فى صفحة أصــداء الكلمــة يــوم الأربعاء الرابع والعشرين من صفر ١٤٠٩هــ الموافق للخامس من أكتــوبر ١٩٨٨م .

الصرح الكبير، وأن تفيده أيضا خاصة إذا كان لهـذا المثقـف رؤيـة جديدة، وأفكار جديرة بالبحث والدراسة.

أسباب العزلة:

تعود العزلة بين النادى والمثقفين إلى أسباب كثيرة نذكر منها:

١ - طبيعة العصر، حيث انصرف كثير من الشـباب لدراسـة الحاسب الآلى وتعلم اللغة الإنجليزية، ومشاهدة الأفلام العلمية الجـادة، ولا يحبذ أن يقضى ساعة أو ساعتين فى قراءة قصيدة أو عدة فصول من رواية إلى غير ذلك من الأمور التى انصرف عنها الشباب وهـم أكثر المثقفين من حيث العدد والطاقة والطموح.

٢ - نظام النادى، إذ أن هذا النظام مقصور على الثقافة والأدب وعقد المسابقات وإقامة الندوات والمحاضرات، وفتح المكتبة للقـراء ، ولكن هناك ألوانا أخرى من الثقافة والفنون لا ينهض بها النادى، وإنما يجدها الشباب والمثقفون فى منتديات أخرى مثل جمعية الثقافة والفنون والأندية الرياضية وغيرها. فاقتصار النادى على الثقافة العلمية والأدب يجعل بابه مفتوحا بصفة خاصة لكل متذوق للشعر والنثر.

٣ - منع الحوافز التى يستفيد بها الرواد سواء أكانوا أعضاء أم غير أعضاء، مع أن النادى لا يبخل بمطبوعاته على الرواد، ويـوزع منها الكثير ولكن تنوع الحافز واستمراره يمثل أهمية كبيرة فى الإقبال على النادى.

٤ - موقف الوسائل الإعلامية من النادى، فكثير من المثقفين لا يتعرفون على نشاطاته، ولا أتصور أن يذهب المسئولون عن النادى إلى كل متعلم ومثقف ويقولون له: لتأت إلى النادى، وإنما يقع العبء الأكبر من هذا الدور على وسائل الإعلام مثل الإذاعة والتليفزيون والصحف والمجلات؛ إذ بإمكانها أن تعرف الناس بما يجرى فى النادى، وأن توجد قنوات للتعارف بين النادى ورواده.

ويمكن للأدباء والمفكرين أن يسهموا فى إيجاد أيسر الطرق للمشاركة فى نشاطات النادى من خلال حديثهم وكتاباتهم، أو من خلال محاضراتهم ودروسهم إذا كانوا ممن يشتغلون بالتدريس فى المدارس والكليات.

على أن الأسباب السابقة يمكن معالجة بعضها، ولنا أن نتصور مقدار العزلة لو جمع النادى بين العديد من الأنشطة، وأسهم بالحافز المعقول، وقدم مميزات خاصة لأعضائه، ونهض الإعلام بدوره فى التعريف بنشاطات النادى وإذاعة أخباره، ولم يتوان المثقفون عن المشاركة فى الأنشطة المختلفة وحسب تخصص كل منهم، ودعوا إلى الإقبال على النادى، وعند ذلك نعتقد أن الرواد سيكثرون، وربما تتلاشى مظاهر العزلة التى نتحدث عنها.

أعتقد أن كثيرا من المثقفين والمفكرين يشاركون مشاركة فعالة فى نشاطات النادى، وتعود بى الذاكرة إلى أوائل عام ١٤٠٦هـ حينما وجه النادى عددا من الدعوات إلى بعض المثقفين فى كلية التربية فرع

جامعة أم القرى بالطائف، والكلية المتوسطة بالطائف أيضا وإلى بعض أعضاء النادى وغيرهم، وكان يحضر منهم عدد كبير، وشارك هذا العدد فى مناقشة ودراسة بعض الأعمال الإبداعية نذكر منها الزهور الصفراء لمحمد الشقحاء، وتذكرة عبور لعبدالله سعيد جمعان وغيرهما. وكان النادى قد أعلن عن تجميع هذه الدراسات والمناقشات وطبعها وتوزيعها ولكن لم أدر ماذا حدث بها حتى الآن، على أننى أقصد بذلك أن أكثر المثقفين والمفكرين لا يتأخرون عن تلبية الدعوة والمشاركة فى نشاطات النادى إذا وجهت إليهم الدعوة ، وفضلا عن ذلك نجد دوما هؤلاء المثقفين يحاضرون بالنادى ويشهدون محاضراته، وكما قلت يمكن لهؤلاء المفكرين من خلال الوظائف التى يشغلونها أن يوجهوا غيرهم للإقبال على النادى وأعرف أن كثيرا من زملائى يوجهون طلابهم إلى النادى، ويتحدثون ويكتبون عن نشاطاته فى وسائل الإعلام المختلفة.

وأرى أن يعقد النادى ندوة عامة ويدعو لها من شاء من المفكرين والمثقفين لمناقشة هذه القضية والوصول من خلالها إلى رؤية محددة حول هذه العزلة وأبعادها وكيفية تلافيها والقضاء عليها .

نقد النقد

كثر الحديث فى هذه الأيام عن أساتذة الجامعات، وعن دورهم فى الحركة الأدبية والنقدية، وأسرفت بعض الأقلام فى هجومها على هـذه الفئة من المثقفين، ووصفتها بنعوت لا تليق، حتى فهـم الكثيـرون أن بهذه الأقلام ميلا واعوجاجا، تحتاج معه إلى شىء أى شىء .

وأنا هنا لا أدافع عن هذه الفئة بوصفى واحد منها أو أقول إنهـا فوق النقد، بل إننى أحب أن يسعى كل من اعتلى منصبا إلـى تثقيـف نفسه وتنمية معارفه حتى يرتفع المنصب به، ويسمو بمواهبـه، لا أن يعلو بشخصيته من خلال الكرسى الذى يجلس عليه فقط.

وأقول: ليس من الملائم شرعا وعرفا أن نعلن العداء والهجـوم على فئة بعينها أو على بعض منسوبيها لمجرد الاختلاف فى الـرأى، وتعميم الأحكام بالصورة التى قدمت لها أمر مرفوض فى كل الأوساط ومع سائر الفئات وبين كل المجتمعات. وسوف أستطرد فى بيان ما لا يحتاج معظمه إلى بيان آملا فى حسن الغاية ووضوح الرؤية وسـلامة القصد.

إذا طلع علينا كاتب أو مبدع ممن يشملهم النقد (والإهانة) بمـا لا يشرفه، وبما يسيئ إلى الكرسى الذى يعتليه، ونشر ذلك فى كتـاب أو مجلة أو جريدة، فهل يسوغ ذلك ملاحقة الجامعيين؟، ثم نتحايل بكلمـة (بعض) وبزعم الحرص على المشاعر والوداد : إن ذلك يذكرنى بمن طلب لعينه الكحل، فأصابها بالعمى، إلا إذا كان القصد مما كتب وقيل

تسويد الأوراق وملء الصفحات وكتابة أى كلام !! فلنقــرأ مــا كتبــه المبدع أو الأديب ونناقشه فيه بهدوء وموضوعية وبلا عصبية وانفعال، ومن غير أن نشوه صورة الجامعات ومن يعمل فيها أو ينتسب إليها ، ومعلوم أن إنتاج الأستاذ الجامعى المنشور الذى لا يستقل به عن محل وظيفته هو الرسالة أو الأطروحة الجامعية التى حصل بها على الدرجة العلمية، كما أنه من المعروف فى التقليد الجامعى أن الرسالة العلميــة التى لم تناقش بعد لا يتطرق إليها بالحديث فى وسائل الإعلام ما دامت لم تعقد لها لجنة الحكم والمناقشة.

وأكرر مؤكدا بدلا من المهاجمة وإهانة العلماء : علينا أن نتوجه بنقدنا الموضوعى إلى الأعمال لا إلــى الأشــخاص، ولا نتحســب إلا الكلمة الناصحة المخلصة الخاضعة لموازين النقد المســتقيمة، أمــا أن نشكك ونشوه هؤلاء الصفوة من المثقفين فإن ذلــك خطــر كبيــر لا يستهان به، وأول مثالب هذا الخطر هو فقــدان الثقــة بــين الطالــب الجامعى وأستاذه إذ كيف يطالب بالاستماع له وحسن الأخــذ عنــه ، والثقة فيه وهو يقرأ عن التشكيك فيه والاستهانة به ووصــمه بــأحط الصفات وأخسها .

إن ساحة الأدب رحبة فسيحة فلنتجول فيها ونتعامل معها بشفافية وحسن تناول، ومن غير أن تتسع الهوة بين أصحاب الكلمة ... الكلمة الجميلة الهادفة التى تلهب الوجدان وتثمر فى النفوس .. إننى أعــرف شاعرا فذا موهوبا قضى شطرا كبيرا من حياته فى نقد الناس وتعقبهم

وتسليط شعره الهجائى عليهم، ولما تقدم به قطار العمــر وأراد جمــع شعره لم يجد إلا قصائد الهجاء التى تسلط فيها لسانه على كثيــر مــن الناس حيث وصفهم بأقذع الأوصاف وتطرق إلى أهليهم وذويهم، ولذا أحجم الرجل عن جمع ديوانه بعد أن تحسر على موهبته التى انحــرف بها وقضى عليها .

ولقد حدثنى زميل عن تلك الجرأة الغريبة التى توجه بها (فــلان) إلى الجامعيين، وصب عليهم جام غضبه، فقلت له: لا تسل عنهم، ولا تلتفت إليهم، ولا تعرهم أى اهتمام فإن بعض الناس يحاول أن يــنطح الصخرة يوما ليوهنها، ولنعمل بإخلاص لأداء مهامنا .

نعم إن الفساد عندما تنتشر بعض صوره فى المجتمع فإن أجزاء منه تصل إلى أساتذة الجامعة فهم ليسوا معصومين من الخطأ، وإن من المؤسف حقا أن الأمر لم يعد الآن بمثل ما كان عليه منــذ عشــرات السنين، فقد مارس بعض الجامعيين السرقات العلمية سواء أكان ذلــك فى بحوث للترقية أم فى كتب للطلاب، وترتب على ذلك ضياع كثيــر من القيم والمبادئ بالدرجة التى لا يصلح فيها هذا الأســتاذ أن يكــون عضوا أو نموذجا يحتذيه صغار الباحثين والطلاب، ذلــك لأن ســعار المادة قد بات مسيطرا على توجهات الكثيرين، فهم يرغبون فى الكسب والثروة والقفز إلى الأمام على حساب جهود زملائهم، كما أن التلاعب أحيانا فى نتائج الامتحانات تزيد الصورة قتامة وسوءا.

لكن هذه النماذج السيئة ليست هى الغالبة ولا المسيطرة ولا تمثل توجها عاما، وإنما هى حالات شاذة، ينبغى أخذها بالشـدة، وتطبيـق القانون عليها بما يحفظ للعلم شموخه وكبرياءه.

كما يلاحظ أن بعض الجامعيين يعكفون على كتبهم ومحاضراتهم ولا يتداخلون فى المجتمع وقضاياه مما يقلص من رسالة الجامعـة، إذ ينبغى أن تكون كما قال أساتذتنا بلا أسوار، وكل أستاذ أو عضو هيئة تدريس عليه واجب كبير تجاه مجتمعه بالمشاركة فى فعالياته وأنشطته كل فيما يخصه ـ ومن هنا تقترب شخصية الأستاذ من النموذج الأمثل التى يتضاءل الكثيرون أمامه، ويشعرون بمدى ضـعفهم فـى العلـم ورسالته، ولنحرص على التذكير دوما بقول الله تعـالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [١].

---

(١) الرعد : ١٧ .

الأندية الأدبية

رأينا الطائف فى هذا العام عروسا تتحلى بأبهى ما لديها من حلى وزخارف فى ليالى الصيف الجميلة التى يحلو فيها السهر، وتنشد الأشعار ، وتعقد الأمسيات احتفاء بالقادمين وترفيها عن الحالين، وقد اعتاد الكثيرون من أهل هذه البلاد أن يقضوا صيفهم على ربوع الطائف وبين مروجها الخضراء، حيث يلتقى الأحباب والأصحاب، ومن بينهم أهل الثقافة والفكر وطلاب العلم والمعرفة.

وقد تجاوب النادى الأدبى مع الماضى ومع الحاضر معا حيث أعاد إلى نفوسنا وتذوقاتنا شيئا من رائحة عكاظ وأخواته عندما كان النابغة هو الخصم وهو الحكم فى مرات كثيرة، ثم كان التجاوب مع الحاضر ممثلا فى هذه الندوات الأدبية والعلمية، والأمسيات الشعرية التى لم تنقطع طوال هذا الصيف على أرض الطائف الخضراء.

ولقد شارك فى هذه اللقاءات الكثيرون من أهل الفكر والأدب والنقد الذين جاءوا من مكة والمدينة وجدة والرياض والقصيم وغيرها، ولكنى لاحظت أن جوا معتما ــ لا أدرى له سببا ــ قد واكب هذا النشاط المنبرى من قبل الصحافة على اختلاف ميولها واتجاهاتها، فلم تحفل بهذا الألق، ولم تنشر من أخباره إلا أقل القليل ألم يكن من الأنسب أن تبرز الصحف والمجلات كل هذا النشاط، وأن يتسع صدرها لهذا التوهج، وأن تعقد حوله الدراسات والأحورة (معذرة يا أبا عقيل من إيراد هذا الوزن الجمعى)؟! ولا يخفى على أحد ضرورة

التواصل بين الأندية الأدبية والملاحق الثقافية، فقد باتت حركة البعث الفكرى مدينة فى تواصلها عبر هذه الأرض إلى هذين الرافدين، كما أن للقائمين على أمر النادى دورا أكبر من مجرد عقد الندوات واختيار المتحدثين والشعراء، وهم بالطبع مدركون لرسالتهم فى هذا النادى المعطاء.

والذين تابعوا هذه الندوات وشاهدوها لم يكونوا بالقدر المطلوب الذى لا يتناسب على الأقل مع مكانة الضيف ودوره فى حركة الفكر، وهناك شىء أخر لابد من التنبيه له، وهو موقع الفندق الذى تعقد فيه الندوات؛ إذ يقع على مسافة كبيرة من قلب الطائف، وأرى أن يعالج النادى كل هذه الإشكالات ، وأن يتصدى بالدراسة لهذا النشاط، وأن يعهد إلى المتخصصين من أعضائه بتقويمه والحكم عليه، واختيار المناسب منه لنشره وإذاعته بين الناس، إذ ليس من المعقول أن يذهب كل هذا النشاط أدراج الرياح، أو أن يقتصر على تسجيله فى المحاضر والأوراق وفى الأمسية التى أحياها الأخ عبدالرحمن العشماوى على سبيل المثال ومضات من الشعر الإسلامي الرصين، فقد جمع فيه بين الأصالة والمعاصرة والقوة والموضوعية، وهو على كل حال واحد من شعراء الأمة الإسلامية المعدودين، وقد شدا فى تلك الليلة بالعديد من القصائد الطوال ، ومنها رائعته المفعمة بالوجدان والعطر :

دعينى أرى الأزهار ياروضة الشعر ∴ وهزى إلى قلبى بأغصانك الخضر

وفى أمسية تالية أنشد الشاعر العيد الحظراوى بعض قصـــائده ، وإن لم تكن كلها فى مستو واحد، ولعل من جيدها قصـــيدته المعنونـــة (رسالة إلى بختنصر) إذا كثرت فيها الرموز والإيحـــاءات والصـــور والأخيلة.

إن مشاركة هذين الشاعرين وغيرهما فى هذا النشاط يجعل مـــن الضرورى دراسة ما قدم فى هذه الأمسيات وتقويمه والحكـــم عليـــه، ليكون ذخيرة لهذا النادى فى الحاضر والمستقبل على السواء.

انعكاس القضايا المعاصرة فى الآداب

تحدثت فى هذا الموضوع مع أستاذنا الدكتور/ محمد رجب البيومى، فذكر أن الأدب منعزل عن القضايا المعاصرة من يوم أن اختفى عباس العقاد وطه حسين ومحمد حسين هيكل، وأحمد حسن الزيات وغيرهم من أساطين الفكر والثقافة، وتكاد الساحة تكون فارغة الآن.

وتحدثت معه عن بعض الهموم التى يشغل الناس بها مثل تنمية الشعور الدينى، والهوية العربية، وقضايا فلسطين والعراق، والتطرف والإرهاب، وحوار الحضارات والثقافة العربية والأزمات الاجتماعية الحادة التى يعانى الناس منها، مثل البطالة وأزمة الماء والغذاء، وهجرة العقول العربية إلى الشرق والغرب، فقال فى صوت مملوء بالضيق والمعاناة لا يوجد تأثير لأى شىء من ذلك على الأدب.

وأشهد أن آراء هذا الأستاذ الكبير لا تخلو من معاناة وضيق مما ألم بالأمة العربية والإسلامية فى ظل الأوضاع الراهنة، التى يئن الشعب العربى منها فى كل مكان، وأكاد أجزم بأن الحياة الأدبية فى النصف الأول من القرن العشرين ـ بخاصة ـ كانت نمطا فريدا لم يأبه به أدباؤنا العظام لممارسة حقوقهم المكتسبة فى التعبير بأقلامهم الحرة الجريئة عما يعانى منه المجتمع العربى، وأن الأوضاع المختلفة من سياسية وثقافية واجتماعية قد تحولت إلى أشكال وأنماط جديدة لم تكن تخطر على بال أحد ، فقفزت معدلات التعليم إلى مستويات عالية زالت معها معالم المجتمع التقليدى الموروث.

وعاشت الحياة العربية فى هموم جديدة فرضتها مأساة فلسطين وما خلفته حروب العرب مع إسرائيل، وتجلى ذلك فى العديد من الأعمال الروائية التى عالجت سنوات الحرب والدمار.

ونعتقد أن الفن القصصى قدم العديد من الصور الاجتماعية لكفاح الشعب العربى خاصة فى الدول التى شاركت فى الصراع العربى الإسرائيلى.

وقد خلفت البطالة وما يترتب عليها من فراغ لدى الشباب اعتناق بعض المذاهب الفكرية المتطرفة، والآراء الأصولية المتشددة، فوقع عن جهل أو سوء فهم فى براثن التطرف والإرهاب الذى رأى فيه نوعا من اليأس أو الخلاص.

وقفزت إلى سلم الأحداث مشكلة العراق مع جيرانه أولا، ثم مع بعض الدول الغربية التى تسعى للوصاية على شعوب المنطقة زاعمة الحرص على تجريد الساحة العربية من الأسلحة الفتاكة، وناشرة للحرية والعدل والسلام، مع أن الكثيرين يعرفون الأهداف الحقيقية من ذلك، وأقلها فرض الوصاية على شعوب المنطقة؛ للاستيلاء على ما بحوزتها من ثروات ومواقع استراتيجية هامة، ولو كان الأمر موضوع أمن وسلام لكانت المعاملة أو الدعوة شاملة لكل الدول بلا تفريق.

وقد عبر الأدباء والمفكرون عن هذه الأوضاع والقضايا بالكلمة الحرة الجريئة فى المقالة الأدبية، والتحقيق الصحفى، والتغطية الإعلامية الشاملة.

أما حديث الشعر فكان سيلا دفاقا فى معالجة الهموم العربية على مستوى الدولة الواحدة أو فى نطاق أشمل وأعم للهموم العربية جميعا.

ولا شك فى أن الأدب العربى على اختلاف أشكاله قد مارس دوره فى معالجة الهموم والقضايا العربية بالصورة التى تتواكب مع الحاضر، وتعبر عن الكفاءات والمواهب الموجودة، أو التى كانت صاحبة أقلام صاخبة إلى وقت قريب، لكن المعالجة الأدبية للأحداث ليست بالصورة التى كانت أيام العقاد وطه حسين وهيكل فتلك مرحلة من عمر الأمة لم يعد لها وجود من حيث الكفاءات والمواهب، أو من حيث القضايا والأحداث.

الأسرة المسلمة فى ميزان الشريعة الإسلامية(*)

(ندوة دينية)

ألاحظ من خلال الأسئلة المعروضة علينا فى هـذه النـدوة ، أن معظم الأسئلة تدور حول قضايا محدودة مثل التطرف عنـد الشـباب، واستمعنا جميعا عن سؤال حول قاتل والديه وحول أشـرطة الفيـديو ودورها فى إشعال جذوة هذا التطرف بعيدا عن الدين، ومـن وجهـة نظرى فإننى أود أن نركز على قضيتين أو قضـية واحـدة، الجانـب الأول هو الشريعة الإسلامية، التى فيها الحل والعلاج الكفيل بإنهاء كل هذه المظاهر المؤلمة التى لا يقرها شرع ولا دين، ولنا أن نتساءل منذ وقت طويل ونحن نتابع ما قيل وما نشر حول إنهاء تقنـين الشـريعة الإسلامية، وهذه القوانين قد خرجت من مجلس الشـعب إلـى مجمـع البحوث الإسلامية، ثم عادت إلى مجلس الشعب، ثم استمعت معكم فى حسرة إلى ما قاله رئيس المجلس النيابى من أنه لا توجد لديـه حتـى مشروعات قوانين ٠

لا خوف من تطبيق الشريعة :

وهنا نرى أن الرأى العام ــ كما لمسته فى المحيط الذى أعيشـه خاصة الطلاب ــ قد شعر بنوع من الإحباط، وأيقن أن الشريعة أمامها عقبات كثيرة فى طريق التطبيق، وأقول للشباب الذى يسأل عن تطبيق الشريعة نحن معكم وندعو المسئولين إلى سـرعة تطبيـق الشـريعة

(*) جريدة اللواء الإسلامي العدد ١٧٦ يونية ١٩٨٥م فى تغطيتها لندوة الجريدة بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالمنصورة٠

الإسلامية، وإلى تهيئة الرأى العام لهذا التطبيق، لأن كثيرا من الناس يجهلون الإسلام، وكثيرا منهم يخافون من تطبيق الشريعة كأنهم قد قصروا هذا التطبيق على مجرد الحدود فقط، فالتطبيق علاج لكثير من مشكلاتنا .

أسباب الانحراف :

ـ أرى أن هناك ارتباطا بين حوادث الاغتصاب وتطرف الشباب وبين تطبيق الشريعة وارتداء الفتيات للملابس المحتشمة؟ فما رأى فضيلتكم فى ذلك ؟

السائل ربط بين حوادث الاغتصاب والتطرف الجماعى للشباب من ناحية وبين عدم تطبيق الشريعة وعدم ارتداء الفتيات للزى الإسلامى، وأود أن أتوقف عند نقطة الزى الإسلامى للفتيات، فإذا كنا نطالب المسئولين بتطبيق الشريعة الإسلامية، فنحن كأفراد ندعو الجميع أن يبدأوا بأنفسهم، وأن نسأل أنفسنا ماذا يجرى فى بيوتنا؟ البنت تخرج من البيت بدون علم الأب أو من وراء ظهره، بحجة المذاكرة عند الآخرين ، ثم ترتكب الحماقات باسم هذه المذاكرة ، كذلك ما يحدث فى بعض الأندية الرياضية، ومراكز الشباب والقرى السياحية الجديدة.

خروج الفتاة بدون علم أهلها :

وعلى كل حال لماذا تخرج الفتاة بدون علم أبيها أو بدون علم ولى أمرها ، ثم كيف تخرج وهى سافرة متبرجة، إننى مع الرأى العام فى شعوره بالحسرة، إزاء ما سمعوا عن حوادث الخطف والاغتصاب،

ومع هذا الشعور نحن نوصى ونطالب بـأن نبـدأ بتطبيـق الشـريعة الإسلامية من البيوت، إذا كنا حتى الآن عجزنا عن أن نطبق الشريعة التطبيق الفعلى حتى ولو بنظام تدريجى، ماذا يجرى فى البيوت؟ البنت تذهب إلى النادى مع الصديق الخفى من وراء علم الأب، ثم يحدث ما يحدث بعد ذلك ، فكيف يسمح الأب أن تجلس ابنته مع شاب غريب من غير محرم •

خلوة الرجل بالمرأة :

ففى الحديث الشريف "ما اختلى رجل بامرأة إلا كـان الشـيطان ثالثهما" .. وحديث آخر "لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مـع ذى محـرم" البنت تخرج إلى دور العلم، للأسف الشديد إنها تخرج غير محتشـمة، مستخدمة لأنواع فاضحة من الزينة، مما يثير الشباب، والشباب لديـه مشكلات كثيرة، ولكن يجب أن نوجهه التوجيه السليم ، بأن نحببه فـى الشريعة وأن نحسن علاقته بالدين، وأن نبدأ تطبيق الشريعة الإسلامية من البيت، وذلك بأن يكون الأب قدوة حسنة، وكذلك الفتاة إذا خرجـت محتشمة، فلا يظهر منها إلا وجهها وكفاها ، فـإذا تماسـكت الأسـرة وبدأت ترعى حقوق الله ، وطبقت شرع الله فيما بينهـا، وسـاد الـود والتفاهم والتعاون بين أفرادها، وبما أن المجتمع يتكون من مجموع هذه الأسر ، فسنجد مجتمعا نظيفا متعاونا متماسكا، تسـود فيـه المحبـة والوئام، والألفة والمودة، ويسود فيه شرع الله وتحترم فيه القيم والمثل العليا •

وعند ذلك ستختفى كل هذه الجرائم التى نسمع ونقرأ عنها ونأسى لها ونحزن عليها ٠

الأسرة المسلمة :

ـ لماذا لا نطالب الدولة بتطبيق الشريعة الإسلامية ونكتفى بمطالبة الناس بتطبيقها فى البيوت ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن(١) ؟

لقد طالبنا بتطبيق الشريعة الإسلامية وكل ما قلناه أن نبدأ التطبيق من البيت، والبيت وحده لا يكفى، لابد من أن تتعاون كل الأجهزة، البيت والشارع والمدرسة والمسجد، ووسائل الإعلام ، لأن وسائل الإعلام لها دور هام وخطير ، لأنها تؤثر تأثيرا كبيرا فى سلوك الشباب وأفكاره وخاصة التلفزيون، لأنه يشاهده الذى لا يقرأ والذى يقرأ، ونحن عندما طالبنا بتطبيق الشريعة ، قلنا يجب أن نبدأ من البيت، ثم تتعاون كل الأجهزة والوسائل المختلفة فى تحقيق ذلك، فعندما تظهر الفتاة بصورة محتشمة فى الشارع، ونرى مظهر الإسلام عليها، فإن ذلك يجعل الكل يحترمونها ويقدرونها، ولا يمكن أن يتعرض لها أحد بأذى، أما أن ننتظر حتى تصدر الدولة قرارا بذلك، فليس هذا هو الطريق الصحيح، ونحن كمسلمين لماذا لا نطبق شرع الله على أنفسنا وفى بيوتنا وهذا غير محتاج إلى قرار، فالأسرة أساس المجتمع فإن صلحت صلح المجتمع وهكذا ٠

---

(١) وَزَعَ الإنسان وغيره ـ يزعه وَزْعاً : كفّه ومنعه وحبسه ٠ و ـ زجره ونهاه ٠

من الصالون الأدبى بمنزل المؤلف

١ ـ المنتدى الأدبى.

٢ ـ افتتاح صالون أدبى جديد .

٣ ـ جلسة نقاشية عن ديوان العاشق والنهر للدكتور صابر عبدالدايم.

٤ ـ جلسة نقاشية عن ديوان الشاعر عصام الغزالى (أهددكم بالسكوت).

٥ ـ حلقة نقاشية عن كتاب نقض بلاغى لعلاقات مزعومة بين القرآن ونظرية دارون.

المنتدى الأدبى

جاء الصالون الأدبى فى منزل الدكتور/ السيد الديب امتدادا للفكرة التى ابتدأها ونفذها الدكتور/ صابر عبدالدايم إحياء لمنهج متجدد يلقى ترحيبا من رواد الثقافة والفكر والإبداع .

ولقد سار الدكتور/ الديب على المنهج ذاته، وطور فيه بما يتواكب مع المتغيرات التى فرضت نفسها على الحياة الثقافية فى أواخر القرن العشرين وتجلت الرغبة فى الإسهام والتجاوب مع الدعوة الصادقة لتجديد الفكر، وتحديث الثقافة العربية لمواجهة الثقافات الوافدة من الشرق والغرب، اقتناعا بأن الحوار الهادف البناء هو الأسلوب الأمثل للوصول إلى الحقيقة من خلال الاجتماع الهادئ فى الصالون الأدبى، والذى عقده الدكتور/ السيد الديب لأول مرة فى يوم الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة ١٤١٥هـ الموافق للخامس والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٩٥م، واستمر الانعقاد متجددا بعد صلاة العصر من يوم الجمعة الأولى من كل شهر ميلادى، وبالتشاور والاتفاق مع رواده، لاختيار الموضوع الذى سيدار النقاش حوله فى كل لقاء.

وكان موضوع النقاش فى الجلسة الأولى هو (الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة) وقد حضر هذه الجلسة كوكبة مضيئة من الأدباء والمثقفين وكبار الإعلاميين، نذكر منهم الدكاترة/ فتحى عامر، وحسن ربيع وصابر عبدالدايم وعزت جاد، والشاعرة/ وفاء وجدى، بينما أدار

الإذاعى محمد العربى السبع الجلسة باقتدار، فأتاح الفرصة لكل راغب فى الحديث بما يتواكب مع الطرح الثقافى للموضـوع المحـدد، كمـا حضرها الدكاترة عبدالجواد طبق، والسيد عويضة، والسـيد العطـار، والأستاذ إسماعيل سبع رحمه الله.

ومن الموضوعات التى طرحت فى لقاءات أخرى: "الشعر الحر: رؤية نقدية" وشارك فى النقاش كوكبة أخرى لم تكن قد شـاركت فـى لقاء سابق نذكر منهم (الشاعر بدر بدير) والشـاعر/ أحمـد النحـال، والقاص/ بهى‌الدين عوض ، حيث أكد الجميع ضرورة التجديد للأشكال الأدبية بما لا يتنافى مع الثوابت الركيزة فى الدين واللغة والأخلاق.

وعقدت جلسة فى عام ١٩٩٥م أيضا لمناقشة ديـوان (العاشـق والنهر) للدكتور/ صابر عبدالدايم، وشارك فى الحوار أدباء جدد لأول مرة منهم: الشاعر حسين على محمد والشاعر محمد السنهوتى شـيخ شعراء الشرقية رحمه الله، والأديب الناقد أحمد زلط، وقد ألقى الباحث (الدكتور) محمد السيد سلامة دراسة نقدية بعنوان (بين الحلم والرحيل) فى الديوان المذكور، كما أسهم فى الحديث الباحث (الـدكتور) محمـد عبدالله عباس، وألقـى الشـعراء الحضـور بعضـا مـن قصـائدهم ومقطوعاتهم الشعرية.

وعقدت جلسة لمناقشة ديوان (أهددكم بالسكوت) للشاعر عصـام الغزالى وحضر الندوة لأول مرة الدكتور الشاعر محمود الحجر، وقـد لوحظ أن الذى يشارك فى الحضور لا يتخلف عن اللقاء إلا لعذر قاهر

خاصة من الإعلاميين الذين كانوا يذيعون ويكتبون عن الصالون بكل تقدير وإعجاب وبمتابعة دائبة من الأستاذ محمد العربى السبع.

ومن الموضوعات التى دار النقاش حولها موضوع كتاب : "نقض بلاغى لعلاقة مزعومة بين القرآن ونظرية دارون".

و(الإشارات العلمية فى القرآن الكريم) وغيرهما من القضايا التى شارك فيها بالحديث الأساتذة السابقون ومعهم الأستاذ محمد سليم بهلول والدكتور محمد يحيى هيكل والدكتور محمد الغرباوى والدكاترة أبووردة السعدنى وهانى الأمين والأساتذة محمد الهلاوى وسعيد الكيلانى ومحمد النواوى والدكتور/ حسن طاحون والدكتور/ عبدالمنعم عطية، والدكتور/ السيد عبدالعزيز والدكتور/ عبدالله أبوهاشم والأستاذ/ عنتر مخيمر والأستاذ/ محمد عمر، والشاعر/ سمير عبدالله، والدكتور/ محمد إبراهيم شحاتة ، ومعظم شعراء الشرقية الذين سرهم أن يعقد مثل هذا الصالون فى عاصمة الإقليم الذى عمر بكثير من الشعراء والأدباء والمفكرين.

افتتاح صالون أدبى جديد(*)

ليس من قبيل المصانعة أن يقع اختيار الصـــالون الأدبـــى الأول والذى أقامه الدكتور/ السيد محمد الديب أســتاذ الأدب والنقــد علـــى موضوع الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة مادة للحوار والنقاش فى وقت تسعى فيه الأمة العربية إلى تجديد فكرها وتحديث ثقافتها فى مواجهة ثقافات العالم المفروضة علينا كتبا وأفلاما وأقلامـــا وأقمـــارا صناعية تقتحم علينا كل حياتنا .. وأيضا لأن البعض يعتقد أن هنـــاك تضادا بين الأصالة والمعاصرة وأن الأصالة تعنى التخلف والرجعيـــة وأن المعاصرة تعنى الأخذ بكل جديد أيا كان هذا الجديد.

اختيار الموضوع :

وفى البداية يرحب الدكتور الســيد الــديب صــاحب الصــالون بالكوكبة الأدبية والفكرية والسياسية والإعلامية المشاركة فـــى النـــدوة مؤكدا على أن اختيار هذا الموضوع الحيوى والذى جاء بالإجماع يعد إثراء للحركة الثقافية والفكرية ويفتح الآفـــاق للمشـــاركة فـــى صـــنع المستقبل والتوصل إلى صياغة ثقافية جديدة تتناسب مع العصر.

وتؤكد الشاعرة وفاء وجدى وجوب مراعاة اختيار السور القرآنية المناسبة للمراحل السنية للتلاميذ، وأن يكون المشارك فـــى اختيارهـــا مفكرا واعيا بقيمة وتأثير القرآن الكريم على الطفل المتلقى .. وتلقـــى قصيدتين "تقاسيم على البوح، وعجلت اليك لترضى".

(*) نشر فى جريدة صوت الشرقية عام ١٩٩٥م.

وينبه الدكتور محمد أحمد سلامة ـ كلية اللغة العربية بالأزهر ـ إلى جنوح السور المكية إلى القوة ؛ لأنها توجه لجماعة المشركين، وجنوح السور المدنية إلى السلاسة ـ فقد نزلت للتشريع والعبادات •

ويتابع الدكتور فتحى عامر ـ كلية آداب الزقازيق ـ بأن كل آية قرآنية تثير حاسة العقل ليفكر وحاسة العاطفة لتؤثر وتتأثر وحاسة الإرادة لدى الإنسان ليعى وينفذ ،وعلينا أن نبدأ مع الطفل بالسور التى تناسبه ثم نتدرج بما يتوافق مع استعداده .. وليت المسئولين يراعون ذلك •

مجموعة ثقافات :

وينتقل سيادته إلى التنويه بأن الإنسان المثقف إنسان هضم مجموعة ثقافات وتمثلها فيظهر كأنه عالم فى شخص واحد والأمة المثقفة هى الأمة الحضارية، وكلما شاعت الثقافة كانت الأمة حضارية ـ "فالجاحظ لم يترك مكتبة إلا قرأها، والمثل الفرنسى يقول "الأسد مجموعة خراف مهضومة ، وشكسبير هو شاعر القرن السابع عشر ، وشوقى شاعر مصر" •

ويعرض الدكتور صابر عبدالدايم لمفهوم الثقافة والأصالة والمعاصرة فى الكتب القديمة ومعاجم اللغة بقوله: الثقافة هى حذق الشيىء ـ وهى التمكن من العلوم والفنون والآداب والأصالة من الأصل وأصل الشيىء أى قتله علما والمعاصرة ـ من العصر ـ وهى مأخوذة من الزمان .. وعصر الزرع أى نبتت أكمام زهره •

ثم يلقى آخر قصائده التى كتبها فى مكة المكرمة بعنـــوان القبـــو الزجاجى ـ ينعى فيها الحضارة الإسلامية الآفلة فى تركيا.

وينوه أحمد رجائى نائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية إلى أن الصالون يعد فاتحة لثقافة رفيعة فى مختلف المجالات .. ويثبت أيضـــا أن القاهرة لم تعد تستأثر وحدها بصالون الفكر والأدب، كمـــا يوجـــب على الإعلام القاهرى أن يتحرك إلى الأقاليم.

التيارات الشعرية:

ويجعل الدكتور عزت جاد قصيدتيه إلى الأرنب البيضاء "منازله ـ حصار" مجالا للنقاش إذ يرى الدكتور حسن ربيع عضـــو مجلـــس الشعب والأمين المساعد للحزب الوطنى أن الشعر موجه إلى مختلـــف طوائف المجتمع والمفروض لا يحتاج إلى معجم ويعلق الدكتور صابر عبدالدايم بأن التيارات الشعرية متنوعة الآن فهناك الكلاسيكى (القديم) الذى يتميز بالجزالة والوضوح .. وهناك الشعر الجديد ـ الحـــديث ـ الذى يعنى بالتشكيل اللغوى والصور الشـــعرية المكثفـــة والتركيبـــات اللفظية التى قد لا يألفها السمع، وهذه تشكل مصيدة، فـــالإغراق فـــى الصور قد يؤدى إلى استغلاق الفهم والسبب فى ذلك النقاد، لأنهـــم إذا رأوا قصيدة قريبة المفهوم ـ يقولون عنها سطحية، ويـــدافع الـــدكتور عزت جاد بقوله: إن بعض القصائد لا تفهم إلا إذا قرئت مرات عديدة .. ولا يمكن الحكم عليها بالسماع من المرة الأولى.

حول الثقافة العربية:

ويلقى أحمد عزيز شاعر العامية ببعض الأغنيات الدينية وشهادة ميلاد ومرثية فى شاعر الشرقية الراحل مرسى جميل عزيز ــ بعنوان "قولى يا غنوه"•

ويطرح الدكتور السيد عويضه تعليقه بأطروحة حول الثقافة العربية ــ بين الأصالة والمعاصرة ــ منطلقا من أن البعض يرى أن الأصالة تعنى التخلف والرجعية ومؤكدا أن الأصالة هى التراث والفكر والتاريخ العريق والمجد .. وهى القابلة للاستثمار فى حياتنا المعاصرة، والأصالة ليست فى تضاد مع المعاصرة .. بل هى امتداد لها وانطلاق بها إلى الحياة المعاصرة المتجددة ، ورفع للبناء الذى يقوم على البحث والدرس وصولا إلى الحقيقة والتعيين ، وعلينا أن نستمد من ماضينا ما ننتفع به فى حاضرنا وأن نقتبس من الغرب ما ننمى به أنفسنا دون أن نتغرب باسم المعاصرة•

ويوضح إسماعيل سبع مدير عام بالتربية والتعليم أن قضية الأصالة والمعاصرة بدأت مع الإسلام فقد تذوقت الأمة الإسلامية الحضارات السابقة وهضمتها، ثم انتقلت إلى حضارتنا الخاصة والمشكلة الآن أن الجديد يريد أن يقتلع القديم ، وهناك محاولة لاقتلاع ثقافتنا .. بمعنى أن التليفزيون ومحطات الفضاء تنقل إلينا كل ما هو غريب عن أرضنا .. "وحذار من الطوفان الذى سيغرق البلد فيما بعد"•

ويضيف محمد العربى السبع أن السيادة القادمة للثقافة وحدها والمشكلة هى كيف نجعل ثقافتنا العربية أكثر قدرة على الوجود والصمود فى مواجهة التيارات الثقافية القادمة لذلك فإن مستقبل هذه الثقافة مشروط بإعادة بنائها ـ بالحفاظ على اللغة العربية وآدابها وفلسفاتها باستيعاب كل المستحدثات فى الفنون والأيديولوجيات .. ومزجها فى ثورة ثقافية تحقق النقلة المطلوبة.

ويتابع بقوله ـ إن المشروع الثقافى العربى لن تقوم قائمته إذا ظل متقوقعا على ذاته فالعقل العربى فى حاجة إلى إعادة صياغة والانطلاق من الجزء إلى الكل والتخلى عن الخرافة وأن تصبح الثقافة هى المعيار والفيصل .. وأسلوب حياة ومنطق تفكير ولغة مستقبل.

ويهدى الشاعر محمد سليم بهلول قصيدته الأولى ـ إلى صاحب المنتدى ـ ثم يلقى قصيدته "لصوص الجنس" على الإيدز مرض العصر ثم "اتحبنى" وانتهى اللقاء فى مودة وصفاء.

فى صالون الديب(*)

جلسة نقاشية عن ديوان العاشق والنهر

عبدالدايم يبكى، وحسين يعلن توبته، والغربة تسيطر على الحضور

الشاعر الشرقاوى الدكتور صابر عبدالدايم شاعر كبير من حيث المكانة والخبرة ، وعى تماما منذ نعومة أظافره أن رأس الحكمة هى الشعر، فانطلق من مسقط رأسه قرية "العطارين" من أعمال مركز ديرب نجم، يغرد بالشعر فى كل مكان حتى وصل بشاعريته إلى ليبيا والسعودية وتركيا .

وجاءت أعماله الشعرية "نبضات قلبين، والحلم والسفر والتحول، والمسافر فى سنبلات الزمن، والمرايا وزهرة النار، والعاشق والنهر، ومدائن الفجر" تأكيدا لرسوخ شاعريته المتوهجة، بل أقول إنها جاءت فى جلها لتكون لبنة حية فى بناء معمارى لا يقاوم، تشكل نسيجه من حلم وسفر وتحول، وضرب بجذور عميقة فى التراث العربى العريق، فى عصر انقطعت صلة الشعر مع تلك الجذور فى أغلب تجاربه، وأصبح شباب الشعراء لا يقرأ التراث ولا ينظر إليه، مفضلا عليه قراءة "ت س اليوت، شيللى، موباسان، الخ" ولم تعد موسيقاه امتدادا للإيقاع العربى العذب، الذى يخاطب الحواس ويرتفع بها ويجعل النفس تتراقص بهجة وطربا، صوره ورموزه لم تكن عن القد أو الوجه الذى يشبه القمر، أو تكن عن المعراج أو الإسراء، أو أهل الكهف، بل كانت عن أشياء لم نعهدها، وإحساسه بالغربة لم يكن تعميقا للغربة العربية

(*) أخبار الشرقية ١٥/ ٨/ ١٩٩٥م.

والإسلامية، التى تقلل من الارتباط بالدنيا ؛ وتجعل المرء غريبا يحن إلى دار أبقى وأحسن، والتى هى غربة هادفة تؤدى إلى اليقين والسكينة، بل كانت امتدادا للغربة الأوربية التى لا تعرف هدفها، والتى هى نتيجة الإفراط فى الواقع، وتجاهل المناطق العليا، وطرد الروح القدس من الأقبية على حد تعبير "سارتر" فى كتابه "الكلمات" ومن ثم فرض غربة تتسم بالحيرة والضبابية القاتمة، والتذمر والغضب واليأس.

وحول شخصية الشاعر صابر عبدالدايم من خلال ديوانه "العاشق والنهر" دارت أعمال الجلسة الخاصة بالشعر بصالون الناقد الدكتور السيد محمد الديب أستاذ الأدب والنقد جامعة الأزهر.

وقد حضر الصالون: الدكاترة صابر عبدالدايم ، حسين على محمد، أبو وردة السعدنى، أحمد زلط، السيد العطار، ومن الشعراء والأدباء ورجال الإعلام بهىالدين عوض، محمد السنهوتى، بدر بدير، محمد سليم بهلول، محمد الهلاوى، والإذاعى محمد العربى السبع، ومحمد سلامة ، وسمير عبدالله.

وفتح الدكتور صابر عبدالدايم الجلسة بتقديم عن الديوان حيث يقول : إن هذا الديوان قريب إلى نفسى لأننى أرى الفن أولا فيه ثم الرؤية، إذ أن الشعر ضرب من الصياغة ولون من التصوير كما يقول الجاحظ، وإن كان كثير من النقاد يصلون إلى آراء وأشياء لم تكن فى ذهن الشاعر رغم عدم تصادمها مع الشاعر، فرسالة النقد .. البحث عما يضىء النص ويثريه.

وفجأة أجهش الدكتور صابر بالبكاء وساد الصالون الصمت وهو يلقى قصيدة "قراءة فى دفتر العشق" لما لها من مدلولات ذاتية فى نفسه، فأكمل الشاعر بدر بدير قراءة القصيدة بدلا منه.

ويفجر رائد الصالون الدكتور السيد الديب قضية الغربة وكيف كانت محورا رئيسيا من محاور ديوان "العاشق والنهر"، الحزن، الغربة، العشق، وأوضح الدكتور الديب أن هذه المحاور ظهرت فى رثاء الدكتور صابر عبدالدايم لرفيق عمره الدكتور محمد كريم، وتلك الدموع التى سكبها على شقيقه الدكتور صفوت، إلى جانب تلك الاستمرارية فى الحزن لمأساة البوسنة، كما رأينا فى قصيدة الشاعر "الشفق" هنا ارتفعت حدة الخلاف بين رواد الصالون حول مصطلح "الغربة" هل عانى الشاعر من الغربة؟ أم لا؟ وظل الخلاف حولها إلى أخر أعمال الصالون عندما أوضحها جليا الدكتور حسين على محمد قائلا: الشاعر المسلم ليس عنده غربة بل هو ضيق من الحياة وألم طارئ، أما الشاعر بدر بدير فقد رأى الغربة عند صابر عبدالدايم على أنها المقدمة النفسية التى جعلته يتوهج فى تجاربه، وعارض بعد ذلك الدكتور حسين على محمد حينما أعلن توبته عن الشعر الحر، ووصفه بأنه زوبعة وسرعان ما يزول، مؤكدا أنه لو تمكن من نظم الشعر العمودى لما أقدم على شعر التفعيلة الذى لا قيمة له.

ومما لا شك فيه أن تجربة الشاعر الدكتور صابر عبدالدايم كما حملتها لنا أعماله الشعرية قد فجرت لنا قضايا جديرة بالبحث

كمصطلح الغربة، كذلك أضاءت عالما يمــت بوشــائج عميقــة إلــى الرومانسية الثورية، كما قال بذلك الدكتور حسين على محمد، ولكنهــا ليست الرومانسية التقليدية كما همس البعض أو أنها الواقعية الجديــدة، فالشاعر لم يقدم ويتراجع أبدا ولكنه يحلم ويسافر ويتحول، فهــى إذن الرومانسية الثورية التى تحاول تغيير العالم بالحلم والسيف معا.

الغزالى يهدد بالسكوت الشعرى(*)

خط الدفاع الأول:

عمد الشاعر (الضيف) عصام الغزالى بعد أن عبر عن سعادته باستضافة الصالون له ولديوانه إلى توضيح بعض التأثيرات التى جعلت منه شاعرا .. ومنها أن والده الشيخ الغزالى خليل رحمه الله ــ كان من رجال الأزهر ، وكان لا يتوقف عن قراءة القرآن الكريم ــ الزاخر بتكويناته اللغوية والموسيقية والبلاغية، مما كان له تأثيره الذى انعكس على كتاباته الشعرية وقال إن شعره من مدرسة القرآن والأزهر الذى يعد خط الدفاع الأول عن اللغة العربية وآدابها .

وذكر أن: ديوانه الأول ــ **الإنسان والحرمان** ــ صدر عام ١٩٧٠م ويحوى ١١٧ قصيدة (هى تقريبا كل ما كتب حتى وقت صدوره) لكنه عاد إليه بعد سنوات بالتنقيح والاختيار وإعادة الصياغة وإزالة الأورام من القصائد قبل إعادة طبعه فى ثمانية واربعين قصيدة ومقطوعة .

موجود فى العناوين :

ثم صدر ــ وما زال الحديث للشاعر عصام الغزالى ــ ديوان "**لو نقرأ أحداق الناس**" عن المدة التى انتهت بحرب أكتوبر، والذى ابتعد فيه عن الذاتية نوعا ما، وأنه يعد لإصدار ديوان " **الشعر ورد حدائقى**" بعد أن طبع ديوان "**دمع فى الرمال**" وديوان(**هوى الخمسين**)

(*) ملحق مجلة صوت الشرقية السنة ٣٣ العدد (٣٧٦) نوفمبر ١٩٩٥م.

ويشير إلى أنه موجود فى عناوين دواوينه .. وأنه يحاول الآن أن يعيد جسور الصلة مع المنتديات والصالونات الأدبية والتى يعتبرها لحنا خاصا للغاية خاصة إذا كانت تضم المبدعين والمجيدين.

قصيدة عن الرسول :

ويفصح الشاعر ابن المنصورة عن تطلعه لكتابة قصيدة عن الرسول ﷺ قبل أن يموت .

ويعترف أنه خرج من عباءة أحمد شوقى "وأن الأيام ترفع شوقى وتخفض مهاجميه.." وتعلم منه أن الموضوعات هى هى .. وعلى الشاعر أن يتصيد هدفه من زاوية جديدة حتى يقرأ له الناس.

ويقول: كتبت ديوانى "أهددكم بالسكوت" بترتيب إنسانى .. والقيمة الأولى عندى الحرية ، وهى التى جعلتنى أختار الإسلام وأصر عليه مع كل صباح، وأتيقن من أن الأدب العربى هو الأدب الإسلامى، بعيدا عن شعر التقسيمات (شعر الشباب ـ شعر المرأة) فالشعر ليس له وطن محدد .. وهو الفن شجرة واحدة جذورها الصدق والجمال.

الصراخ بالكلمات الموجزة :

ويضيف أن العنوان "أهددكم بالسكوت" مأخوذ من قصيدة نفسية ستة أبيات بالديوان (مقطوعة) وتحمل تعبيرا سياسيا وطنيا اجتماعيا عنه، وأن قصيدة دروس فى محو الأمية صرخة موجزة فى الدعوة للحرية، وقصيدة اللبن المسموم كانت ردا على الحاقدين الذين يجرحون مفكرى مصر، وقصيدتا "فرعون وقومه" و"اثنان على حبل" ثورة على

الوضع السائد، وجميع القصائد انفعالات شعورية ــ شعر غنائى يعبر عن وقفات وجدانية .. فالشعر له ما يحركه "المهم أن تكون مناسبة الانفعال نابعة من الداخل ــ حتى تصبح تجربة شعرية".

وينهى تعقيباته بقوله: إذا صمت البلبل فالخاسر هى الحديقة ، وإن مات الشاعر ماتت أشياء كثيرة .

شاهد إثبات:

وينوه الشاعر بدر بدير بأنه التقى كثيرا بالشاعر عصام الغزالى فى الندوات الشعرية بكلية اللغة العربية .. وأنه وجده شاعرا أصيلا يؤمن بالحرية ويتعصب لها .. وأن الغزالى قد عرض للمنابع التى أثرت فى تكوين شخصيته الأدبية والإنسانية والاجتماعية، وأن قصائده تكشف عن ملامحه الفنية خاصة قصيدة شاهد إثبات .

وقال إن الغزالى معتز بنفسه ووطنه وشعره كثيرا ، ويعتبر شعره مكسبا للناس "فهو يقدم جميلا إلى الحياة .." ، "لذلك هو يهدد هؤلاء الناس بالسكوت إذا" ..

فض الاشتباك :

ويعبر الدكتور عبدالجواد طبق عن ارتياحه لتحديد موضوع الصالون الأدبى القادم، ويوضح أن ما ذكره ردا على ما كتب عن نظرية داروِن واتفاق مائة آية من القرآن الكريم مع ما تعطيه النظرية،

يستهدف فض الاشتباك بين ما تقوله النظرية وما تذهب إليه الآيات الكريمة، لأن النظرية فى واد وما استشهد به فى واد آخر.

ويطالب الشاعر محمد السنهوتى بإضافة تدريس النقد التنظيرى (النظرى) والتطبيعى بلقاءات الصالون لتبادل الخبرات وإثراء الحلقات، ويسلم من وجهة نظره بأن الشاعر الغزالى له منابع دينية "يهددنا بالسكوت .. ولكنه فى داخله يعمل" وهذه تعطى روحانية فى شعره .

برقيات خفيفة :

ويصارح الدكتور السيد عويضة بأنه أخذ الديوان (أهددكم بالسكوت) منذ فترة لقراءته ثم تركه .. ثم عاد إليه .. "وله برقيات .. عفوا ـــ يقصد بعض الملحوظات الخفيفة".

فقصيدة أهددكم بالسكوت فيها شبه ثورة ضعيفة، والديوان يغلب عليه المقطوعات وليس القصائد، ويكاد يخلو من المطولات وشعر المناسبات اللهم إلا قصيدة الرقصة المدمرة .

والرمزية طابع هذا الديوان،ولغته سهلة ورقيقة وإن غلبت عاطفة الشاعر على عقله،وهوايته غلبت على عمله كمهندس مثله مثل الشعراء الدكتور أحمد زكى أبو شادى والدكتور إبراهيم ناجى والمهندس على محمود طه.

وأوزان القصائد خفيفة وراقصة، والروى الساكن يمثل ملحوظة في الديوان، وإن كانت تدل على ثورة نفس الشاعر، وكل قصيدة لها عالمها الفكرى والخيالي والتعبيرى ولكنها عوالم ليست تقليدية.

ويتابع مصارحاته بقوله : استوقفتنى بعض الملاحظات .. ففى قصيدة "أغنية الموت فى عكاظ" ورد:

ولى القصائد والقلائد زانها العمر القصير

ولو استبدلت بـ زانت العمر القصير ـ لكانت أوقع ـ أيضا استخدام كلمة يقال ويقال تكرار .. بالإضافة إلى وجود عبارات نثرية مثل : ترك الخير الكثير .. وعبارات سوقية مثل :

شموعك ينفخ العفريت فيها ....

المرأة والغزل:

ويؤكد الدكتور السيد الديب أن الشاعر الغزالى يمثل الرابطة الإسلامية، والأدب الإنسانى، ويبشر بأن يكون هناك أدب إسلامى يتطرق إلى سائر مناحى الحياة.

ويؤكد أن أزمة الحرية عنده لم تشغله عن الغناء لمصر، وأن يعطر صفحات كثيرة من ديوانه بمفردات العطر والمسك والرياحين، ويمثل مكانا بارزا فى قصائده، كأنه يذكرنا بالمتنبى حين يقول:

"الخيل والليل والبيداء تعرفنى.."........................

وهذا معناه أن ثقته بنفسه عالية.

والحديث عن المرأة والغزل موجود فى شعر الغزالى مما يؤكـد النظرة الوجدانية عنده، ويذكرنا بقول العقاد :

كـل شـىء فيـه شعر .:. مـا دام فينـا نحـوه شعور

دفقات الشعر :

ويصرح الدكتور محمود الحجر بأن الشعر دفقات، وأنه بعـد أن قرأ كل كتب العقاد فى سن مبكرة وأحب اللغة العربية لـم يحـاول أن يكون شاعرا، ولم يسع لدراسة الشعر، لكنه وجد نفسه يكتـب الشـعر بالفطرة .. وتبعا لدفقات وجدانه وثبات مشاعره.

على أمل اللقاء:

ويستمع رواد الصالون الأدبى إلى بعض قصائد الشـعراء بـدر بدير، د/ محمود الحجر، محمد السنهوتى ..

ويفترق الرفاق على أمل اللقاء المتجدد فى الصالون العامر دائما بالفكر .. وقد اتفقوا على أن المأدبة الثقافية القادمة ستدور حول كتاب الدكتور عبدالجواد محمد طبق "الردود على المزاعم التـى تقـول إن هناك علاقة بين القرآن ونظرية دارون..".

نقض بلاغى لعلاقات مزعومة بين القرآن ونظرية دارون

تطور صورة البشر والرد على مزاعم الدكتور حسن حامد(*)

ينتقل الصالون الأدبى برواده مع الدكتور السيد الديب فى هذا اللقاء إلى مناقشة كتاب "نقض بلاغى لعلاقات مزعومة بين القرآن ونظرية دارون" للدكتور عبدالجواد محمد محمد طبق أستاذ البلاغة والنقد بجامعة الأزهر والذى رد فيه على ما جاء فى كتاب "خلق الإنسان بين العلم والقرآن" لمؤلفه الدكتور حسن حامد عطية، والذى قرر فيه أن هناك علاقة وثيقة بين آيات خلق الإنسان فى القرآن ونظرية دارون في النشوء والارتقاء، وتوصله ـ من وجهة نظره ـ إلى أن فى القرآن ما يدل على أن آدم وحواء (عليهما السلام) شأنهما شأن البشر أجمعين قد خلقا من إنسان يسبقهما فى الوجود ، وأن آدم أب للبشر فقط أو لبعض منهم وأن حواء ليست مخلوقة من ضلع آدم وإنما خلقت كسائر البشر، وأن سجود الملائكة لآدم لا يعنى السجود المعروف بل هو رمز لرفعة شأنه على الملائكة.

وأن هناك احتمالا لتطور صورة البشر الحاليين إلى صورة أخرى فى الخلق، وأن آدم ابن لإنسان سابق عليه متطور فى الخلق من حيوانات سابقة، وأن الإنسان على صلة وثيقة بأبناء عمومته القردة، وأن المعجزة فى خلق آدم ليست فى خلقه من تراب، ولكن فى خلقه آخر المخلوقات، متطورا عنها جميعا ، وأن تكريم بنى آدم كان بانقراض الصور الأخرى لأشباه الناس والإنسان ...، وغير ذلك من

(*) صوت الشرقية يناير ١٩٩٦م.

الأمور الخطيرة .. الأمر الذى يستوجب تصدى الصالون لدراسة الموضوع ،ومناقشته، ويستوجب اقتراب صوت الشرقية.

سحر البيان:

فى البداية يوضح الدكتور عبدالجواد طبق أن القرآن الكريم دستور الله الخالد، أعجز العرب بسحر بيانه وعجيب نظمه، لا بألفاظه المفردة وكلماته المستقلة، وأنهم عجزوا عن محاكاة نظمه، وإن نطقوا بألفاظه، ولهذا كان على كل من يتصدى لهذا الكتاب، ويريد أن يستنبط منه فى أمور التشريع أو العقائد أو الوقوف عند الإشارات العلمية أو الكونية فيه أن يكون ذا بصر بنظم هذا الكتاب وذا فقه فى اللغة التى نزل بها، لكن مؤلف كتاب "خلق الإنسان بين العلم والقرآن" ينتحى فى فهمه للآيات المتعلقة بخلق الإنسان ناحية لا ترتكز على أساس لغوى سليم، ولذلك طوع لغة القرآن كى تساير بعض النظريات العلمية فى تطور خلق الإنسان كنظرية دارون وما شابهها ، مع أن هناك خطورة بالغة فى الربط بين القرآن والنظريات العلمية "فماذا يكون الحال لو ظهر فى المستقبل خطأ بعض النظريات التى تم ربطها أو الاستشهاد عليها بالقرآن".

ويتابع الدكتور طبق أن فكرة كتابه بدأت فى السعودية عام ١٩٨٧ م، عندما قام أحد الأساتذة بالرد على ما جاء بكتاب الدكتور حامد من مغالطات ، وتبين أن الرد يحتاج إلى متخصص يجيد اللغة العربية، فالمستهدف الرد على التفسير الخاص للآيات القرآنية التى يرى هذا المؤلف أنها تؤيد هذه النظرية أو تلك.

أيضا مؤلف الكتاب المردود عليه جعل مدخله الأساسى الذى سيرتكز عليه فى نتائجه هو التفرقة بين ألفاظ : الأناسى ــ الناس ــ الإنسان ــ البشر ــ وأن تطور دلالة هذه الألفاظ مواكب لتطور خلق الإنسان من حيوانات سابقة كالقردة ــ رغم اتفاق أساطين اللغة العربية ومعاجمها على أن تلك الألفاظ جميعها ذات مدلول واحد هو الإنسان ــ من بنى آدم فردا أو جمعا .

ويضيف الدكتور عبدالجواد أنه قام بالرد على الكتاب من الناحية البلاغية واللغوية ويبقى أن يقوم متخصص فى الحشرات والحفريات بالرد عليه من الناحية العلمية.

لا جدال فى القضية:

يقرر الدكتور محمد يحيى هيكل أستاذ الوراثة بزراعة الزقازيق أن المولى عندما يقول إن الإنسان خلق من تراب فهذه قضية لا جدال فيها، وهناك براهين يزداد معها الإيمان فقد أكدت الأبحاث خلق آدم من تراب ، وأثبت العلماء فى العامين الأخيرين فقط أن هناك ٣٦٥ مشرقا تتوالى على الدنيا كل نهار .. "رب المشارق والمغارب".

ويقول إن عالما انجليزيا توصل إلى أن الأرض كانت كتلة ملتهبة .. انفصلت عن الشمس وبردت .. تكونت الأبخرة والبحار، ومع الضغط والأشعة فوق البنفسجية وتوالى المد والجزر ذاب جانب من الصخور ليكون نوعا من الشوربة تضم ١٤ عنصرا (نفس مكونات الإنسان) وتكونت منها خيوط رفيعة ما بين الحياة والموت تهدأ ثم

تتحلزن وتخلق شرائط الحياة DNA .. وهى مادة لا تفنى ولا تتغير وتحمل شفرة الحياة الواحدة التى تعمل فى كل مخلوق بطريقة مغايرة.

وأيضا أراد عالم روسى عام ١٩٤٠م أن يحاكى الطبيعة فى الأزل فأحدث الضغط فى قنينه وضع فيها المحاليل، وبعد فترة بدأت تتكون حويصلات ثم تخرج منها براعم جانبية – بدأ يغذيها فى الحياة العادية إلا أنها ماتت، لكنه أثبت ما ذهب إليه العالم الإنجليزى من أن أشرطة الحياة هى المسيطرة على كل كائن .. لكنها لكى تعمل لابد من الروح – أمر القادر سبحانه وتعالى : كن فيكون، وهنا تكمن عظمة الخالق، لأن الإنسان يحتاج ملايين السنين لكى يصل بالخليقة لتكون نباتا .

ويزيد بأن تجارب الهندسة الوراثية تجرى تجارب لخلق إنسان جديد فى سرية تامة بأخذ خلية من بعض المخلوقات .. لكن أين الروح .. السر الذى لا يملكه إلا الله .

بين الإنسان والقرد :

وينوه الدكتور سيد رشاد العطار بأن نظريات دارون ومن قبله لامارك في تطور الإنسان والصفات المكتسبة قد أسقطت، وأن القول بأن آدم خلق من خلق يسبقه وأن الإنسان مرحلة من التطور .. نسانيس ثم قردة ثم قردة عليا .. جاء اعتمادا على نظرية الانتخاب الطبيعى مثل الزراف الذى تطور من قصر الرقبة إلى طولها ليمكنه العيش، وقد توصل العلماء إلى أنه إذا كانت الكرموزات متساوية بين الإنسان والقردة فهذا يعنى أنه لا توجد صلة بين الاثنين لاختلاف كل كائن عن الآخر.

اللعب بالهرمونات :

ويلفت الدكتور السيد محمد الديب النظر إلى أن الخطورة لا تكمن فى ربط النظرية بالقرآن الكريم .. ومن هنا علينا أن نسقط من يربط بينهما خاصة وأن الأمور وصلت إلى اللعب بالهرمونات، ونقل الأعضاء والموت الإكلينيكى والمفروض فى العالم الإسلامى أن يكون يقظا لأمثال هذه الأمور والتصدى لها ٠

ويتابع الشاعر محمد السنهوتى بوجوب إعمال التفكير فالنظرية تقول الإنسان أصله قرد .. من أين جاء هذا القرد؟ .. لقد خلقه الله ٠

ويؤكد الشاعر بدر بدير أن الإسلام دين لا يحارب العلم ولا يقف ضد البحث العلمى بل يشجع عليه، وأن الخطورة كما أشار الدكتور السيد الديب هى ألا نعلق إيماننا على نظرية علمية أثبتها العلم أو لم يثبتها خاصة أن من قرأ هذا الكتاب من المتخصصين يقف مبهورا وتمر عليه هذه الخدع "فما بالنا بالعوام .."٠

وينبه الشاعر محمد سليم بهلول إلى أن صاحب الكتاب يناقض نفسه فهو يقول إن الكائن الحى فى تطور يعيد صورة أجداده ، ثم يأتى فيقول إن الإنسان أصله قرد ٠

قصائد جديدة :

ويلتقط الصالون الأدبى أنفاسه مع قصائد جديدة... حتمية اللقاء ــ مع خطاك إذا ما استحال على رؤياك ــ أنانت (أنا أنت) للشاعر الدكتور محمود الحجر، نبضات ذكر للشاعر سمير عبدالله، كبرياء

الحب للشاعر محمد السنهوتى ، خمس رضعات للشاعر محمد سليم بهلول.

حلقات الجينات:

ويعاود الدكتور عبدالمنعم عطية الأستاذ بكلية الصيدلة الحوار الدافق حول كتاب الدكتور طبق بأن هناك محاولة في الولايات المتحددة لتحويل بكتيريا إلى مخلوق بهدف التعرف على حلقات الجينات والاستفادة منها فى خلق مكونات أخرى .. (هجنوا البولدوج) .. وحاليا أصدروا قرارا بألا يحاول العلماء التدخل فى شكل الخلق .. إذ من المعروف أن لدينا ٢٦ حامضا أمينيا يخرج منها كل هذا البشر .. وهذا ما أسقط نظرية دارون.

ويذهب الدكتور سيد عبدالعزيز .. كلية الطب البيطرى ـ بأن القرآن واضح جدا، والخطورة أن أمثال هذه الكتب تأتى فى ثوب أنها تعضد القرآن، والخلق هو خلق من عدم،وليس من موجودات مخلوقة.

ويضيف الإذاعى محمد العربى السبع أن المطلوب تقوية العقيدة الإسلامية بالاطلاع على ما يدور فى محافل العلم، لنأخذ ما يناسبنا ويواكب ثقافتنا العربية والإسلامية.

إعادة الصياغة:

ويرى الأديب بهىالدين عوض أن على الدكتور طبق أن يحاول إعادة صياغة كتابه بالتعاون مع عالم علمى، لأننا لو تحرينا الأمر لوجدنا منظمات عالمية توظف هذه الأمور تحت دعوى حرية العلم والبحث.

ويتساءل الدكتور محمود الحجر عن أوجه الربط بين نظرية داروين والقرآن ، ومن أين أتت الخبرة للملائكة بأن الخليفة الذى سيجعله الله فى الأرض سيسفك الدماء .. ومؤلف الكتاب يزعم أنهم علموا من الإنسان الذى سبق آدم .. ويزيد لقد حذر العقاد فى كتابه عن الإسلام من أن يقوم عالم بغيرة ساذجة على الإسلام بالربط بين القرآن والحقائق العلمية لأنه قد يثبت عكسها فى المستقبل، بينما سيظل القرآن إعجاز الدهر .. وحرية الاجتهاد مطلقة إلا إذا مست العقائد.

ويعرض الأستاذ إسماعيل سبع لملاحظتين محاولة تفسير القرآن بإعطاء دلالات علمية، وهذا خطأ؛ لأن القرآن حقيقة أزلية بينما العلم حقيقة نسبية متغيرة.

والثانية أن دارون عالم وانسان اجتهد .. وأساء الاستدلال وعلينا أن نرد عليه، وهو رأى إنسانى لا نحجر معه على حرية التفكير، لأنه قد ينبت من وسط هذا الرغام جواهر.

وينفض الصالون إلى لقائه المتجدد، وقد طرح للمناقشة موضوعه القادم "الإشارات العلمية فى القرآن الكريم.."

بين الثقافة والصحافة

١ـ الشعر الحر ٠

٢ـ الشعر العامى موجود ولكن ٠

٣ـ هموم ثقافية ٠

٤ـ فى الطائف تألق الشعر وأخفق الناقد ٠

٥ـ تجاوز صحفى بسبب نقد الشعر٠

شعر التفعيلة والسطر الشعرى(*)

الشعر الحر: غريب .. غامض .. متمرد على الإيقاع

نرفض ما يسمى بقصيدة النثر وأتباع هذا الشعر لم يتفقوا على قاعدة له حتى اليوم •

تمثل المعارك الأدبية قطاعا حيا من قطاعات الحياة الفكرية فى الأدب العربى له خطورته وأهميته فى مجالات النثر والشعر واللغة العربية والقومية العربية ومفاهيم الثقافة ونقد الكتب كما يؤكد أنور الجندى فى مدخل سفره العظيم حول المعارك الأدبية•

وقد دارت هذه المعارك كما يقول: بين المحافظين والمجددين، ثم دارت بين المجددين أنفسهم . متطرفين ومعتدلين، وقد انتظمت موضوعين هامين: معركة مفاهيم الثقافة ومعركة مفاهيم الأدب، وكان أبرز أعلامها فى معسكر المحافظين أحمد زكى باشا وفريد وجدى والرافعى ومحمد أحمد الغمراوى وشكيب أرسلان ورشيد رضا، وفى معسكر المجددين: العقاد والمازنى وزكى مبارك وهيكل وطه حسين وسلامة موسى•

وعلى هذا النحو وفى إطار رحلة المعارك الأدبية يقدم الناقد الشرقاوى الأستاذ الدكتور السيد الديب أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر رؤيته النقدية حول ما عرف بالشعر الحر، منكرا على أتباعه زعمهم بأن "الفراهيدى" لا وجود له فى العصر الحديث•

(*) نشر بعد موعده فى جريدة أخبار الشرقية ٣٠/ ٩/ ١٩٩٦م•

المحرر:

يقول ناقدنا الكبير الدكتور الديب: كان الكثيرون مـن زملائـي وأصدقائي في دور العلم وأندية الأدب يطيلون في نقاشهم ، ويمعنـون في اختلافهم حول الشعر الجديد، وتحديث الشعر القديم، وكان الـبعض منهم يرفض هذا الطارئ الجديد من الخارج بمعنى أنه لا يشق علـى نفسه في المراجعة والدراسة لهذا اللون الذي كثر طـالبوه .. فيتـأثر بالأقوال الغاضبة من غير أن يدرس الشعر نفسه، أو يقف على شـكله ومضمونه وقفة تأمل ومراجعة.

وأؤكد أنني أطرب للكثير من قصائد الشعر القديم ومقطوعاتـه، وأبياته المفردة، وأرفض التحلل من القواعد والانفلات من الثوابت التي تتلاءم مع هذا الفن، كما لا أسعد بتلك المحاولات التي تقف في طريق كل تطوير وتجديد في الشكل والمضمون، وإذا كـان لشـعر التفعيلـة رواده وعاشقوه، فليكن ذلك شريطة ألا يتعارض مضمونه مع العقائـد والحريات وقضايا الأمم ومتطلبات الشعوب.

ولقد سبق أن درسنا الشعر العمودي الأصيل، ورأينا أن القـدماء قد اختلفوا في كثير من الفروع، بل في وجود بعض البحـور أصـلا، ولكن فريقا من القدماء ومن المحدثين كانوا يحكمون على كثيـر مـن الأبيات المفردة، والتي يعتمد عليها في تأصيل بعض القواعـد بأنهـا صناعة عروضية، أما الشعر الحر فلا يكاد رواده يتفقون على شـيء فيه فإذا قيل إنه ينظم على أساس وحدة نغمية ثابتـة وهـي التفعيلـة،

وحدث التداخل الكثيف عليها بالزحافات والعلل فتتشابه مع غيرها بدون تفريق بين زحاف يطرأ ويزول وعلة تثبت فلا تتمحى .. ثم إن بعض النماذج من الرجز "مثلا" لا نرى فيها "مستفعلن" خالية من المتغيرات، فالتفعيلة فى الشعر الجيد تكرر كثيرا فى صور عديدة، وربما جاءت بعدها واحدة أخرى من البحور ذوات التفعيلات المزدوجة أو المختلفة فإذا كان الشعر الحر يستند على التفعيلة الواحدة المكررة غالبا فإنه لا يستند على متغيرات ثابتة محددة بشأن هذه التفعيلة فى البحور الصافية، ثم إن التدوير بين الأشطر ليس محل اتفاق ، وأن عدد البحور المستعملة ليس محل اتفاق أيضا فالنظم على البحور الصافية غالبا، وغير الصافية أحيانا .

ويأتى نظم القصيدة من بحر واحد عند الكثيرين، ومن عدة بحور عند البعض الآخر، وأن عدد التفعيلات فى السطر الشعرى غير ثابت، وليس له قاعدة يتفق عليها، والكلام فى القافية كثير، فهل تطرح ويكون لكل بيت أو سطر قافية خاصة به كما هو الحال فى الشعر المرسل ؟ أو تأتى وتغيب أى بالازدواج الموسيقى بين الشعر المقفى وشعر التفعيلة؟ بمعنى أن القافية ليست عنصرا ثابتا فيه "كما ترى نازك الملائكة" .

فإرسال القافية يتحقق بالتحلل التام منها، أو بتواليها فتتغير بعد عدد محدد من الأبيات، أو تتقاطع بالاتفاق مع ما بعد الثانى .

وهل تعد قصيدة النثر من الشعر الحر، فالكثيرون يرفضونها، والقليلون كتبوا فيها، ولعل البعض نظر إلى شكلها ومضمونها فأطلق عليها القصيدة الحداثية لما يعتورها من غموض وإبهام في المعنى، ولتحللها من كافة الأنساق العروضية •

وشعراء السطر أو الجملة يؤكدون على تمسكهم بالعروض القديمة من خلال التفعيلة، لكنهم ــ للأسف ــ لا يتفقون على شيء، فكل له رأى، وكل شاعر له طريقته، وأسلوبه، وبعض أدعياء هذا الفن يقولون: إنهم أقوى من العروض، ولا يوجد في العصر الحديث "فراهيدى" يجمع الشعراء والنقاد على مجموعة من القواعد العامة حول هذا الشعر الجديد، وإذا كانت القواعد غير محببة، ولا يرضى الناس عنها فبماذا نفرق إذن بين الشعر والنثر؟

وقد أعدت بعض المؤلفات عن عروض الشعر الحر، لكن الناس لم ترض بها، واعتبرها البعض استجابة لمرحلة تم تجاوزها، لأن حركة التجديد مستمرة، ولهذا لا ندرى ماذا ستأتى به الأيام بخصوص هذا الفن، ولربما ينصرف الناس عنه لغرابته وغموضه، وتحرره من الوزن والإيقاع غالبا •

وأكثر ما يمكن أن نقتنع به ــ على الأقل ــ في المرحلة الانتقالية من التجريب النقدى لحركة الشعر الجديد هو أن نرضى "مؤقتا" بوجود نوع من الشعر الحر، والذى تعرف الناس عليه منذ ما يقرب من نصف قرن، إلى جانب الشعر العمودى الأصيل، وتكون التفعيلة هى

الأساس فيه، فيصاغ منها السطر أو الجملة الشعرية مع التقارب فـى عدد التفعيلات بين الأسطر ــ بقدر الإمكان ــ وإيراد القافية بالطريقة التى يحقق الشاعر بها الإيقاع النغمي للشعر، وتكون تلك التفعيلات من البحور ذوات التفعيلة المكررة.

ونرى أن الشعر المتعدد البحور والمصوغ من الأبحر المزدوجة ليس له موضع على خريطة الشعر الجديد، كما أن قصيدة النثر ينبغى ألا يرد لها ذكر أو حديث؛ لعدم وجود أية علاقة تربطها بفن الشـعر ، أما المضمون فالشاعر حر في صياغته والتجديد فيـه ، والمعـانى مطروحة فى الطريق كما قال الجاحظ ــ ولكنه لم يقل إن العـروض والقوافى ملقاة ــ هى الأخرى ــ فى الطريق ، ولقد اسـتفدت بكتـاب "قضايا الشعر المعاصر" للسيدة نازك الملائكة . والذى صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٦٢م وهو كتاب مهم فى شرح قضايا "الشعر الحر" حيث اشتمل على أمور كثيرة يراها البعض جديرة بالقبول.

الشعر العامى موجود .. ولكن(*)

سوف تبقى اللغة العربية شامخة راسخة بمفرداتها السخية، وألفاظها المعبرة وصورها الجذابة وأخيلتها الجميلة الرائعة، ولن تزول، ولن تتبدل؛ لأنها لغة القرآن وأدب العرب.

وإننى أؤكد حقيقة غابت عن الكثيرين، وهى أنى لا أنكر وجود لون من الأدب العامى الذى يعبر عن بعض التيارات الشعبية، ويمثل قطاعات كثيرة من شباب الأمة ، ولكن هذا اللون — كما قلت فى أكثر من مناسبة — محدود ، فى نطاق الإقليم أو الوطن الذى ولد فيه ، وعبر عنه ، فاللهجة العامية تختلف فى مصر بين القاهرى والصعيدى والشرقاوى والدمياطى، كما أن لكل أمة لغة شعبية تخالف لغة الأمم الأخرى، ولهذا نأمل أن ترتقى اللغة العامية إلى مستوى اللغة الفصحى الميسرة، وليس ذلك بعيدا فى ظلال التعليم والإذاعة والصحف وغيرها.

وقد كانت لغة الأدب فى شتى عصوره هى اللغة العربية الفصحى، وإننى قد تعقبت الشعر العربى منذ القرن الهجرى الثانى وهو عصر التدوين والذى هتف فيه أبوعمرو بن العلاء بمقولته التى تناولتها الألسنة وسارت بها الركبان : "ما لسان حمير وأقاصى اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا".

(*) نشرت بالعدد ٩ يوم السبت ١/ ٧ / ١٩٩٨ م فى جريدة أخبار الشرقية.

وجمعت طائفة من الكلمات العامية فى شعر أبى‌تمـــام ، ورأيــت أنها تمثل جانبا من غموض شعره[١].

وكتبت عن بعض المصطلحات القاصرة على الاستعمال الشعبى عند الشاعر المصرى (البهاء زهير) [٢] ونشرت دراسة قريبة من هذا الموضوع عن الحياة الاجتماعية كما صورها البوصيرى[٣].

لكننى عجزت مثل الكثيرين من زملائى عن فهم (الخرجة) ـــ بتسكين الراء ـ فى الموشحات الأندلسية؛ لأنها اشتملت على كلمـــات عامية من البيئه الأندلسية القديمة، وليرجع من شاء إلى نماذج من تلك الموشحات.

وقد مالت الأشعار العربية فى مصر وبخاصة فى القرون الأخيرة إلى الخفة فى الأوزان والمفردات ، ولأن بعضها كان يقدم للعامة فيما سمى بصندوق الدنيا أو خيال الظل.

وكان الناس يقبلون على ما يكتبه عبدالله النديم فى مجلتى الأستاذ والتنكيت والتبكيت ، وبه الكثير من الجمل والعبارات العامية؛ ثم ازداد الإقبال على الأغانى والأزجال الطريقة ،التى كان يؤلفها أحمد رامـــى وبيرم التونسي وصالح جودت وغيرهم؛ لأن لأقوالهم معانى رائعة لـــم يرق إليها الكثيرون من شعراء العامية.

---

(١) انظر كتابى الغموض فى شعر أبى‌تمام صـــ٦٩ .
(٢) انظر مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ــ العدد الحادى عشر.
(٣) انظر المجلة السابقة العدد الخامس.

والأسلوب عنصر كبير من أهم عناصر الأدب ، وفضله كبير على المعانى والأخيلة، وإذا كان الجاحظ قد ذكر مقولته الشهيرة (والمعانى مطروحة فى الطريق ......) فإنما ليؤكد وهو أمير البيان فى عصره دور الألفاظ فى الدلالة .. ولذلك لا ينبغى أن نفرط فى انضباط اللفظة وخضوعها للمعيارية العربية الصحيحة ، خاصة أن الفصحى تلتزم بالإعراب ولا تخرج عن قواعد سيبويه والخليل بن أحمد مما يجعل لها صورة واحدة لا تختلف معه بين بلد عربى وآخر، وأنها لغة التأليف والكتابة عند سائر المشتغلين بها والمتذوقين لها، وأن ألفاظها لا تختلف بين كون الشعر عموديا أو حرا (شعر التفعيلة) وحتى قصيدة النثر الخالية من الوزن نجدها ملتزمة بالإعراب والألفاظ العربية الفصيحة.

وأذكر بالمناسبة أن العلامة الدكتور محمد حسين هيكل قد زار بلاد الحجاز، وقدم كتابه (فى منزل الوحى) إلى قراء العربية فى كل مكان، وذكر فى إحدى صفحاته أنه عند زيارته لمنطقة الطائف التقى بمجموعة من شعراء البادية ، وكان يرغب فى أن يستمع إلى شعر عربى فى صفاء اللغة التى درسها فتعذر عليه الفهم ... قال: "وإنما هى لهجات تعذر على فهم بعضها كما يتعذر على فهم لغة أهل الصعيد الأعلى فى مصر، وفهمت بعضها فى عسر ، كما لو كنت أسمع بعض اللهجات فى سوريا ولبنان"[١].

---

(١) فى منزل الوحى صـ٣٢٥ طبعة دار المعارف بمصر .

واستدعى الرجل ــ رحمه الله ــ مرافقيه؛ ليترجموا لــه بعـض المقاطع مما استمع إليه، لكى يتفهمه ويقف على معانيه.

ولست وحدى الذى يعجز عن فهم لون أدبى يمثل قطاعــا مــن شعب مصر والسودان وهو (أدب النوبة)؛ ذلــك لأن أدبــاءهم كتبــوا أشعارهم وقصصهم بلهجاتهم الخاصة، ولو قدم الأدب النــوبى باللغــة العربية الفصحى لما ضاع علينا كثير من النماذج الحية التى يمكن أن تكون ذات قيمة كبيرة فى التراث العربى ، ولهذا فإن أكثر الجامعــات العربية وبخاصة الأصيلة (الكلاسيكية) لا تقدم لطلابها الأدب بلهجتــه العامية، وليرجع من شاء إلى أنظمة الدراسة فى جامعة الأزهر .

ولهذا فإننى أؤكد حقيقة ثابتة وهى الإقرار بوجود الأدب بطبائعه الشعبية، ولكن فى حدود ضيقة لا يمثل من خلالها إلا البيئة أو الإقلــيم الذى نما من خلاله، ولا يوضع فى مقابلة أو فى كفة ميزان مع الأدب بلغته العربية الفصيحة سواء أكتب الشعر بــأوزان (الخليــل) أم قــدم بالطريقة التى قرأناها فى شعر نازك الملائكة وصــلاح عبدالصــبور، وقد أعددت دراسة فى كتابى (أوزان الشعر) عن شعر التفعيلة ويستمع رواد الصالون الأدبى بمنزلى إلى أصوات مختلفة من الشعر الأصــيل وشعر التفعيلة ومن الشعر العامى أيضا .

إضاءة :

لقد دعانى ذات يوم الصديق الفاضل الأستاذ محمد سليم بهلـــول إلى المشاركة بالنقد فى ندوة تقام بنادى الشرقية، فحضرت ـ ويشـــهد على ذلك الإذاعى المعروف محمد العربى السبع الذى كان موجودا فى هذا اللقاء، فاستمعنا إلى بعض النماذج الشعرية، والتـــى ســـعدت بهـــا وبتكثيف الرموز والصور بها، ثم استمعنا إلى أصوات أخرى مختلفـــة فأشرت بما أعجبنى فيها، ثم نوهت إلى هنات فى بعـــض القصـــائد ، وذكرت رأيا فى قضية جديدة قديمة وهى الأدب بين الفصحى والعامية وقلت إن الشعر الشعبى أو العامى ـــ مع الإقرار بوجوده والاعتـــراف ببعض الشعراء البارزين فيه ـــ لا يدنو من الشعر الفصيح ، وضربت مثلا بقصيدة الشاعر أبىفراس الحمدانى والتى قالها فى أسره، وأدخلتها السيدة أم كلثوم إلى ساحة الغناء العربى وهى قصيدة:

أراك عصىّ الدمعِ شيمتُك الصبرُ ∴ أما للهوى نهىٌ عليك ولا أمـــرُ

وقلت: انظروا إلى هذه القصيدة، وابحثوا عن وجوه الشبه بينهـــا وبين كلام يغنيه (بعض المطربين الشعبيين الآن) .. وقلت: إن الفـــرق شاسع جدا والهوة سحيقة بين النموذجين، ثم عقدت ندوة ذات يوم فـــى الصالون الأدبى بمنزلى، وحضرها لفيف من شعراء الفصحى والعامية إقرارا منا بوجود هذا وذاك، وعبر كل واحد عن رأيـــه، ولـــم يفســـد اختلاف الرأى ما بيننا من ود وإخلاص.

وأوصى بعض الحاضرين بأن يقتصر صالونى على اللغة العربية (الأم) ولم نقبل بذلك خاصة، وأن أول لقاء شهد مجموعة من شعراء العامية ولم نتخل عن ذلك، وإذ بى أفاجأ بتغطية صحفية من أخبار الشرقية مليئة بالإثارة والإقحام لأستاذ فاضل فى هذا الموضوع، والزج بى فى أمور أحييت جدلا قديما . ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل صدر عدد آخر من هذه الجريدة وبه تطاول على شخصى الضعيف فألقيت بما كتب فى سلة المهملات وأخذت أردد قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ .(١)

أما القراء فإنى أحيلهم إلى قصيدة شاعر النيل حافظ إبراهيم (اللغة العربية تتحدث عن نفسها).

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ (٢) .

---

(١) الأنبياء ٨٣ .

(٢) الرعد ١٧ .

هموم ثقافية

لقد التقيت بمجموعة من شعراء العامية فـــى أكثــر مـــن لقـــاء بالصالون الأدبى فى منزلى، وفى أندية ثقافية أخرى، وتحدثت (بهدوء) عن الشعر العامى خاصة النماذج الرديئة منه التى لا تصلح لغنـــاء أو تمثيل فى سينما أو مسرح، وبينت أن كثيرا من الشعراء الذين يبالغون فى تمسكهم بهذا اللون يحتاج الكثيرون منهم إلى قدر كبير من القراءة والثقافة والتجريب، وأن ما نسمعه يبتعد كثيرا عما هتف بـــه الشـــاعر بيرم التونسى، أو ما كتبه أحمد شوقى من نماذج رائعة فى هذا اللـــون الذى تنتشر نماذجه المتميزة فى الأغانى والأناشيد الوطنية، ولنتذكر ما كتبه أحمد شوقى فى أناشيده الغنائية.

إن الكثيرين ممن شهدوا هذه اللقاءات لم يعجـــبهم هـــذا الكـــلام، وغضبوا منه، وثاروا عليه.

كما امتد النقاش فى لقاء آخر إلى الشعر الحر، وقصـــيدة النثـــر، وقلت إن الشعر الحر الذى لا يخضع لوزن ، ولا لأية مقـــاييس لـــيس شعرا على الإطلاق ، أما الشعر الذى يتم التجديد فيه بالكتابـــة علـــى نظام السطر الشعرى من خلال البحور متعددة التفعيلة، حتى من خلال البحور المزدوجة، فهو شعر موجود فى الساحة الأدبيـــة، ولا يمكـــن إنكاره والتحلل منه، وأن الزمن كفيـــل بـــالحكم عليـــه، إمـــا بالبقـــاء والاستمرار ، وإما بالزوال والاندثار.

إن التجديد فى نظام القافية موجود من قديم، وتجلى هذا فى كثير من أشعار أبىالعلاء المعرى، وفى غيره ممن رأوا أن التطـــور مـــن سنن الحياة، كما تجلى أيضا فى الموشحات الأندلسية؛ فإن لها نظامـــا يتم التحلل فيه كثيرا من النظام الصارم لقافية الشـــعر العربـــى، أمـــا الالتزام بالوزن فضرورة تفرضها متطلبات الفن الشعرى؛ لأن الشـــعر إذا تجرد من الوحدة الموسيقية فلا قيمة له، ويصير عملا ممسوخا يفقد كثيرا من حرارته ودفئه، ثم زادت حركة التطور فى الشعر فوجـــدت نماذج مما يسمى الشعر المرسل، والوحدات أو المجموعات اللزوميـــة من ثلاثيات أو رباعيات أو خماسيات، وقد سرى ذلك بين كثيـــر مـــن المثقفين فى سائر أنحاء الوطن العربى، لكن الشعر الحر مـــن القافيـــة والملتزم بالوزن صار موجودا فى الساحة ولا يمكـــن إنكـــاره، وقـــد تحدثت به وكتبت عنه الشاعرة العراقية نازك الملائكة، ورصدت كامل رؤيتها فى كتابها المتميز "الشعر المعاصر".

وتحول كثير ممن اعتادوا وألفوا الكتابة بنظام الشعر التقليدى إلى الكتابة أحيانا بنظام شعر التفعيلة .

وقد هوجم هذا اللون بدءا من عباس العقاد إلى كثير مـــن نقادنـــا المعاصرين، ولم أكن فى هذه اللقاءات متفردا بما ذكرت، ولكن عـــددا غير قليل من الحضور كان مقتنعا بما تحدثت به، ومؤمنا بمـــا نبهـــت إليه.

ولكن هذه الرؤية لم ترض بعض الحضور، ورأوا أننى أهاجمهم، وأتصدى لأشعارهم مع أنها محل الرضا والقبول من الكثيرين ثم استغلت الصحافة المحلية هذا الخلاف المحدود، وجعلت منه قضية للمناقشة بصورة مثيرة، فواحد من التقليديين يجعلون منه محاصرا داخل دائرته الضيقة، ومرة يطرحون النقاش بمزيد من السخونة مما أثار كثيرا من المبدعين، وصاروا شبه منقسمين إلى مؤيد للنماذج الراقية من شعر العامية وإلى مؤيد لهذا اللون من الشعر على إطلاقه، لكن الشرف لا يسلم من الأذى، فانبرى أحد المجاهيل يكيل التطاول على شخصى الضعيف ورؤيتى الواضحة البسيطة ، وأنا لا أجيد الجرى فى هذا المضمار، ولعل هذه التجربة فضلا عن أخرى شبيهة سأتحدث عنها فى صحائف أخرى علمتنى الحذر واليقظة مع بعض الذين يلتفون بى، أو يتحدثون عنى، وأنه لا يكفى حسن النية دائما فى التعامل مع الآخرين.

أما الذين غضبوا مما لحق بى فقد شكرتهم وأثنيت عليهم، لكننى اعتذرت لهم عن عدم اتفاقى معهم فى ضرورة رفع الأمر إلى النيابة العامة؛ حتى يأخذ المتطاول جزاءه؛ ذلك لأننى أميل دائما إلى العفو والمسامحة، وهما من الأخلاق الإسلامية الحميدة، وكما علمنى ذلك والدى رحمه الله.

فى الطائف تألق الشعر وأخفق الناقد؟!

النقد فى مرحلة طفولته المبكرة(*)

أقيمت أمسية شعرية بنادى الطائف الأدبى على صالة فندق مسرة انتركونتنتال بالحوية مساء يوم الأربعاء ١٩/ ٥/ ١٤٠٦هـ وكان فرسان الأمسية كل من الأساتذة الشعراء: على عمر عسيرى ـ إبراهيم عمر صعابى ـ محمد زايد الألمعى.

حيث ألقى كل شاعر ثلاث قصائد، وقام بالقراءة الأستاذ عالى القرشى، وكان الحضور يدعو إلى التفاؤل وعلى رأسهم وكيل أمير الطائف الأستاذ عبدالله الماضى، وكان تجاوب الحضور مع الشعر ملموسا فى حسن الإصغاء والمتابعة.

وبعد أن انتهى الشعراء من إلقاء قصائدهم بدأ دور الناقد الذى أطلق على قراءته "متابعة" والتى لم تخل من الدعاية إلى شعر الحداثة حيث لم تكن الأمسية بهذا الصدد مما أدى إلى تذمر الجمهور، كما كان هناك تباين فى أسلوب المتابعة التى تفضى إلى وجود أكثر من شخص قام بكتابتها وبعد الانتهاء من القراءة "المتابعة" علق الدكتور السيد محمد الديب الذى أبدى إعجابه الشديد بالشعر.

وفى النهاية بدت على وجوه الجمهور ملامح عدم الرضا من المتابعة النقدية التى جاءت برأى الإجماع مبتورة دون مستوى القصائد الملقاة.

(*) جريدة الندوة فى يوم الأحد الثالث والعشرين من جمادى الأولى ١٤٠٦هـ.

وبعد حفل العشاء كانت هذه الكلمات عن الأمسية .

١ - وكيل الإمارة الأستاذ الماضى .. ما سمعته الليلة أعجبنى وأطربنى وجعلنى أشعر أن هناك شبابا لهم أعمال شعرية جميلة وصور بديعة.

٢ - أما الشاعر/ على صالح الغامدى فقد بادر قائلا "إن هؤلاء الشعراء الثلاثة لديهم إمكانية وثروة لغوية ومراس ومران فى كتابة الشعر .

٣ - ويقول الدكتور السيد محمد الديب : أستطيع أن أحدد بعض الملاحظات من خلال متابعتى لما دار فى الأمسية الشعرية.

كشف الناقد أو المتابع للندوة عن مذهبه الفنى الذى ينتشر بين عدد لا بأس به من المتثقفين فى المملكة العربية السعودية.

وأقرر أننى اختلف مع الناقد فى بعض رؤاه ، فقد أعجبت مثلا بقصيدة (سلمى) للشاعر إبراهيم صعابى، مع أنها حديثة، ولكن فيها نوعا من الالتزام، وبها تعبير وإيحاء وصور متتابعة ، أنا حقيقة أعجبت بها مع أنى اختلفت بذلك مع القارئ للشعر أو الناقد المتابع.

ثم اتجهت الجريدة إلى التطاول على الناقد ، فقال المحرر : علق أحد الحضور الواعى لدور الشعر فى الحياة فقال: لقد ظهرت حقيقة الأستاذ عالى القرشى كناقد اتضحت ضحالة تفكيره وعدم قدرته على الارتفاع إلى مستوى القصائد التى ألقاها الشعراء الثلاثة، فاتضح لى أنه بدأ يتهجى فى القراءات، فهو بحاجة إلى زمن طويل ليعود تلميذا،

حتى يصل إلى تخطى الضمنية الابتداعية التى يمر بها، وعـذره فـى أميته النقدية أنه يكتب دراساته ومتابعاته النقدية وهو يبحث عن أثر كل كلمة يقولها فى وجوه من يحب ليرضيهم لا ليرضى ضـميره النقـدى الذى كان فى أجازه ربما تكون مفتوحة .. لذلك أرغب أن أصرخ فى عينيه لعله يسمعنى أن النقد فن طويل وصعب سـلمه، وحاشـا .. أن تكون بدأت السير فيه؛ لأنك أشبه بمن توقف زمنه فى مرحلة طفولتـه الفكرية، وما أصعب أن يعيش المرء طفولة فكرية فى عمـر ينـاهز الاتكاء على هامشية الفراغ.

تجاوز صحفي بسبب نقد الشعر

إن القارئ للتعليق الصحفي على ندوة الشعر في الطائف يدرك إلى أي مدى ينبعث النقد من مكامن الرغبة في التجاوز وتناول الآخرين.

وقد كنت في هذه الأمسية حريصا على المتابعة، مصغيا لتعليقات الحضور على القصائد التي ألقاها الشعراء، ونشرت الجريدة[١] بعضا مما تحدث به ناقد الأمسية[٢].

ثم أشار مندوب الجريدة إلى ما ذكرته في تلك الأمسية بطريقة غير دقيقة مبتورة حتى بدت منها روائح الاختلاف الشديد مع الناقد، ولم يكن ذلك من قصدي، ولا داخلا في حساباتي وتقديراتي، ثم ترك المحرر (مندوب الجريدة) النقد بأصوله ومدارسه وصب جام كراهيته للناقد بكلام لا يتصل بالنقد من قريب ولا من بعيد.

ولا شك في أن علاقتي بهذا الدكتور كانت مبنية على التقدير والاحترام، حتى لو اختلفت معه ـ وقد كان ذلك يحدث كثيرا ـ فإن الاختلاف لم يكن يفسد ما بيننا من حب وتقدير، لكنني على كل حال غضبت أيما غضب لما وجه إليه من كلام عنيف ما أظن أنه يرتبط بالنقد الأدبي الأصيل، وانتهت الندوة وظننت أن الأمر سوف ينتهي عند هذا الحد، وأن الخلاف الذي نشب في أعقابها لا يرتبط بي إنما

---

(١) الندوة.

(٢) هو الأستاذ / عالي القرشي، الذي حصل على الدكتوراة بعد تاريخ الأمسية المذكورة بوقت قصير.

يتصل اتصالا مباشرا بتوجه الناقد واختلافه مع محرر الملحق الأدبي للجريدة، ولكن الدكتور/ القرشي ظن أني أسيء إليه، وأن إشادتي ببعض ما قيل من شعر يتعارض مع الذي قاله الشعراء الثلاثة، ولذلك أحببت أن أذيب الجليد المتراكم في نهر العلاقة بيني وبينه فكتبت رسالتين توجهت بالأولى إلى المشرف على ملحق الندوة الأدبي، وأما الثانية فقد كتبتها إلى الدكتور نفسه وباسمه، وطلبت منه أن يبعث الخطاب الموجه للندوة إلى القائمين عليها، وأما الخطاب الخاص به فليكن سرا لا يذاع ولا ينشر، ولكنني فوجئت بالخطابين منشورين في جريدة عكاظ[١] مما أثار حفيظة المشرف على الملحق الأدبي بالندوة ، وأثار حفيظتي في الوقت نفسه، لأن ما حدث لم يكن موضع اتفاق بيني وبين ناقد الأمسية، ، وهذا نص رسالتي إلى الندوة:

"بسم الله الرحمن الرحيم"

سعادة الأستاذ المشرف على ملحق الندوة الأدبي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لقد حضرت ندوة نادي الطائف الأدبي بفندق مسرة أنتركونتنتال مساء يوم الأربعاء التاسع عشر من جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ، وعلقت على الأمسية أمام كل الحضور .. وذكرت الجريدة في ملحقها الأدبي الصادر يوم ٢٣/ ٥/ ١٤٠٦هـ كل ذلك، ثم التقى بي مندوب

---

(١) يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ الموافق الحادي عشر من فبراير ١٩٨٦م.

الندوة عبدالله خضيرى، وسجل معى حديثا طويلا عـن أمـور أدبيـة ونقدية كثيرة ، وقد نشر الخبر والتعليق بطريقة ناقصة ومبتورة ممـا بدت منه الإساءة للأستاذ عالى القرشى.

ولعل القارئ الحصيف قد لاحظ البتر المذكور من سياق العبـارة ومع أننى أختلف مع الأستاذ عالى فى الرؤية النقدية ، لكننى أعتز بـه كصديق فاضل وأخ كريم.

برجاء التكرم بالنشر احتراما للكلمة وإبراء لذمتى ودام ملحقكـم منبرا حرا أمينا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الأحد ٢٣/ ٥/ ١٤٠٦هـ

دكتور/ السيد محمد الديب

الأستاذ المساعد بالكلية المتوسطة بالطائف

أما الرسالة الثانية وهى الموجهة إلى الأستاذ عالى فـلا داعـى لذكرها هنا لأنها أقرب إلى أن تكون شخصية ، وأعجب لهذه القضـية الهينة التى صارت مشكلة ساخنة.

وأقر بأنها ـ أى الرسالة ـ أقرب إلى أن تكون تهدئـة لنفسـه وتطييبا لخاطره.

لكن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد فقد شعرت جريدة الندوة بأنها أهينت، وأننى قد ساعدت الأستاذ عالى فى إثبات وجـوده ، وتثبيـت

جذوره، وأنهم ما كانوا يتمنون ذلك، واعتبروا أننى تابع له وأتحدث بما يقوله ويعتقده، لا بما أراه وأتمسك به.

وكان يوم الأحد السابع من جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ من أقسى الأيام فى حياتى ذلك لأن المشرف على الملحق قد أساء إلى وتحدث عنى بما لا يمكن قبوله، ووصفنى بأوصاف لا علاقة لها بالنقد الأدبى، وذلك شأن الكثيرين من محررى الصحف وكاتبيها؛ إذ يجعلون همهم هو الهجوم والإساءة بالألفاظ الجارحة، وليس بمقارعة الحجة بالحجة، وقد جاء مع هذا الهجوم صورة من خطابى إليهم، وأخرى عن لقائى مع مندوب الجريدة، وقبل أن ينشر ما نشر دار حوار طويل مع المشرف على الملحق – فى اتصال هاتفى – كان باعثه شرح ملابسات الأمر بكل تفصيلاته،ولكن ذلك لم يغير فى الموضوع شيئا .

ومما كتبته الجريدة فى ذلك اليوم .

اطلعنا على صورة الرسالة الموجهة أصلا إلى ملحق الندوة الأدبى، والتى نشرها ملحق عكاظ (أصداء الكلمة) فى عددها ٧١١٧ الصادر يوم الثلاثاء ٢/ ٦/ ١٤٠٦هـ.

ونود أن أؤكد للقارئ الكريم الذى يهمنا أولا وأخيرا بعض الحقائق ومنها ما يلى:

أن الدكتور/ السيد محمد الديب. قد قال ما نشر على لسانه فى خبرنا المنشور فى عدد يوم الأحد ٢٣/ ٥/ ١٤٠٦هـ من الملحق الأدبى، وأن مندوبنا الأخ عبدالله صالح خضيرى قد سجل رأى الدكتور

المذكور، ثم قام بصياغته خبريا ، والحمد لله أن الشريط لا يزال موجودا لدينا وبإمكاننا نشر محتواه كاملا •

ــ يبدو أن الدكتور قد مورست ضده ضغوط قاسية تتصل بمصدر رزقه؛ لأنه يعمل مرؤوسا للناقد الحصيف فى قسم اللغة العربية بالكلية المتوسطة بالطائف ، ويبدو أنه فضل التراجع عن رأيه، والاعتذار عنه بطريقة غير شريفة، بدل أن يواجه مصيرا وظيفيا غير معروف•

ــ أما المقدمة التى قدم بها صعاليك الحداثة رسالة الدكتور ... هى شنشنة نعرفها من أخزم .. ونحن لا نبالى بعد أن قلنا رأينا فى الحداثة ورهطها، ولا نبالى بما تقوله تلك (الشرذمة) بل إننا نثبت كل مرة صدق ما ذهبنا إليه، وما وصفناهم به من صفات التسلط والغرور وضيق الصدر عن سماع الرأى الآخر•

ــ والعنوان المختار لهذه الرسالة من قبل الندوة فضلا عما تبقى فى التعليق عليها يكشف لنا بوضوح ما سبق أن ذكرناه أولا•

ــ هذا الموضوع بكل ما أثير حوله، وما نشر فيه لا علاقة له بالنقد الأدبى الصحيح •

ــ ينصب حديث الصحافة الأدبية عن النقد الأدبى على الهجوم غير المبرر، والأساليب المثيرة، والجمل الرنانة التى لا تغنى ولا تسمن من جوع•

ــ لقد أقحمت فى هذه المشكلة وتحملت بعضا مما أثير فيها دون أن يكون لى دخل مباشر بالموضوع، وإنما هى محاولة من طرف لإثبات القوة والانتصار على الطرف الآخر.

ــ إن هذا النقد لا يمثل قيمة ، وأين هو مما ذكر عن كتاب الدكتور طه حسين "فى الشعر الجاهلى" أو ما كتبه الدكتور/ زكى مبارك عن جناية أحمد أمين على الشعر الجاهلى إلى غير ذلك من المعارك الأدبية التى حركت المياه الراكدة، وجذبت كثيرا من الأنظار إلى كل خلاف مؤثر فى النقد الأدبى، ولم تكن معارك الدكتور/ محمد مندور مع الأستاذ عباس العقاد والأستاذ سيد قطب إلا حالة من حالات الحياة الثقافية الواعية التى تشهد عليها الصحافة الأدبية الراقية مثل ما نشر فى مجلة الرسالة التى كان يصدرها الأستاذ أحمد حسن الزيات، ومجلة الثقافة التى كان يشرف على إخراجها فى لجنة التأليف والترجمة والنشر الأستاذ أحمد أمين.

ــ إن هذا السجل الخالد قد صار فى ذمة الزمان، وفى أمهات الكتب ومؤلفات العظام من نقادنا المبدعين.

ــ وإنه لمن المؤسف أن تتردى حالة النقد ــ ليس فى الصحافة وحدها ــ وإنما فى الجامعة، والأندية الثقافية التى تحرص على الكلمة الراقية المهذبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

السيرة الذاتية

الاســــم : السيد محمد أحمد الديب

اسم الشهرة : الدكتور / السيد الديب

الوظيفة الحالية : وكيل كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالزقازيق وأستاذ في الأدب والنقد

تاريخ الميلاد : ٢٠/٣/ ١٩٤٧م في قرية الطاهرة مركز الزقازيق ـ محافظة الشرقية

محل الإقامة : ٧١ شارع مجمع المصالح بالزقازيق

الهواتف : منزل : ٢٣٦٢٠٢٢/ ٠٥٥ ـــ ٠٥٥/٢٤٠٠١٤٤ ـ ٠٢/٢٥٠٧٠٣٢

العمل : ٢٣٠٤١١٤/ ٠٥٥ ـ ٢٣٣٤٧٣١/ ٠٥٥

فاكس : ٢٣١٥١٨٠ / ٠٥٥

Email ahmedeldeep @ msn . com

المؤهل : الدكتوراه في اللغة العربية تخصص الأدب والنقد بتقدير مرتبة الشرف الأولى من جامعة الأزهر (كلية اللغة العربية بالقاهرة) عام ١٩٨١م.

عمل في جامعة الأزهر الشريف معيدا ومدرسا مساعدا ومدرسا وأستاذا مساعدا وأستاذا ورئيسا لقسم الأدب والنقد ووكيلا لكلية اللغة العربية بالزقازيق.

تاريخ التعيين : في درجة مدرس ٢٠/ ١/ ١٩٨٢م كلية اللغة العربية بالمنصورة .

تاريخ التعيين : في درجة أستاذ مساعد ٢/ ٤/ ١٩٨٦م كلية اللغة العربية بالمنصورة.

تاريخ التعيين : في درجة أستاذ ٤ / ٤ / ١٩٩٠م كلية اللغة العربية بالمنصورة . نقل أستاذا إلى كلية اللغة العربية بالزقازيق في ١٩٩٢/١٢/٨م.

تاريخ التعيين : ـ عمل رئيسا لقسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية بالزقازيق

في ٣٠/ ٩/ ١٩٩٧ إلى ٩/ ٢/ ٢٠٠٤م.

تاريخ التعيين : في عضوية اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة تخصص الأدب والنقد ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٠م .

أعير للعمل في المملكة العربية بالسعودية من عام ١٩٨٥م إلى عام ١٩٨٩م.

- عضو باتحاد الكتاب المصريين .
- عضو بنادى الطائف الأدبى من عام ١٩٨٦م .
- عضو برابطة الأدب الإسلامي العالمية .
- رئيس اتحاد الكتاب المصريين بمحافظات الشرقية والقناة وسيناء من ١٥/ ٢/ ٢٠٠٥ وهو أول رئيس لهذا الفرع .
- تم ترشيح كتابه (فن الرواية في المملكة العربية السعودية) بين النشأة والتطور لجائزة الملك فيصل العالمية .
- فاز بجثه عن السرقات الأدبية بجائزة دار المجد بالسعودية .
- أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه .
- ناقش مجموعة كبيرة من الأطروحات الجامعية في كليات اللغة العربية وآدابها .
- شارك في كثير من اللجان العلمية والأدبية بجامعة الأزهر وكليات إعداد المعلمين بالطائف، والشباب والرياضة، والثقافة والأعلام، والدعوة بمحافظات مصر واختير عضوا ،ثم رئيسا للعديد من لجان الترقية إلى درجة أستاذ مساعد ، في الأدب والنقد في كثير من الكليات الجامعية .
- نهض بالتدريس أساسيا أو منتدبا أو معارا في كليات اللغة العربية، بالمنصورة، وأصول الدين بالمنصورة ، والشريعة والقانون بطنطا، وإعداد المعلمين بالطائف، والتربية بجامعة أم القرى (فرع الطائف) والدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالزقازيق، واللغة العربية بالزقازيق والشريعة والقانون في تفهنا الأشراف بالدقهلية وغيرها .
- له نشاط ملحوظ في وسائل الإعلام المختلفة .

ـ قدم بحوثا جاده أسهمت فى إثراء الفكر والوجدان عن المثقف العربى فى مصر والعالم العربى.

ـ قدم العديد من المقالات الأدبية واللغوية والثقافية فى المجلات المتخصصة والصحف المتعددة عن الموضوعات المختلفة .

ـ كتب مجموعة من البحوث عن الأدباء والمثقفين العرب مثل دراساته عن إبراهيم الناصر (سعودى) وعلى صالح الغامدى (سعودى) والطيب صالح (سودانى) وزيد مطيع دماج (يمنى) وغسان كنفانى (فلسطينى) وكتب عن كثير من أدباء مصر ومثقفيها مثل أحمد حسن الباقورى ومصطفى صادق الرافعى وعلى مبارك وعلى الجارم والدكتور محمد رجب البيومى وغيرهم، ونشر بحوثا متميزة فى مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة منها :

١ - الحياة الاجتماعية كما صورها البوصيرى ــ العدد الخامس ــ

٢ - شعر الزهد عند أبى نواس (العدد السادس) .

٣ - ابن قيس الرقيات فى شعره السياسى (العدد السابع) .

٤ - عن المذهب الفنى فى شعر أبى تمام (العدد الثامن) .

٥ - ملامح البيئة المصرية فى شعر البهاء زهير (العدد الحادى عشر) .

٦ - شارك فى التحكيم وإبداء الرأى فى البحوث المقدمة لمجلة كلية اللغة العربية بالزقازيق. ومن مقالاته بها :

١ - على أدهم بين الأدب والنقد والفلسفة والتاريخ ــ العدد الخامس عشر ــ .

٢ - مدخل إلى دراسة النقد الأدبى ــ العدد السادس عشر ــ .

٣ - الاستشراق بين الصراع العقدى والنشاط الأدبى ــ العدد السابع عشر ــ .

٤ - المجلات الثقافية ودورها فى إثراء الفكر والنقد والإبداع ــ العدد الثامن عشر ــ.

٥ - الدكتور محمد أحمد سلامة من (مشيرف) بالمنوفية إلى عمادة كلية اللغة العربية بالزقازيق ــ العدد التاسع عشر ــ .

٦ - الصراع الحضارى فى موسم الهجرة إلى الشمال ــ العدد العشرون ــ .

٧ - الشعر العمودى جذور متجددة (شعراء الشرقية نموذجا) العدد الحادى والعشرون.

٨ - صوت القبيلة فى شعر الأعشى ــ العدد الثانى والعشرون ــ ٠

٩ - شعر الفصحى بين التقليد والتجديد ــ العدد الثالث والعشرون ــ

١٠ - فى صحبه زميل راحل ــ العدد الثالث والعشرون ــ ٠

١١ - النقد الأدبي بين الذاتية والموضوعية عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ــ العدد الرابع والعشرون ــ ٠

١٢ - الدكتور/ محمد محمدين الشكوم ــ رحلة من الجهد والصبر والمعاناة ــ العدد الرابع والعشرون ٠

١٣ - دراسة فى الرواية المعاصرة ــ لأربعة من أدباء الشرقية ــ العدد الخامس والعشرون٠

١٤ - الدكتور/ صادق على حبيب ــ صاحب الكلمة الجريئة والرأى النزيه ــ العدد الخامس والعشرون ٠

١٥ - الغزو ... عشقا... رواية نجلاء محرم ــ العدد السادس والعشرون٠

وكتب عشرات المقالات فى عدد من الصحف والمجلات منها :

١ و٢ و٣ فى ذكرى وفاة الشيخ محمد رفعت ــ صوت الأزهر ــ فى ١١/ ٥/ ٢٠٠٠ و١٨/ ٥/ ٢٠٠٠ و٢٥/ ٥/ ٢٠٠٠م ٠

٤ - أحمد سيكوتورى وجهاده فى خدمة وطنه ودينه ــ صوت الأزهر ١٧/ ١/ ٢٠٠٣م٠

٥ - الشعر العامى موجود ولكن ــ أخبار الشرقية ــ ١/ ٧ / ١٩٩٥م ٠

٦ - أدب أكتوبر بين الحلم والواقع ــ صوت الشرقية ــ ١/ ١١/ ١٩٩٥م ٠

٧ - عزيز أباظة ــ صوت الشرقية ــ ١/ ١٠ / ٢٠٠٠م ٠

٨ - التصوف بين الدين والأدب ــ جريدة عقيدتى ــ ٤/ ٢/ ٢٠٠٣م

٩ - أدب المهجر (الأهرام) ٢٦/ ٨/ ١٩٩٤م ٠

١٠ - محمد مندور فى الذكرى الثلاثين لوفاته (الأهرام)٩/ ٦/ ١٩٩٥م٠

١١ - الخيل والفروسية (الأهرام) ١٥/ ٩/ ١٩٩٥ ٠

١٢ - على أحمد باكثير بين الأصالة والتجديد (الأهرام) ١٦/ ١١/ ٢٠٠٢م ٠

وله أكثر من خمسة وعشرين كتابا فى موضوعات أدبية ونقدية وثقافية ودينية منها :

١ - شعر الحماسة فى العصر العباسى الثانى مطبعة السعادة ١٩٨٤م

٢ - ياقوت الحموى أديبا وناقدا . دار الطباعة المحمدية ١٩٨٨م .

٣ - امرؤ القيس بين القدماء والمحدثين. دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م .

٤ - الغموض فى شعر أبى تمام دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م .

٥ - فن الرواية فى المملكة العربية السعودية بين النشأة والتطور. دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م .

٦ - شعراء الطائف فى الجاهلية والإسلام. دار الطباعة المحمدية ١٩٨٩م .

٧ - من روائع الأدب العربى فى العصرين العباسى الأول والأندلسى دار الطباعة المحمدية ١٩٩٠م.

٨ - من روائع الأدب العربى فى العصرين الأموى والعباسى الأول دار الطباعة المحمدية ١٩٩١م .

٩ - أوزان الشعر دراسة فى العروض والقافية. مطبعة الضوى بالزقازيق ١٩٩٤م.

١٠ - فن الرواية فى المملكة العربية السعودية (بين النشأة والتطور) من منشورات المكتبة الأزهرية للتراث بالقاهرة ١٩٩٥ (الطبعة الثانية) .

١١ - دراسات فى الأدب الجاهلى ـ مكتب آيات بالزقازيق ١٩٩٨م.

١٢ - أطوار الأدب العربى فى العصر الإسلامى ـ مكتب آيات بالزقازيق ١٩٩٨م.

١٣ - دراسات فى الأدب الأندلسى ـ توزيع المكتبة الأزهرية للتراث ١٩٩٩م .

١٤ - مناهج البحث فى الأدب واللغة والتربية، نشر مكتبة الآداب بالقاهرة ٢٠٠٠م.

١٥ - تاريخ الأدب الجاهلى ٢٠٠١م .

١٦ - رحيق المعرفة ـ نشر مكتبة الآداب ٢٠٠١م.

١٧ - أدب البيئة بين الأصالة والمعاصرة ٢٠٠٤م .

١٨ - دراسات فى الأدب الحديث ٢٠٠٥م.

١٩ - الثروة فى الإسلام ٢٠٠٦م.

٢٠ - قطوف من السيرة والدعوة ٢٠٠٦م.

٢١ - أصوات الأرض والحب والثورة ٢٠٠٦م.
٢٢ - قضايا ثقافية ٢٠٠٦م.
٢٣ - ألوان من الأدب والفكر والحياة ٢٠٠٦م.
٢٤ - أنوار اليقين .

◆ له أكثر من ستة كتب معدة للنشر .

◆ قدم العديد من المحاضرات الأدبية والثقافية فى الكثير من دور العلم والثقافة .

◆ شارك فى الكثير من الكتب الأدبية والثقافية والإبداعية والقضايا العامة بالبرامج الإذاعية والتلفزيونية .

◆ كتب مجموعة كبيرة من البحوث التربوية مثل :

١ - محو الأمية بين الحلم والواقع .
٢ - الوعى الدينى لدى طلاب المرحلة الابتدائية ومدى الاستفادة من برامج العلوم الدينية فى التعامل والسلوك اليومى بالمدرسة .
٣ - محو الأمية وتعليم الكبيرات بمدينة الطائف عام ١٤٠٨م.
٤ - الضعف فى الإملاء بين الطلاب والدارسين فى الكليات المتوسطة بالسعودية (المشكلة والحل) .
٥ - دراسة فى المقال والتقرير .

◆ أقام فى منزله بالزقازيق عشرات المجالس العلمية والثقافية والأدبية أسهمت فى نمو الحركة الإبداعية بمحافظة الشرقية .

◆ قدم عدة قضايا نقاشية للإذاعات المصرية منها :

- الثقافة العربية بين الأصالة والمعاصرة .
- قضايا الشباب من المنظور الإسلامى .
- الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق .
- دور الإعلام فى خدمة قضايا المجتمع .

أسهم بالبحوث والمناقشات فى عدد من المؤتمرات الأدبية والثقافية منها:

ـ مؤتمر الشرقية الأدبى الأول والذى عقد تحت عنوان قضايا الإبداع والرؤى المعاصرة فى أيام ١٣، ١٤، ١٥ من شهر أبريل عام ٢٠٠٢م وقدم بحثا بعنوان — شعر الفصحى بين التقليد والتجديد ٠

ـ مؤتمر الشعر الثالث بديرب نجم بالشرقية فى نوفمبر ٢٠٠٢م وقدم بحثا بعنوان — معالم الرؤية والأداة فى شعر محمد سليم الدسوقى ٠

ـ مؤتمر كلية الآداب ـ جامعة المنيا فى ٢٤، ٢٥ فبراير ٢٠٠٣ وشارك ببحث عنوانه الخيال العلمى فى فن الرواية والقصة القصيرة ٠

ـ مؤتمر جامعة عين شمس التاسع لتعريب العلوم فى ١٢، ١٣ مارس ٢٠٠٣ وشارك بالنقاش والحوار ، وإبداء الرأى فى العديد من جلسات المؤتمر وخاصة ما اتصل منها بلغة تعريب العلوم ٠

ـ مؤتمر جامعة أسيوط من ١، ٢، ٣ أبريل ٢٠٠٣ وهو المؤتمر الرابع للمرأة والبحث العلمى والتنمية فى جنوب مصر وقدما بحث بعنوان (المرأة والقيم الدينية) وكان رئيسا لجلسات (المرأة والثأر) ٠

ـ مؤتمر معهد البحوث والدراسات الأفريقية جامعة القاهرة، والذى عقد فى الثالث والرابع من مايو ٢٠٠٣ وكان عن الثقافات المحلية فى ظل العولمة وأسهم ببحث عنوانه العولمة والهوية الثقافية ٠

ـ الملتقى الأدبى الأول لرابطة الأدب الإسلامى عن الأديب مصطفى صادق الرافعى فى ١٢، ١٩ فبراير ٢٠٠٤ ٠

ـ مؤتمر ديرب نجم الأدبى الثالث فى القصة والرواية، والذى عقد تحت مظلة تداخل الأنواع الأدبية فى القصة والرواية، وذلك يوم ١١ أكتوبر ٢٠٠٤ وشارك بقراءة نقدية لمجموعة قصصية لأحد الأدباء المعاصرين ٠

ـ عضو الأمانة العامة للمؤتمر الثقافى الرابع لإقليم شرق الدلتا، وهو المؤتمر الثقافى الثالث لمحافظة الشرقية، والذى عقد فى مدينة الزقازيق أيام ٣٠/ ١، ٢٠٠٥/١/٣١، ١/ ٢/ ٢٠٠٥م وقدم بحثا عنوانه "دراسة فى الرواية المعاصرة" لأربعة من أدباء الشرقية٠

ـ المؤتمر الخامس للمرأة والبحث العلمى والتنمية فىجنوب مصر أيام ٥، ٦، ٧/ أبريل ٢٠٠٥م وشارك ببحث عنوانه (باحثة البادية ودورها الرائد فى إصلاح الأسرة والمجتمع)٠

ـ مؤتمر اتحاد كتاب مصر (فرع الشرقية ومحافظات القناة وسيناء وهو الرئيس المختار لهذا المؤتمر الذى سيعقد فى السابع من فبراير ٢٠٠٧ وقدم الأبحاث المنشورة فى كتاب المؤتمر ـ وموضوعه: الوسائط الحديثة والأدب ٠

ـ قدم بحثا للمؤتمر السادس للمرأة والبحث العلمى والتنمية فى جنوب مصر وعنوانه (الإسلام وصحة المرأة) والذى سيعقد ـ بإذن الله تعالى ـ فى ١٧ ـ ١٩ من أبريل ٢٠٠٧م٠

ـ تعرض فى عام ٢٠٠٦ لأزمة مرضية مستعصية من الله عليه بالشفاء منها ٠

كشاف تفصيلى للموضوعات

رقم الإيداع

٢٠٠٦/١٣٧٨٠